

محتوى هذه الدورة مأخوذ من الكتاب الأصلي لنازك الملائكة، وعنوانه قضايا الشعر المعاصر.





مهاره وشهادة

الدورات التدريبية الإلكترونية الأفضل عالميا

من: المحور الإنساني العالمي للتنمية والأبحاث

**GLOBAL HUMANITARIAN PIVOT FOR DEVELOPMENT AND RESEARCH  
(GHPDR)**



قضايا السيد القاضي

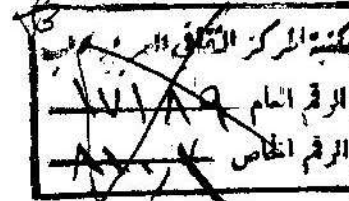
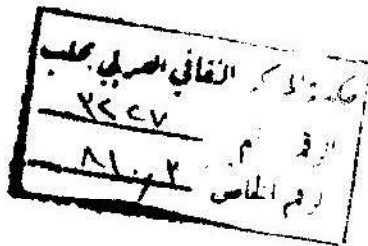
قضايا السيد القاضي

الحقوق محفوظة

نازك والملائكة



# قضايا السفر المعاصر



٣ - ٥

مكتبة النهضة

الطبعة الاولى ١٩٦٢

الطبعة الثانية ١٩٦٥

الطبعة الثالثة ١٩٦٧

الاهل

السيد الرئيس

جمال عبد الناصر

تقديمًا للجنة بالذمة العربية وجهاد في سبيلها

نازل

بإمتة أنا

الخطاب

٧١١/١٨ - ٢٠٠٤

## المقدمة

بقلم الدكتور عبد الهادي محبوب

اعتادت السيدة نازك الملائكة ، اما ان تقدم لكتبها بقلمها ، كما فعلت في ديوانها « شظايا ورماد » المطبوع في سنة ١٩٤٩ م ، او أن تكلف احد اعضاء اسرتها ليقدم لها على اساس الصلة الشخصية التي تربطها به ، كما عملت في ديوانها الاول « عاشقة الليل » الذي طبع في عام ١٩٤٧ م ، حيث قدمت له اختها الاصغر السيدة احسان ، وكانت يومذاك تلميذة فسي الثانوية . . وها هي اليوم تبدى رغبتها في أن اقدم لكتابها هذا بنفس الدافع العائلي الذي يربطنا معا تشبها مع العادة التي درجت عليها .

اما سبب اتخاذها هذا المسلك فهي انها ، كما قالت : « لا تؤمن بجدوى المقدمات الادبية ، لان الكتاب ، اى كتاب ، ينبغي ان يعتمد على قيمته الموضوعية » . . وهو مسلك - كما يبدو لنا - سليم الى حد كبير اذا كان الغرض من المقدمة التعريف بالمؤلف والكتاب ، او أن تكون تقديمية فتشير الى محاسن الموضوع او مساوئه او اليهما معا . الا ان القصد منها - كما نعرف - غير ذلك ، ولربما كان مقتصرا على ايجاز اهم النقاط البارزة في

الكتاب وعرضها على جمهور القراء بأسلوب يسهل لهم الاطلاع السريع عليه ، والافادة المتوخاه منه . واذا عمد المقدم الى الزيادة في الفائدة فعليه ان يمهّد لتلك النقاط المهمة بما يصلها بماضيها ، وان يطعمها بما يوضحها ويجليها ، وان يضيف اليها موجز رايه لئتم النفع بها . . . وعلى هذا الاساس من تحديد مسؤولية المقدم وتعيين واجبه فيما يعرض ويرى تقدم بالخلاصة الآتية :

(كل شيء يتطور،  
داروين)

تعرض الفنون على اختلافها الى هزات تطويرية عنيفة مثلما تخضع الامم وسائر الاجناس الى تطورات تقدمية حاسمة) ويعنى المختصون بدراسة هذه التغيرات فيولوجيا استقراء وتمحيصا ، ويسعون في البحث عن منابعها واسبابها ، وتائجها وأهدافها . . . ولا تقلّ عناية المولعين بالفنون والاداب بتسجيل أية ظاهرة جديدة تطرأ على ناحية فنية معينة عن رجال العلوم الاخرين، ولربما فاقتهم حماسا وتوسعا في البحث عن جذور هذه الهزة وعن اغراضها وأهدافها ، لما لها من علاقة وثيقة بتطور الفكر الانساني ، وفضل كبير على رقيه .

وشعرنا العربي - بين الآداب والفنون الجميلة العالمية - كان ولم يزل في طليعة فن القول من حيث معانيه وأساليبه ، من حيث مضامينه واغراضه وصور التعبير فيه ، ثم من حيث موازين عروضه وقافيته وتنوع أشكاله ، فقد دلّتنا المجموعة الضخمة من الدواوين المطبوعة والمخطوطة التي ورثناها عن العصر الجاهلي والاسلامي ، على مدى الخصب الذهني والعاطفي ، والثراء اللغوي والتعبيري ، الذي كان يتميز به الشاعر العربي خلال المصور الهائلة حتى في شعر المناسبات ، وفي ادب القصور والبلاطات .

وقد تعرض شعرنا العربي هذا الى انواع من الهزات التجديدية لما فطر عليه الذوق العربي من استعداد وامكانية للتطور ، كان منها ما يتصل باغراض الشعر ومحتوياته ، ومنها ما يتصل بأسلوبه وشكله . وهذا ما سنشير اليه فيما بعد - على ان لاية اتجاهه فنية جديدة دلالتها وأثرها وبخاصة هذه الحركة

وأمثالها ، مما ألفت الكتاب للاحاطة به ، وتنسيق قواعدهم .. كيف لا ،  
والشعر في مقدمة الفنون التي تصوّر لنا وجدان الامة وألوان حياتها ،  
وترسم لنا الملامح الشخصية لافذاذها وشعرائها ، كما تبين لنا - في الوقت  
ذاته - عن مدى النشاط الذهني والوجداني الذي تبذره في معترك الحياة ،  
لاعلاء شأن الانسان ورفع مستواه .

ومن ناحية اخرى فان الشعر كظاهرة لا يثبت أمام الانسان المتغير في  
مثله وتقييمه لظواهر الوجود ، فلا بد أن يواكبه بطنا وسرعة ، عمقا  
وسطحية ، تركيبا وبساطة . ولسنا بصدد البحث عن الانسان كيف ومتى  
يجتاز هذه المراحل الحضارية ، ولكننا نريد التأكيد على مدى الارتباط بينهما  
من وجوه كثيرة .

فالشعر كظاهرة تعبيرية في حياة الانسان يبدأ بسيطا - كغيره - ثم  
يتعمد تدريجا بتعمد حياة انسان الظاهرة نفسها فيتضاعف مضموها من ناحية  
المعاني وأبعادها اتساعا وعمقا ، ويتكاثف شكلا من ناحية الاساليب وجودتها  
لغة وصياغة ، من ناحية انتقاء الالفاظ ودقة رصفها ورقتها ، ورتابة  
موسيقاها . وبهذا كانت لغات الامم وآدابها في مرحلة بداوتها وجاهليتها اقل  
الفاظا وابسط محتوى .

ان هذا التعمد المأنوس ، غير المتكلف ، لدليل على رقى الفكر  
والعاطفة معا ، وتزاحم مظاهر الحضارة المحيطة بهما وتقدمها . وبهذا تتكاثر  
الاسماء والمسميات ، وتشابه الدلالات والمدلولات حتى لتختلط ببعضها  
أحيانا ، فتكون مهمة الدارس المفكر التمييز بين المتشابه والمختلط من  
الالفاظ والمعاني ، وتصبح فضيلة المبقرى اكتشاف المعنى الاصيل والاهتداء  
الى اللفظ المناسب له ، وهو ما يسمى في عرف الفن ابتداعا وسوا في الخيال .

وقد عاش العربي ، أول ما عاش ، حياة أدنى الى البساطة في التحضر ،  
وليس هو فحسب ، لان حضارة الانسان آنذاك كانت لم تتزايد بعد في  
متطلباتها حتى تتعمد ، ومظاهر الترف المعاشي لم تتعدّد في معطياتها حتى

تتزامن • وبهذا كان مضمون كل شيء ساذجا ، وكان القصيد العربي يحتوي على مضامين عدة ، وكان الشاعر يتنقل بين هذه الاغراض المتنوعة لتأليف القصيدة ، جاعلا من البيت وحدة مستقلة الاداء والاعراب قدر الامكان ، ليدل على براعته في الایجاز •

ولما اتسعت أبعاد حضارته ، وتعددت صورها ، كان لا بد للمضمون أن يتوسع ويطول ، وبذلك ضاق صدر القصيدة أن يفسح لأكبر من غرض واحد اذا استوعبه الشاعر وأجاد تحليله وتصويره ، وسواء انتقل الى غيره أولا ، طالت وملتها السامع والقارىء ، وخرجت عن المعدل المألوف الى دائرة الملاحم القصصية والاراجيز التعليمية • وبذلك استبدل تنقله بين المضامين الى تنقل بين الاوزان المختلفة تارة ، أو بين ضروب الوزن الواحد أخرى ، ومن قافية لغيرها بقصد التنويع تارة أخرى • وحاول - احيانا - الخروج على الوزن والقافية معا فعادت به طبيعة الشعر العربي الى واقعها أخيرا •• وفي هذا التنقل والتنويع - على اختلافه - ما فيه من دلالات نفسية ونية واجتماعية للشاعر والقارىء والسامع تكشف عن مستوى الحضارة الذي بلغته الامة •• لذا كانت مسرحيات شوقي طريفة مقبولة ، بينما جاءت ترجمات البستاني لاليادة هوميروس والزهاوي لجحيم ذاتي عقيمة مملولة •

ومن جهة اخرى فليس صحيحا ان الشعر العربي وما يعتمد عليه من مقاييس النقد الادبي معايير ثابتة متحجرة كما وصفه بعضهم (1) • ولعل في تسمية الاوزان بالبحور ما يوحي لنا بالسطح الواسع ، والعمق الهائل لمن يدرك كيف يعوم فيستخرج منه الجديد والغريب ، فضلا عن المعنى المعروف •

وآية ما ندعيه في مرونة الاسس النقدية في أدب العرب ، وخصب

(1) ادونيس : الشعر العربي ومشكلة التجديد - مجلة شعر العدد : ٢١ - ٢٢ سنة ١٩٦٢ م •

الذهنية العربية ، وقابليتها التطورية ما عرفناه من تجديدات في المضمون والشكل طرأت على الشعر العربي بعيد تاريخه المسجل . بفترة وجيزة : فلم يمر عليه قرن واحد حتى دخلته أغراض جديدة بظهور الاسلام ، ووجدنا الشعر السياسي مثلا عليه . ولم تمر مائة عام أخرى حتى بدأ عهد جديد دعاه النقاد بعصر الشعراء المحدثين قبال القدامى لما دخل على الشعر من اتجاهات جديدة في الصياغة وأساليب التعبير على يد أبي نواس وأبي تمام، وبشّار بن برد ومسلم بن الوليد ، وابن المعتز وابن هرمة والشريف الرضى وسواهم (٢) . وفي الوقت نفسه كانت هناك محاولات تجديد في العروض بدأ بها ابو العتاهية فنظم بأوزان لم تعرف قبله (٣) . كما حاول هو وآخرون الخروج على قاعدة القافية الموحدة (٤) . وأمعن بعضهم في التحرر من عمود الشعر فقال أبياتا من غير قافية (٥) . بينما حدثت حركة في الشكل دفعت إليها الأفاق الحضارية الجديدة ، قام بها شعراء الموشحات في الاندلس . وهي انطلاقة تطويرية خرج بها اصحابها على سنن الشعر القديم فنوعوا الاوزان والقوافي في القصيدة الواحدة وكان لها أثرها في كل حركة تجديد جاءت بعدها .

ثم مرت بأمة العرب قرون عجاف رزحت طوالها تحت نير الاستعباد فأصيب فكرها بالخمول ومنيت حضارتها بالانهيار ، وما أن استيقظت حتى قويت واستعادت مكائنها الحضارية والفكرية ، وشمل حياتها التجديد ، وبخاصة حينما اطلعت على أدب الغرب فأقتبست منه وتأثرت به ، فكانت أول ظاهرة تجديدية في دواوين الشعراء من مهاجري سوريا ولبنان التي امريكا في أوائل هذا القرن ، وقرأنا لهم صنوفا متنوعة في أفانين من الشعر أمثال : ايليا ابو ماضي ، جبران خليل جبران ، فوزي المعلوف ، نقولا فياض ،

(٢) الأمدى : الموازنة - ١٣ والجرجاني : الوساطة - ٣٨ .

(٣) الاصفهاني : الاغاني ج ٣ - ٢٥٤ .

(٤) ابن رشيق : العمدة ج ١ - ١٢٠ و ابراهيم انيس : موسيقى الشعر ٢٧٨ .

(٥) الباقلائي : اعجاز القرآن - ٥٩ .

نسيب عريضة وغيرهم .

ثم تلتها حركة « الشعر الحر » في أواخر النصف الأول من القرن نفسه ، وفي يوم الثلاثاء ٢٧ تشرين الأول من سنة ١٩٤٧ بالذات . ففسي ضحاه كان ميلاد أول نموذج له ، في قصيدة بعنوان - الكوليرا - وقد كانت التجربة التي انفلتت بها الشاعرة فأستوحيتها وصورتها هي أحداث - الهيضة - التي وقعت في مصر الشقيقة حينذاك ونشر الوباء أجنحة الموت المنفج على ربوعها . وكان يوما مشهودا في منزل الشاعرة وعند الأسرة بكامل شخصها ، من الاب الاديب الباحث الاستاذ صادق الملائكة الى الام الشاعرة المعروفة ام نزار الى الاخوة احسان وسها وعصام ونزار ، كما رواه لي دفتر الذكريات المخطوط بقلم المؤلفة نفسها ، وهو سجل للمحاورات والاحداث التي تجرى بين اعضاء الأسرة في مناسبات خاصة ، وفي أوقاتها المنيئة .

ولعل من المفيد أن اقتطف منه ما يلي :

تدخل « نازك » غرفة الاستقبال ويدها القصيدة وتقول : هذه القصيدة مشكلة جديدة من مشاكل ديواني المنحوس - شظايا - « X » .

فتجيب « احسان » : ان عشاق الشعر الاوروبي سيفهمونها ولا شك . ابو نزار : ما هذا الشعر الجنوني ، انه هذيان ، أين الوزن ، أين القافية ، ما معنى الموت ، الموت ، الموت ؟!

نازك : هل تعني انك لم تفهم فكرة القصيدة .؟

أبو نزار : الفكرة تصويرية لا بأس بها ، ولكن هذا الوزن المتكرر لم يطربني وأنا لا أفهمه ، اسألني امك .

أم نزار : لقد قرأت القصيدة اليوم وقلت لها : انها أشبه بالشعر المنثور مع انها لا تخلو من وزن غريب .

---

(X) كان يومذاك لما يزل بهذا الاسم ثم عدلت الشاعرة الى تسميته بـ ( شظايا ورماد ) بعد ذلك

احسان لنازك : اكتبني عليها أنها من الوزن الفلاني ليصدقوا .  
نازك : لقد قلت لك ان الجمهور سيضحك مني ولكنني - مع ذلك -  
واثقة ان هذه القصيدة ستكون بداية عصر جديد في الشعر العربي .

أبو نزار : من يقرأها ؟ أنا والعراقيون الذين اعتادوا رصانة المتنبي  
وجزالة البحترى ؟ انك لن تستطيعي الخروج على الذوق العربي ، فأنت  
واحدة ، والامة ملايين .

نازك : قولوا ما شئتم ، اقسم لكم اني اشعر اليوم بأني قد منحت  
الشعر العربي شيئاً ذا قيمة .

نزار : ان العمل الذي يقابل باختلاف عظيم في الرأي لا بد أن يكون  
عظيماً .

بهذا القدر اليسير اکتفي ، وقد نقلت ما رأيته متصلاً بالموضوع من  
محضر الجلسة التي حوت نقاشاً طويلاً وحواراً عنيفاً ، تاركاً للمؤلفة أن  
تنشر وقائع مذكراتها الممتعة كاملة ، ليطلع عليها القراء .

\* \*

لقد استجاب العروض العربي لهذه الحركة التطورية الجديدة . وشاعت  
في الاوساط الادبية وتلاقفها شعراء الشباب بعد تقدم مرّ وسخرية لاذعة . .  
والذي يغلب على ظننا ان حركات التطوير تلك انما كانت بدافع الرغبة الى  
الجديد وليست تخلصاً من قسوة عمود الشعر وصرامته ، والا مما ذهب  
« المعري » وغيره الى الزيادة في القيود فالنظم في القافية مالا يلزمه العروض  
به ، وآثرها في « لزومياته وكذلك في فصوله وغاياته » ، حتى لكأنها وسائل للاداء  
كلما ازدادت أعانت الشاعر على رسم صورته وتأدية غرضه . . كما نعتقد  
بأن حركة الشعر الحر هذه انما هي مرحلة تطورية لعروض الشعر العربي  
وليست مقتبسة عن الشعر الغربي كما توهمها بعضهم <sup>(٦)</sup> وان كانت تشبّهه

(٦) خليل مطران : مقدمة اطياف الربيع لابي شادي سنة ١٩٢٣ م .

في بعض الوجوه ، اذ ليس كل شبيه مستمدا من شبهه ، وكان بعض انصارها من قرأ ادب الغرب وأفاد منه وادعى الاخذ عنه .. وانما لم تعالج «المضمون» وان كان هو الحاجة الملحة التي دفعت الى اختراعه (٧) ، ولم تدرس « وحدة الموضوع » وان كانت هي الحافز القوي الى ابتداعه (٨) .. وعلى ذلك فان كل ما وصلنا من تجديد وتنويع في الاسلوب والشكل منذ فجر النهضة الحديثة سواء أكان في مدرسة شعراء المهجر في امريكا او في جمعية « أبولو » في القاهرة انما هي ارهاصات مهدت لميلاد الشعر الحر الذي كان بزلة رد الفعل لبعض أنواعها ، والذي ابنتى قواعده على أسس فنية خاصة في العروض العربي لا يتعداها ..

ونسيل أخيرا الى القول : بأن هذه الحركة انما هي عودة بالشعر العربي الى اوزانه العروضية حيث جعلت من التفعيلة - أساسا تعتمد عليه في بناء البيت بعد أن نزع فريق من الشبان الى التطرف في التحلل منها ، وظن الشعر ثرا ، ونظم المقطوعات المنثورة ودعاها شعرا وأضاع بذلك عنصرا أساسيا من أول خصائص الشعر ، وهو موسيقى التفعيلة ، لان الوزن والقافية - كما نرى - ليسا قيدين في الشعر من حق الشاعر أن ينطلق ويتحرر منها وانما هما خاصتان من أهم خصائص الشعر الجيد ليتميز بهما عن النثر الفني .. فهي - حركة الشعر الحر - دعوة الى الحرية في اختيار الاوزان العروضية لا التحرر منها أو التحريف فيها اعتقادا منها بأن الوزن ظاهرة موسيقية لا يتخلى عنها الشعر الا ويستحيل ثرا .

ولعل في وصف هذا اللون من الشعر « بالحر » دون التحرر ومرادفاتهما مثلا ما يشعر الباحث بضرورة الالتزام بالوزن والقافية ، ولكنه التزام من نوع جديد : فيه حرية للشاعر ضمن حدود « بحور » معينة يتميز بها الشعر عن النثر ، ليس في الموسيقى وحسب ، اذ هي حاصلة فيها وان اختلفت في نوعها ومقدارها .. التزام في بحر من البحور وحرية في عدد تفعيلات الشطر

(٧٨) المصدر السابق نفسه

من البيت في القصيدة الواحدة . ثم التزام في القافية وحرية في تنويعها في القصيدة نفسها . . فليس « الشعر الحر » ابتداء بحور جديدة ، أو تحررا من قيد القافية ، ولا امتزاجا بين بحور مختلفة أو التنويع فيها (٩) لأن الوزن والقافية ايقاع لا يريد دعاة « الشعر الحر » فقداه وانما يحرصون أشد الحرص على الرتابة فيه ، وعلى تكرار النغم الذي يحدثه .

وميزة هذا الكتاب لا تنحصر في تحديد مفهوم « الشعر الحر » الذي اختلف في تطبيقه كثير من النقاد والكاتبين فضلا عن الشعراء المجددين ، وانما حاولت الكتابة أن تضع له قواعد عروضية كاملة في فصول مطولة ودعت العروضيين والشعراء الى دراستها ، فاذا صحت اصبحت جدرة بأن تثبت فضلا في كتب العروض العربي الذي لم يتناول - بطبيعة الحال - هذا الاسلوب المعاصر في الوزن .

وليس ذلك فحسب ، وانما قدمت لتلك الفصول الطويلة نبذة عن تاريخ الشعر الحر باعتباره حركة جديدة في سنة ١٩٤٩م ثم درست اسبابه الاجتماعية كما تمثلتها هي وكرست جهودها لوضع عروض لهذا الشعر يقيس عليه الناشئون قصائدهم فلا يقعون في الاخطاء . والكاتبة تؤكد أن أغلب الشعر الحر الذي ينشر اليوم حافل بالغلط العروضي والسقطات ، غير أنها تشعر - في يقين - أن هذا الغلط لن يستمر ، لأن شباب الجيل القابل سيكون أكثر فهما وتدوقا لاسرار اللغة العربية والاوزان الشعرية ، كما خصصت المؤلفه فصلا طويلا للاخطاء العروضية الشائعة ، صنفتها في السبب اصناف ، وضعت لها عناوين مميزة ، مثل : الخلط بين التشكيلات ، ومستفعلان في ضرب الرجز ، وغير ذلك .

والكتاب - فضلا عن هذا - دعوة الى تطوير أساليب النقد العربي بحيث يساير الشعر المعاصر وبالتالي الحياة المعاصرة نفسها ، وهذه الفكرة

(٩) ابو شادي في كتاب : جماعة ابولو واثرها في الشعر الحديث صفحة ٥٢٨ لعبد العزيز دسوقي : ط الرسالة سنة ١٩٦٠م .

ترد على صورة دعوة فعلية أحيانا نجدها مبثوثة في عناوين الكتاب ، ولا سيما المتعلقة بالشعر الحر ، كما ترد على صورة فصول في النقد تحاول فيها الكاتبة ان تطور تلك الاسس التي تدعو اليها والتي تكاد تكون بمجموعها محاولة جديدة في النقد الادبي .

اما الفصول التي تضع أسسا جديدة في النقد فيمكننا التنبه اليها ، وهي :  
أ ب هيكل القصيدة : وفيه تدرس القصيدة العربية على أساس بنائها لا على أساس موضوعها . وفي هذه الدراسة تميز دقيق بين الموضوع وبناء القصيدة ، وقد انتهت فيه الى وجود ثلاثة أنواع من الهياكل ، أطلقت عليها : الهيكل المسطح ، الهيكل الهرمي ، والهيكل الذهني ، وجاءت بمثال مفصل من كل صنف . والذي يلاحظ أن الكاتبة وضعت كثيرا من الاصطلاحات الجديدة التي يحتاج اليها الناقد المعاصر ، مثل : الكفاءة ، التماسك ، الصلابة ، ومثل : الاوزان الصافية والمزوجة ، ومثل : التشكيلات وتريد بها الشكل العروضي لضرب القصيدة في الشعر الحر ، وهي تعادل في العروض القديم مجموع العروض والضرب في البيت الواحد ، ولم يضع له القدماء اسما . ومثل : التكرار البياني والاشعوري والموسيقى .

ب - الفصلان البلاغيان عن « التكرار » في الشعر الحديث . وهي محاولة جديدة كل الجدة في اقامة بلاغة عربية على أساس الشعر المعاصر ، ذهبت الكاتبة فيهما الى ان البلاغة ينبغي ان تتطور موضوعاتها بحيث تستوعب ما جد من أساليب في لغتنا . وكل من تتبع ما ورد عن التكرار في أدبنا القديم وكتبنا البلاغية يرى بوضوح أن هذين الفصلين جديدان في موضوعهما ، فقد قسمت في الفصل الاول التكرار ، بناء على ملاحظاتها للشعر قديما وحديثا : الى تكرار الحرف ، وتكرار الكلمة ، وتكرار العبارة ، وتكرار المقطع . وأتت بأمثلة ، وضعت على أساس استقراؤها لها ، شبه قواعد جمالية . لهذا التكرار . وبحثت في الفصل الثاني معاني التكرار ، كما بدت لها ، فقسمتها الى تكرار بياني ، وتكرار لا شعوري ، وغيرها وجاءت بلفظات جديدة تستحق الدراسة .

ج - ولعل أبرز الفصول - بعد ذلك - هو الفصل المعنون بـ «البند ومكانه من العروض العربي» وقد ذهبت فيه الكتابة خلافا لمن سبقها ممن درسوه الى : انه شعر ذو وزن لا وزن واحد كما توهم دارسوه ، وأثبتت ذلك بالاستشهاد ، ثم وضعت عروضاً كاملاً لهذا اللون الطريف من الشعر الذي شاع في العراق خلال القرون الثلاثة الفائتة . والذي نظنته ان هذا الفصل سيشير مناقشات من قبل المعنيين بالنقد والشعر معا .

د - ومن مزايا الكتاب التي تلفت نظر الباحثين - أخيراً - موقف المؤلف من استيراد النظريات الاوروبية وتطبيقها على الشعر العربي ، وقد فصلت هذا الموضوع النقدي الدقيق في فصل « الناقد العربي والمسؤولية اللغوية » وتوصلت الى أن قواعد النقد العربي الاساسية ينبغي ان تتبع من البيئة العربية ومن طبيعة الشعر العربي لا أن تستورد من خارج محيطها .



وبعد : في الوقت الذي نكبر فيه رائدة الشعر الحر فيما اهتمت اليه من قواعد لحركة التجديد الشعرية ، ولما ابتدئته من مصطلحات ، وتوصلت اليه من نتائج تعتبر ثروة لغوية وأدبية في النقد العربي ، نختلف معها في نقاط عدة نكتفي بإيجاز اثنين منها :

١ - المفارقة في مصطلح ( الشعر الحر ) :

ووجه المفارقة في هذا الاصطلاح انه ينطوي على تجديد في الشعر ولكننا اذا أمعنا النظر فيه نجده لم يزل يحتفظ بتعريفه عند نقاد الادب منذ عهد قدامة بن جعفر بأنه القول الموزون المقفى الذي يدل على معنى (١٠) . . . وانه تجديد نحو الحرية في الشعر ، ولكننا اذا استقرأنا ما نظم فيه نراه لم يخرج على عمود الشعر الذي حدده « المرزوقي » في مقدمته لشرح ديوان الحماسة (١١) . وهو - الشعر الحر - ينظر مبدعيه سبيل لانطلاق الشاعر

(١٠) بن جعفر : نقد الشعر - ١٣ ط الاولى القاهرة سنة ١٩٢٤ م .  
(١١) المرزوقي : شرح ديوان الحماسة ط مصر سنة ١٩٥١ صفحة - ٩ .

من قيود شكلية تعوق خياله عن الابداع والاسترسال ، وتصدّ لسانه عن التعبير والتصوير ، غير انه برفع تلك القيود قد فرضوا عليه قيودا معنوية قاسية في سبيل أن يكون ما يقوله شعرا ما دام الشعر نغما ملحنا ، وليس موسيقى فحسب .

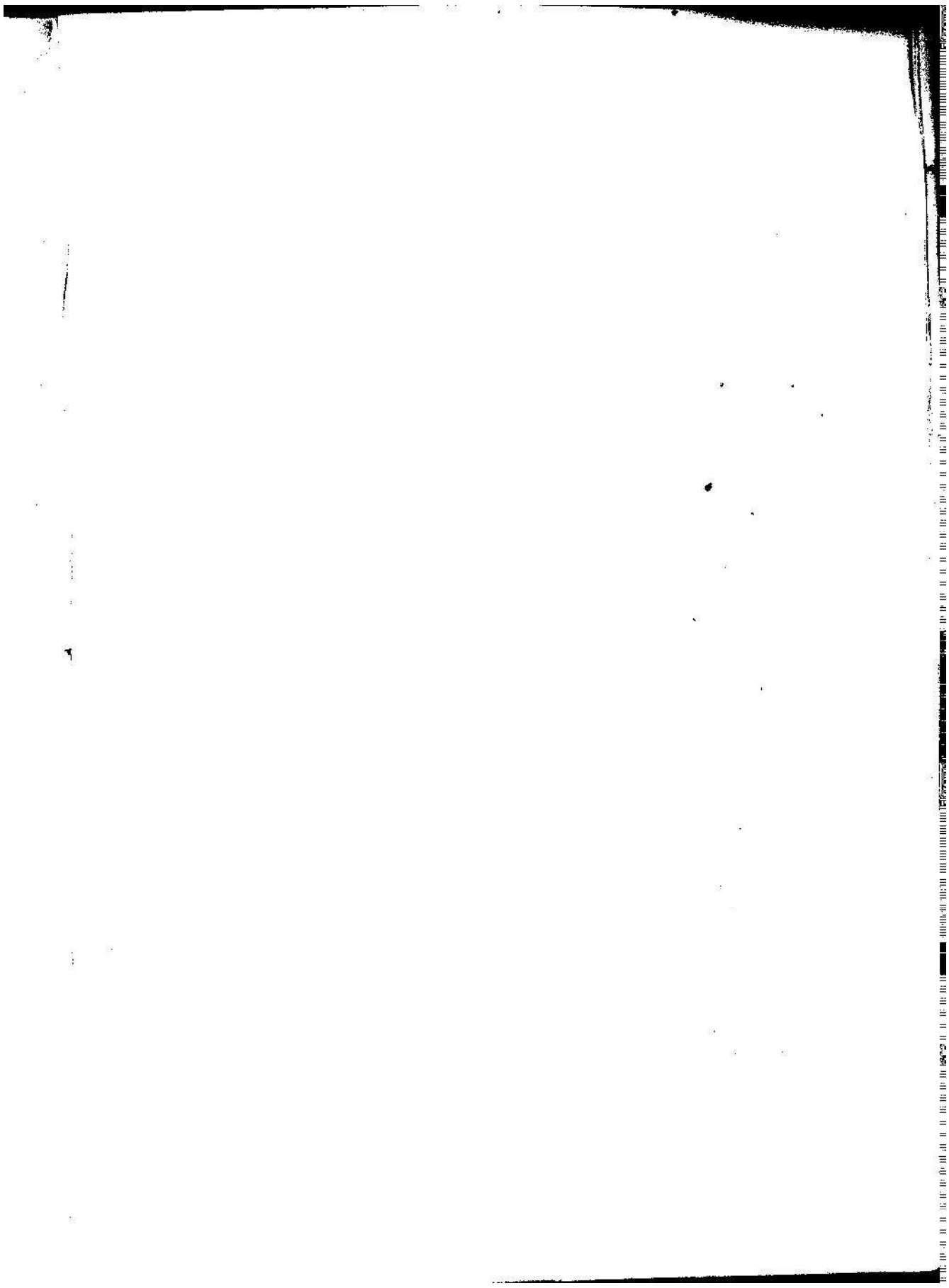
٢ - تجريد النثر من الموسيقى : في معرض الموازنة بين النثر والشعر في الفصل الذي تحدّثت به المؤلفة عن « قصيدة النثر » انتهت السى ( أن الموسيقى ملازمة للشعر لا له ) . والذي نعرفه ان للنثر الفني موسيقى تأتيه من توازن الجمل وسجعها ، ذلك التوازن الذي هو أقرب الى الوزن في الشعر ، وذلك السجع الذي هو أشبه بالقافية فيه ، مما يدلنا على انه الاصل الذي ارتقى منه الشعر ، كما كان الرجز هو الحلقة الوسطى بين النثر المتوازن المسجوع وبحور الشعر الناضجة . على ان هذا الطراز من البيان العربي قد جفاه المجددون من الكتاب أيضا حتى ولو كان عقوبتا غير متكلف ، وناله من التعريض والتنديد ما نال الشعر الموزون المقفى . .

فالتفعيلة - كما هو واضح - موجودة في النثر وبخاصة الفني منه . والموسيقى توجد فيه كما هي في الشعر ، الا أن في الوزن موسيقى لانجدها في غيره بله في عدمه حتى ليخيّل لنا ونحن نشهد قصيدة موزونة ، ان في الوزن شيئا أبعد من الموسيقى اللفظية نفسها ، هو نعم المعنى الذي كان صداه الوزن .

ولعلّ هذا هو الذي ألصق الوزن بالشعر لانه غناء في الاصل ، وجعله من خصائصه وميزاته ، ليس في لغة العرب وحسب وانما في لغات الامم جميعها ، والا فلماذا اهتدى السمع المرهف الى القافية ، وناشد انسجامها مع الوزن والمضمون ولم يكتف بالوزن مثلا ؟  
والله نسأل أن يلهنا السداد ويهدينا الرشاد .

القِسْمُ الْأَوَّلُ

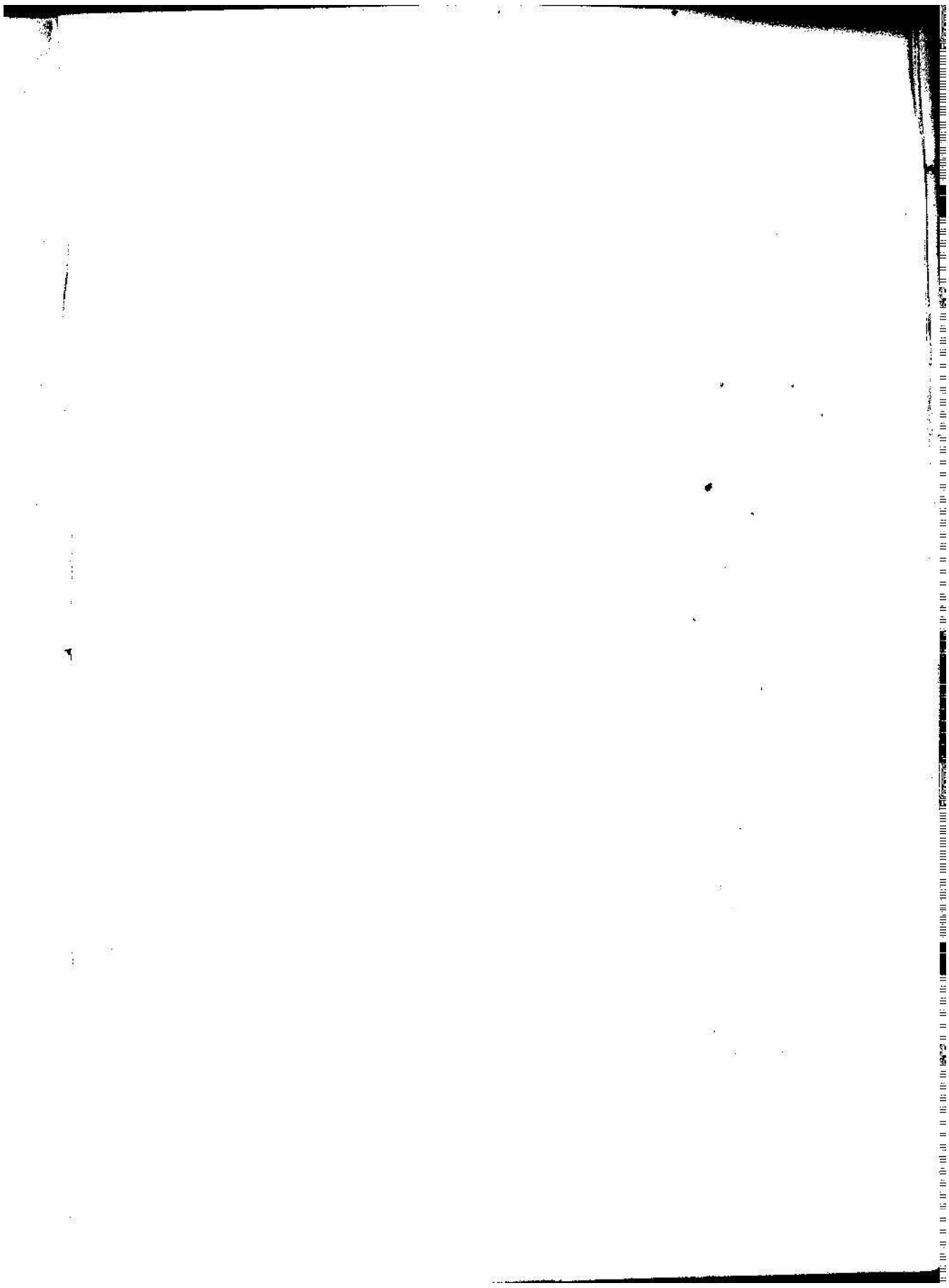
فِي السِّعْرِ الْمَرِّ



# الباب الأول

## السُّلْطَانَةُ بِعَيْنِهَا حَرَكَةُ

- بنيته وظروفه
- جلوره الاجتماعيه



## الفصل الأول

# بداية الشعر الحر وظروفه

### البداية

كانت بداية حركة الشعر الحر سنة ١٩٤٧ ، في العراق . ومن العراق ، بل من بغداد نفسها ، زحفت هذه الحركة وامتدت حتى غمرت الوطن العربي كله وكادت ، بسبب تطرف الذين استجابوا لها ، تجرف اساليب شعرانا العربي الاخرى جميعا .

وكانت اول قصيدة حرّة الوزن تشر قصيدتي المعنونة «الكوليرا» (١) وسأدرج بعضها فيما يلي وهي من الوزن المتدارك ( الخبب ) :

(١) نظمتها يوم ٢٧-١-١٩٤٧ وارسلتها الى بيروت فنشرتها مجلة (العروبة) في عددها الصادر في اول كانون الاول ١٩٤٧ وعلقت عليها في العدد نفسه . وكنت كتبت تلك القصيدة اصور بها مشاعري نحو مصر الشقيقة خلال وباء الكوليرا الذي داهمها . وقد حاولت فيها التعبير عن وقع ارجل الخيل التي تجر عربات الموتى من ضحايا الوباء في ريف مصر . وقد ساقنتني ضرورة التعبير الى اكتشاف الشعر الحر .

طلع الفجر  
أصغ إلى وقع خطى الماشين  
في صمت الفجر ، أصغ ، أنظر ركب الباكين  
عشرة أموات ، عشرونا  
لا تحص ، أصغ للباكين  
اسمع صوت الطفل المسكين  
موتى ، موتى ، ضاع العدد  
موتى ، موتى ، لم يبق غد  
في كل مكان جسد يندبه محزون  
لا لحظة اخلاذ لا صمت  
هذا ما فعلت كف الموت  
الموت الموت الموت  
تشكو البشرية تشكو ما يرتكب الموت

نشرت هذه القصيدة في بيروت ووصلت نسخها بغداد في اول كانون  
الاول ١٩٤٧ ، وفي النصف الثاني من الشهر نفسه صدر في بغداد ديوان بدر  
شاكر السياب ( ازهار ذابلة ) وفيه قصيدة حرّة الوزن له من بحر الرمل  
عنوانها ( هل كان حبا ) وقد علق عليها في الحاشية بأنها من ( الشعر المختلف  
الاوزان والقوافي ) وهذا نموذج منها :

هل يكون الحب انسي  
بتّ عبدا للتمني  
ام هو الحب اطراح الامنيات  
والتقاء الثغربالثر ونسيان الحياة  
واختفاء العين في العين اتشاء  
كانثيال عاد يفنى في هدير  
أو كظلّ في غددير

على أن ظهور هاتين القصيدتين لم يلفت نظر الجمهور، وكان تعليق مجلة (العروبة) على قصيدتي هو التعليق الوحيد على هذه النقلة في أسلوب الوزن. ومضت سنتان صامتان لم تنشر خلالهما الصحف شعرا حرًا على الإطلاق. وفي صيف سنة ١٩٤٩ صدر ديواني (نظايا ورماد) وقد ضمنتها مجموعة من القصائد الحرة، وقفت عندها في مقدمة الكتاب المسهبة وأشارت إلى وجه التجديد في ذلك الشعر، وبينت موضع اختلافه عن أسلوب الشطرين، ثم جئت بنثال من تنسيق التفعيلات.

وما كاد هذا الديوان يظهر حتى قامت له ضجة شديدة في صحف العراق، واثيرت حوله مناقشات حامية في الاوساط الادبية في بغداد. وكان كثير من المعلقين ساخطين ساخرين يتنبأون للدعوة كلها بالفشل الاكيد. غير ان استجابة الجمهور الكبير كانت تحدث في صمت وخفاء خلال ذلك، فما كادت الاشهر العصبية الاولى من ثورة الصحف والاوساط تنصرم حتى بدأت قصائد حرة الوزن يكتبها شعراء يافعون في العراق ويعمّون بها الى الصحف. وبدأت الدعوة تنمو وتتسع.

وفي آذار ١٩٥٠ صدر في بيروت ديوان أول لشاعر عراقي جديد هو عبد الوهاب البياتي وكان عنوانه (ملائكة وشياطين) وفيه قصائد حرة الوزن، تلا ذلك ديوان (المساء الاخير) لشاذل طاقة في صيف ١٩٥٠ ثم صدر (أساطير) لبدر شاكر السياب في ايلول ١٩٥٠ وتالت بعد ذلك الدواوين، وراحت دعوة الشعر الحر تتخذ مظهرها اقوى حتى راح بعض الشعراء يهجرون أسلوب الشطرين هجرا قاطعا ليستعملوا الاسلوب الجديد.

### الظروف

كانت لحركة الشعر الحر ظروف معرقة تضع في وجهها العقبات وتجعل سبيلها وعرا. بعض تلك الظروف عام يتعلق بطبيعة الحركات الجديدة اجمالا، وبعضها خاص بالشعر الحر نفسه.

اما الظروف العامة فتكمن في أن الشعر الحرّ ، شأنه شأن أية حركة جديدة في ميادين الفكر والحضارة ، قد بدأ لدنا ، حيا ، مترددا ، مدركا انه لا بدّ ان يحتوى على فجاجة البداية ، فلا بدّ له من ذلك ، لانه ، على كل حال ، «تجربة» ، ولن يفيد اخلاصه وتحتمسه من ان يزلّ أحيانا ويتخط . ذلك ان مثل هذه الحركات الادبية التي تتبع فجأة ، بسقضى ظروف بيئية وزمنية ، لا بدّ ان تمرّ بسنين طويلة ، قبل أن تستكمل أسباب النضج ، وتملك جذورا مستقرّة ، وتلين لها أداتها ، وليس من المعقول ان تولد ناضجة ، وانما تبدو عيوبها كلما ابتعدنا عنها وأوغلنا في الزمن باختباراتها الجديدة ونضج ثقافتنا واتساع آفاقنا .

واما الظروف الخاصة فتكمن في كون الشعر الحرّ حركة جديدة جابها الجمهور العربي اول مرة في هذا العصر . نقول هذا ونحن على علم بما يذهب اليه بعض الباحثين الافاضل من انها تجد جذورها في الموشحات الاندلسية ، وفي البند الذي ابدعه شعراء العراق في القرنين الماضيين او قبلهما بزمن يسير . اما الموشحات الاندلسية فأن المشهور المحفوظ منها يقوم على اساس المقطوعة ، ويحافظ على طول ثابت للاسطر ، وحتى اذا تساهل بعض التساهل في الطول ، فأن ذلك يجرى في حدود معينة تجعل الموشح ابعدا ما يكون عن الشعر الحرّ . وانما الشعر الحرّ شعر تفعيلة ، بينما بقي الموشح شعرا شطريا . وسوف نبسط ذلك في موضعه من الكتاب .

واما البند فالمعروف انه اسلوب مجهول لدى الجمهور العربي ، ولم يكتبه الا شعراء العراق ، وانا شخصيا لم أسمع به قبل سنة ١٩٥٣ ، على قوة اهتمامي بالشعر العربي . وذلك طبيعي منتظر ، فلا كتب العروض تشير الى البند ، ولا كتب الادب المتداولة ، ولا مدرّسو الادب يذكرونه في صفوفهم . ثم ان كبار الشعراء في عصور الادب العربي الزاهرة لم يمارسوا نظمه ، وانما اقتصر على استعماله شعراء العراق المتأخرون ، وكان أشبه ما يكون بأسلوب عامي للمراسلات الاخوانية الطريفة . نقول ذلك كله لانتقص من قيمة البند

الجمالية ، وانما لنبين ان الشعر الحرّ لم يتحدّر منه من جهة ، وان وجوده لم يساعد الجمهور العربي على تقبل حركة الشعر الحر حين قيامها من جهة اخرى . وليست العبرة بوجود نمط من انماط الشعر ، وانما العبرة في معرفة الجمهور والشعراء له بحيث يؤثر في اتجاهاتهم .

ولعلّ ابرز الادلة على أن الحركة كانت وليدة عصرنا هذا ، ان اغلبية قرائنا ما زالوا يستكرونها ويرفضونها ، وبينهم كثرة لا يستهان بها تظن أن الشعر الحرّ لا يسلك من الشعرية الا الاسم فهو نثر عادي لا وزن له .

تلك هي الظروف الخاصة للشعر الحرّ . ولا يخفى أن الحركة الادبية التي تبت فجأة على هذه الصورة تفقد ميزة هامة مما يملكه الادب الذي يتطور متدرّجاً . ذلك انها لا تملك قواعد تستند اليها ، ولا أسساً تجرى وفقها بحيث تأمن الخطأ والزلل . وانما لا بدّ لاتباعها ، وهم يسندونها ويرفعون صوتها ، من مجازفة وتضحية . وانه لموجع للشاعر المخلص لفنّه ، ان يكتب وهو على علم بأنه يخوض ميدانا جديدا قد يقضي على شاعريته ، ان يؤدي بسمته الشعرية التي جهد لبنائها وسهر .

وتنتيجة لهذه الظروف العامة والخاصة ، سهل ان يسقط المبتدئون من الشعراء في التشابه والتكرار المللّ ، فينهج الواحد منهم نهج زملائه الآخرين دونما ابتكار ، لا عن تقليد واع ، وانما على صورة لاواعية . ذلك ان السنن الوخيدة الموجودة هي قصائد الآخرين ، وهي ما زالت قليلة نسبياً . والمعروف ان الشاعر الذي يعجب بوزن قصيدة من القصائد فيعارضه لا يستطيع ان ينجو من السقوط في « معارضة » معانيها وجوّها وحتى سقطاتها ايضا . وقد كان هذا احد وجوه الخطر الكثيرة التي تضمنتها حركة الشعر الحرّ حين قيامها اول مرة . وما لبثت مظاهره حتى بدأت تلوح على بعض الشعر الحرّ الذي يكتبه الناشئون ، فلم يعد من النادر ان تشابه قصائد الشعراء في موضوعاتها والفاظها وأجوائها وأخيلتها . وان الخطأ في شعر الواحد ليسري سريانا مدهشا

في شعر الآخرين وكأنه بات سنة تحتذى لا خطأ ينبغي نحاشيه .  
على ان مشاكل حركة الشعر الحر لم تقتصر على مزالق الظروف وانما  
جاءتها من جهات أخرى سندرستها في الفقرة التالية .

### المزايا المضللة في الشعر الحر

تبدو الاوزان الحرة ، وكأنها تستلك مزايا عظيمة تسهل على الشاعر  
مهمة التعبير ، وتهيء له جوا موسيقيا جاهزا يستطيع ان يمنحه قصيدته دونما  
جهد كبير . والحقيقة التي سرعان ما يكتشفها كل شاعر ناضج لا تخدعه  
المظاهر ، ان ما يبدو لنا اول وهلة مزايا في الاوزان الحرة ينقلب حين تفحصه  
الى مزالق خطيرة . وهذه المزالق قادرة على ان تخلق من امكانيات الابتذال  
والرخاوة في الشعر الحر ما هو خليق بأن يسبب للشاعر قلقا محققا على شعره .  
ان اقل تهاون من جانب الشاعر يكفي لدفع القصيدة الى درك الابتذال وعامية  
اللسن .

وسوف تتناول هذه المزايا الخادعة في الشعر الحر فيما يلي وهي ثلاثة :

(أولا) الحرية البراقة التي تمنحها الاوزان الحرة للشاعر . والحق انها  
حرية خطيرة . ان الشاعر يلوح معها غير ملزم باتباع طول معين لاشطره ،  
وهو كذلك غير ملزم بأن يحافظ على خطة ثابتة في القافية . فما يكاد يبدأ  
قصيدته حتى تطلب لبه السهولة التي يتقدم بها ، فلا قافية تضايقه ولا عدد  
معينا للتفعيلات يقف في سبيله ، وانما هو حر ، حر ، سكران بالحرية ، وهو ،  
في نشوة هذه الحرية ، ينسى حتى ما ينبغي الا ينساه من قواعد ، وكأنه  
يصرخ بألمة الشعر : « لا نصف حرية ابدأ . اما الحرية كلها أو لا ! » وهكذا  
ينطلق الشاعر حتى من قيود الاتزان ووحدة القصيدة واحكام هيكلها وربط  
معانيها ، فتتحول الحرية الى فوضى كاملة .

(ثانيا) الموسيقية التي تمتلكها الاوزان الحرة ، فهي تساهم مساهمة  
كبيرة في تضليل الشاعر عن مهمته . انها سعلة الشعر الحر الخفية ، وفي

ظلمها يكتب الشاعر احيانا كلاما غنا مفككا دون ان ينتبه ، لان موسيقية الوزن وانسيابه يخدعانه ويخفيان العيوب . ويفوت الشاعر ان هذه الموسيقى ليست موسيقى شعره وانما هي موسيقى ظاهرية في الوزن نفسه ، يزيد تأثيرها ان الازان الحرة جديدة في ادبنا ولكل جديد لذة . وعلى هذه الصورة تنقلب موسيقية الازان الحرة وبالا على الشاعر ، بدلا من ان يستخدمها ويسخرها في رفع مستوى القصيدة وتلوينها .

(ثالثا) التدفق ، وهي مزية معقدة تفوق المزيين السابقين في التعقيد . وينشأ التدفق عن وحدة التفعيلة في أغلب الازان الحرة ، فانما يعتمد الشعر الحر على تكرار تفعيلة ما مرّات يختلف عددها من شطر الى شطر . وهذه الحقيقة تجعل الوزن متدفقا تدفقا مستمرا ، كما يتدفق جدول في ارض منحدره ، وهي كذلك مسؤولة عن خلوه من الوقفات . والوقفات ، كما يعلم الشعراء ، شديدة الاهمية في كل وزن ، ولا يدرك الشاعر مدى ضرورتها الا حين يفقدها في الشعر الحر . انه اذ ذلك مضطرا الى مضاعفة جهده ، وحشد قواه لتجنب «الانحدار» من تفعيلة الى تفعيلة دونما تنفس . ونلاحظ اسلوب الوقوف في اوزان الخليل وتقارنه بما يقدمه الشعر الحر من امكانيات في هذا الباب .

ان البحور الستة عشر ذات الشطرين ، تقف عند نهاية الشطر الثاني من البيت وقفة صارمة لا مهرب منها ، فتنتهي الالفاظ وينتهي المعنى وتقوم حدود البيت واضحة فتتميّزه عن البيت التالي . اما الشعر الحر فانه لا يمتلك اية وقفات ثابتة ، وانما يترك فيه الشاعر حرا ليقف حيث يشاء . ومعنى ذلك ان الشاعر ، في الشعر الحر ، ليس ملزما ان ينهي المعنى عند آخر الشطر ، وانما يجعل من حقه ان يمد المعنى الى الشطر التالي او ما بعده . وعلى هذا تترك مسألة الوقوف للشاعر يتصرف فيها بما ييلي ذوقه . ومن هنا ينهض المشكل . لقد ثبت لنا ان اغلب الشعراء الناشئين الذين كتبوا الشعر الحر كانوا دون مستوى هذه الحرية التي اعطيت لهم ، فقد راحوا يكتبون بلا توقف ، فكان المرء ، وهو يقرأ شعرهم ، يجري في معترك لاهث لا راحة فيه . وما من شك

في ان الناضجين من الشعراء يقدرون عظم المسؤولية التي تلقوها الحرية على عواتقهم . ذلك ان هذا الوزن الحر لا يقدم اية مساعدة وانما يقع العبء كله على سياق المعنى ، وارتباطات الالفاظ في القصيدة ، وليس هذا بالامر الهين .

### نتائج التدفق في الاوزان الحرة

هذه « التدفقية » التي لاحظناها تؤدي الى قيام ظاهرتين ملحوظتين في الشعر الحر يمكن ان نعدّهما من عيوبه :

أ - تجنح العبارة في الشعر الحر الى ان تكون طويلة طولاً فادحاً وهذا نموذج من قصيدة لبدر شاكر السياب :

وكان بعض الساحرات  
مدّت اصابعها العجاف الشاحبات الى السماء  
تومي الى سرب من الغربان تلويه الرياح  
في آخر الافق المضاء  
حتى تعالي ثم فاض على مراقبه الفساح<sup>(١)</sup>

هذه الاشطر كلها عبارة واحدة ، وليست فيها وقفة من اي نوع . وهذا مثال ثان من قصيدة لعبد الوهاب البياتي :

اترى الظلال الهائمات وراءه وعت الغناء  
فاسترسلت في شبه حلم واستفاقت للمساء  
تروي احاديث الصييات المواتي كن يصطدن الرجال  
بغنائهن وراء أسوار الليال .<sup>(١)</sup>

(١) قصيدة (حفار القبور) لبدر شاكر السياب . مطبعة الزهراء . بغداد ١٩٥٢ (ص ٣) .  
(١) قصيدة (الظلال الهائمة) لعبد الوهاب البياتي . مجلة الاديب . سبتمبر ١٩٥٢ (ص ٤١)

العبارة هنا سؤال وبترها خلال القراءة عسر ، لان نبرة التساؤل التي تبدأ بقوله « أترى الظلال » ينبغي الاّ تنتهي قبل لفظ ( الليال ) . وهذا الطول في العبارة عيب تساعد عليه طبيعة الشعر الحرّ ، ولا بدّ للشاعر من الوعي المتصل لكي يتحاشاه . والحقيقة اننا ، لو تأملنا قيود الاوزان الحرّة لوجدناها لا تقلّ عن قيود أوزاننا القديمة ان لم تزد ، فالوقفة اضطرارية في الحالتين وان اختلفت اسبابها . وذلك أمر يحتم على الشاعر الحرّ ان يتبع نظاما صارما في صياغة عباراته بحيث يعوّض عن القيود الجبريّة في نظام الشطرين .

ب - تبدو القصائد الحرّة وكأنها ، لفرط تدفقها ، لا تريد ان تنتهي ، وليس أصعب من اختتام هذه القصائد . وسبب هذه الظاهرة ما سبق ان نهنا اليه من انعدام الوقفات . ففي نظام الشطرين تقدّم الوقفة القسرية للشاعر مساعدة كبيرة ، لانها هي في ذاتها وقفة ، فلا يبقى على الشاعر الا ان يختم المعنى ، وهنا تستطيع آية عبارة جمهورية قاطعة ان تؤدي المهمة ، خاصة في قصائد الوصف والمناجاة ونحوها . اما في الوزن الحرّ فان الوقفات الطبيعية معدومة ، والشاعر ، حتى اذا استعمل أشد العبارات جمهورية وقطعا ، يحسّ ان القصيدة لم تقف ، وانما استمرت تتدفق ، وعليه لذلك ان يستمرّ في تغذيتها واطالتها رغم انتهائه مما أراد أن يقول . وتشتدّ المتاعب في قصائد الوصف والمناجاة لاسباب تتعلق بطبيعة هذه القصائد ، ولذلك تصلح الاوزان الحرّة للشعر القصصي والدرامي أكثر من صلاحيتها لغيره .

#### الخواتم الضعيفة للقصائد الحرّة

يلوح لنا ، من مراجعة الاساليب التي يختم بها الشعراء قصائدهم الحرّة ، انهم شاعرون ، ولو دون وعي ، بصعوبة إيقاف التدفق الطبيعي في الوزن الحرّ . ولذلك يلجأون الى أساليب شكلية غير مقبولة يحاولون بها ان يغلبوا تلك الصعوبة .

من تلك الاساليب اختتام القصيدة بتكرار مطلعها ، ونسودجه قصيدة

بلند الحيدري يبدأها ويختتمها بالمقطع التالي : (١)

يا صديقي  
لم لا تحمل ماضيك وتمضي عن طريقي  
قد فرغنا واتهينا  
وتذكرنا كثيرا ونسينا (٢)

وليس هذا الاختتام محض صدفة ، فالشاعر قد استعمله في قصائد كثيرة غير هذه منها (أعماق) و (لن أراها) و (حب قديم) و (غدا نعود) في ديوانه (اغاني المدينة الميتة) ثم ان هذه الظاهرة لا تقتصر على بلند الحيدري ، فهي تطل علينا في شعر عبد الوهاب البياتي (١) ونحن نلمحها عند بدر السياب (٢) وعند شاذل طاقه (٣) والواقع أن تعاقب اختتام القصيدة بتكرار مطلقا لدى هؤلاء الشعراء جميعا يشي بأنهم يستشعرون الصعوبة التي أشرنا إليها في اختتام القصائد الحرة فيلجأون الى هذه الوسيلة الشكلية . والواقع أن هذا الأسلوب ليس الا تهربا من الشاعر ، يهرب فيه من صعوبة الاختتام الطبيعي . وهو انما يقع في ذلك التهرب تحت ضغط الشعر الحر . وليس التكرار هنا الا نوعا من التنويم يحدّر به الشاعر حواس القارئ موجيا اليه بأن القصيدة قد انتهت .

ومن الأساليب التي يلجأ إليها الشعراء في اختتام القصائد الحرة أسلوب لجأ اليه بدر شاكر السياب في قصيدته « حفار القبور » . قال في آخر تلك

- 
- (١) قصيدة « يا صديقي » لبلند الحيدري . ديوان (اغاني المدينة الميتة) .  
(٢) لا يخفى أن (نسينا) بعينها المكسورة لا تصلح قافية تقابل « انتهينا » والظاهر أن الشاعر غافل عن ذلك لأنه يقرأها بفتح السين .  
(٣) قصيدة (تمت اللعبة) البياتي . مجلة الادب اكتوبر ١٩٥٢ .  
(٢) قصيدة (في القرية الظلماء) ديوان اساطير . بدر شاكر السياب . النجف . ١٩٥٠ .  
(٣) قصيدة (حصاد النار) لشاذل طاقه . ديوان المساء الاخير . مطبعة الاتحاد الجديد . الموصل . ١٩٦٠

القصيدة الطويلة :

وتظلّ أنوار المدينة وهي تلمع من بعيد  
ويظلّ حفار القبور  
بنأى عن القبر الجديد  
متعثر الخطوات يحطم باللقاء وبالخور  
وقال في خاتمة قصيدة أخرى :

ويلوح ظلك من بعيد وهو يوميء بالوداع  
وأظلّ وحدي في صراع (٤)

اني استسي هذا الاسلوب في الاختتام اسلوب « ويظلّ .. » ، وهو  
ليس مقصورا على بدر السياب ، كما قد يظن ، فهذه مثلا خاتمة قصيدة  
لبند الحيدري : (١)

ويدور فيها العقبان

تك . تك .

يا للجان

يا للجان متى سيوميء بالوداع ؟

وأظلّ أزحف في صراع

هذه القصائد كلها تختتم بأسلوب « ويظلّ » وهو أسلوب تويهي  
كالسابق ، لانه يسلم المعنى الى استمرارية مريحة وكان الشاعر يقول للقارىء :  
« وقد استمر الامر على هذا .. » وبهذا ينتهي دوره ، ويصح للقصيدة  
أن تنتهي .

وانما المسؤول عن هذا كله هو الطبيعة المتدفقة للشعر الحر . على ان  
هذه الطبيعة ينبغي الاتعفي شاعرا ناضجا من انهاء قصيدته انهاء فنيا مقبولا .

(٤) قصيدة (اللقاء الاخير) لبدر شاكر السياب .

(١) قصيدة «محاولة» لبند الحيدري . مجلة الاديب يوليو ١٩٥٢ (ص١٦) .

## عيوب الوزن الحر

إذا كانت مزايا الشعر الحرّ الثلاث : الحرية والموسيقية والتدفق قد استحالَت شراكا للشاعر ، فما بالنّا بالعيوب التي يتضمنها هذا الوزن ؟ وإنما تنشأ تلك العيوب عن طبيعة الشعر الحرّ نفسه ، وأبرزها عيان اثنان يرتكز كل منهما الى تركيب التفعيلات في الشعر الحرّ وسنقف عندهما فيما يلي :

أ - يقتصر الشعر الحرّ بالضرورة على ثمانية بحور من بحور الشعر العربي الستة عشر ، وفي هذا للشاعر عيب يضيق مجال ابداعه . فلقد الف الشاعر العربي أن يجد امامه ستة عشر بحرا شعريا بوافيها ومجزؤها ومشطورها ومنهوكها . وقيمة ذلك في التنويع والتلوين ومسايرة مختلف أغراض الشاعر كبيرة ، بحيث يصبح اقتصار الشعر الحر على نصف ذلك العدد تقصا ملحوظا فيه .

ب - يرتكز اغلب الشعر الحرّ - ستة بحور منه من ثمانية - الى تفعيلة واحدة . وذلك يسبب فيه رتابة مملّة ، خاصة حين يريد الشاعر أن يطيل قصيدته . وعندئذ أن الشعر الحرّ لا يصلح للملاحم قط ، لأن مثل تلك القصائد الطويلة ينبغي أن ترتكز الى تنويع دائم ، لافي طول الايات العددية فحسب ، وإنما في التفعيلات نفسها والا ستمها القاري . ومما يلاحظ ان هذه الرتابة في الاوزان تحتم على الشاعر أن يبذل جهدا متعبا في تنويع اللغة وتوزيع مراكز الثقل فيها ، وترتيب الافكار ، فهذه كلها عناصر تعويض تخفف من وقع النغم المملّ .

### امكانيات الشعر الحر ومستقبله

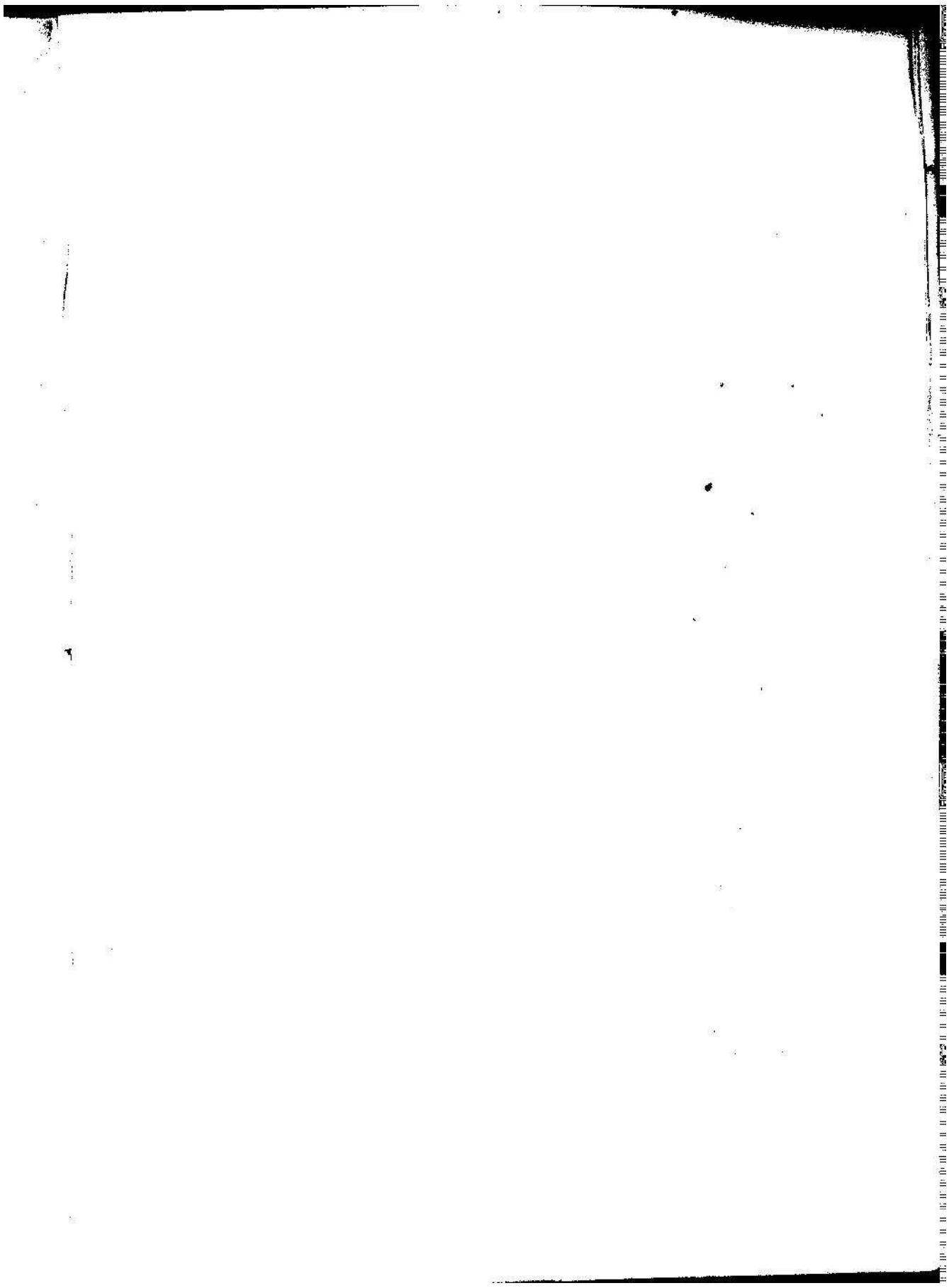
مؤدّي القول في الشعر الحرّ انه ينبغي الا يطغى على شعرنا المعاصر كل الطغيان ، لأن أوزانه لا تصلح للموضوعات كلها ، بسبب القيود التي تفرضها عليه وحدة التفعيلة وانعدام الوقفات وقابلية التدفق والموسيقية . ولسنا ندعو بهذا الى نكس الحركة ، وإنما نحبّ ان نحذر من الاستسلام المطلق لها ، فقد أثبتت التجربة ، عبر السنين الطويلة ، أن الابتدال والعامية يكمن خلف

## الاستهواء الظاهري في هذه الاوزان .

والحق ان الحركة قد بدأت تتعد عن غاياتها المفروضة منذ سنة ١٩٥١ ، ولا نظن هذا غريبا ، ولا داعيا للتشاؤم . فلو درسنا الحركة من وجهتها التاريخية لوجدنا انها لا تختلف عن أية حركة أخرى المتحرر ، سواء أكانت وطنية أم اجتماعية أم أدبية . وفي التاريخ مئات الشواهد على ثورة الجعاعات ومبالغتها في تطبيق مبادئ الثورة وسقوطها في الفوضى والابتذال قبل استقرارها الأخير . ولهذا نحس بالاطمئنان الى سلامة الحركة ، رغم مظاهر الرخاوة والاسفاف التي غسرتها .

وإذا كنت قد تنبأت في سنة ١٩٥٤ - في مقال لي نشرته مجلة الاديب - بأن حركة الشعر الحر : «ستتقدم في السنين القادمة حتى تبلغ نهايتها المتبدلة» فهي اليوم في اتساع سريع صاعق ، ولا أحد مسؤول عن أن شعراء نرى المواهب ، ضحلي الثقافة سيكتبون شعرا غثا بهذه الاوزان الحرّة « (١) إذا كنت قد تنبأت بذلك ، فأنا أجد نبؤتي تلك قد تحققت بكل حرف فيها . وإذا صح لي ان اطرح نبوءة جديدة ، أنبئها على مراقبتي للموقف الادبي في وطننا العربي اليوم ، فأنا أتنبأ بأن حركة الشعر الحر ستصل الى نقطة الجزر في السنين القادمة - وسوف يرتد عنها أكثر الذين استجابوا لها خلال السنين العشر الماضية . على ان ذلك لا يعني انها ستموت . وانما سيبقى الشعر الحر قائما ما قام الشعر العربي وما لبثت العواطف الانسانية . وسوف ينتهي التطرف الى اتزان رصين ، ويجني الادب العربي من الحركة ثمراتها . وأما الشعراء الذين ذهبوا ضحايا لمزالق الشعر الحر ، ولا بد لكل حركة ناجحة من ضحايا ، فحسبهم انهم هم الذين انقذوا الشعر من الهاوية ، ولقد أعطونا نماذج للرداءة والتخبط تحسينا من أن تقع في مثلها فكانوا بذلك خلاص الشعر الحديث دون أن يدروا .

(١) راجع بحثنا المعنون (حركة الشعر الحر في العراق) مجلة الاديب . يناير ١٩٥٤ وقد دخل كثير منه في هذا البحث .



## الفصل الثاني

### الجدور الاجتماعية لحركة السمر الحر

لعل القانون الذي يتحكم في حركات التجديد عامة هو انها كلها محاولات لاحداث توازن جديد في موقف الفرد والامة بعد ان اعترت الموقف عوامل خارجية فرضت عليه ان تتخلخل بعض جهاته وتبيل . وسرعان ما يصبح التجديد حاجة ملزمة تفرض نفسها فرضا فلا تملك الامة الا ان تلبى طائعة وتستسلم لهذا الزائر الذي يطرق الباب ملحا . ولقد ألفت المجتمعات الانسانية عبر التاريخ ، ان تقابل التجديد في كثير من الرية والتحفظ فلا تقبله الا بعد رفض طويل ومقاومة تبدو فيها الجماعات وكأن حافزا أقوى منها يدفعها الى ان تحمي نفسها من هذا الطارق المريب . وقد ألفتنا أيضا ان ترى المجددين يسخطون على هذا التردد الذي يقابل به تجديدهم ويرمون الجماهير بالجمود والبلادة وقلة القدرة على تقدير الابداع . على ان النظرة الاجتماعية

المتأمل لا بد أن تجعلنا أقل لوما للجمهور ، فما هذا التحفظ في الواقع إلا صوت التماسك والأصالة في شخصية الأمة التي ترفض أن تنهار بازاء كل فكرة جديدة تعرض ، والا لم تعد أمة ولم يعد في امكانها ان تحفظ تراثها . ان التحفظ ، بالمعنى البيولوجي ، ضرب من الدفاع عن النفس يواجه به الفرد الانساني عوامل العدوان ومخاطر المفاجأة التي تعترضه . وذلك لان تقبلنا لاي رأي نصادفه يعني في حقيقة الامر ، ان تهدم تهدينا كاملا ثم نعيد بناء انفسنا بحيث تلتئم هذه المادة العربية مع المواد السابقة التي اخترناها في اذهاننا ، ولذلك وحسب لا نستطيع ان نتكرم بقبول كل رأي يعرض علينا ، وانما لا بد لنا ان نترث ونقاوم . ان طبيعتنا تفرض علينا هذا التحفظ بازاء الافكار ، كما تفرض علينا قواعد الصحة ان تحفظ بازاء الحالات المفاجئة من الحرارة والبرودة والضغط ، والتحفظ في الحالتين يتضمن المحاولة الدائبة لاعداد الفكر والجسم اعدادا متدرجا لقبول الحالة الجديدة دونما تمزق أو أذى ، ذلك ان كل رأي جديد يعرض للامة يتضمن هزة كاملة لكيانها العقلي والنفسي ، فلا نستطيع ان تقبله فورا ، وانما لا بد لها ان تعدل في مضموناتها السابقة وتعيد تنظيمها حتى تلتئم مع الحالة الجديدة .

لقد كانت هذه الحالة من الانكماش والرفض رد الفعل الاول الذي لقيه حركة الشعر الحر حين انبثقت أول مرة في العراق ، فقد قابلها الادباء والجمهور مقابلة غير مرحبة ورفضوا ان يتقبلوها وعدوها بدعة سيئة النية غرضها هدم الشعر العربي . وانما كانت فكرة اقامة القصيدة العربية على « التفعيلة » بدلا من ( الشطر ) صدمة للجمهور لانها سألته ان يحدث تغييرا اساسيا في مفهوم الشعر عنده ، وقد كان لا بد للجمهور العربي ، وهو يحمل ثقافة غنية عريقة ، ان يتسلك في وجه هذا الطلب المفاجيء ، ويرفضه ريثما يدرسه ويفسح له مكانا .

لقد ألفت هذا الجمهور أن يرض له شعراؤه القدماء ثلاث تفعيلات او

اربعاً في وحدة ثابتة اعتاد أن يسميها الشطر ، فإذا هو يفتح عينيه فجأة ذات صباح فيرى أمامه قصائد أشطرها لا تتقيد بعدد معين من التفعيلات ، فقد يرد شطر ذو تفعيلتين يليه آخر ذو أربع تفعيلات وثالث ذو تفعيلة واحدة . اعتاد الجمهور أن يكون البيت ذو الشطرين وحدة في القصيدة ، فإذا هو اليوم يقرأ شعراً حطّم فيه استقلال البيت تحطيماً متعمداً قضى على عزله وأدمجه في الأبيات الأخرى . كان العروضيون يتحدثون مثلاً عن وزنين متيزين اسهما « الكامل » و « مجزوء الكامل » فإذا الشاعر الحديث يدمج الوزنين حين يريد ويعدّهما وزناً واحداً لأن تفعيلتهما واحدة .

والواقع أن ملخص ما فعلته حركة الشعر الحرّ أنها نظرت متأملة في علم العروض القديم واستعانت ببعض تفاصيله على أحداث تجديد يساعد الشاعر المعاصر على حرية التعبير وإطالة العبارة وتقصيرها بحسب مقتضى الحال . ولم تصدر الحركة عن اهتال للعروض ، كما يزعم الذين لا معرفة لهم به ، وإنما صدرت عن عناية بالغة به جعلت الشاعر الحديث يلتفت إلى خاصية رائعة في ستة بحور من الشعر العربي جعلها قابلة لأن ينبثق عنها أسلوب جديد في الوزن يقوم على القديم ويضيف إليه جديداً من صنع العصر .

وما كاد الجمهور العربي يتسامع بالدعوة حتى أسرع إلى رفضها وإساءة الظن بها واتهمها . وكانت أحب التهم إلى قلوب المعارضين أن الشباب من الشعراء قد أحدثوا طريقة يتخلصون بها من صعوبة الأوزان العربية القائمة وتعينهم على تغطية كسلهم وضحالة مواهبهم الشعرية . قالوا إن الحرية من القيود العروضية استسلام إلى السهولة والرخاوة ولجوء إلى الترف ، وإن هذا الشعر الحرّ قضية هينة يسيرة يستطيعها حتى من لم يكن شاعراً . والواقع أنه ليس من الثابت فلسفياً أن الحرية أسهل من اتباع القيود . ولعل الأمر أن يكون على العكس . وذلك لأن كل حرية ، على الإطلاق تتضمن مسؤولية . لقد كانت الإنسانية في كل زمان ومكان ، حريصة على قيودها فبقيت تجربتها وتتسك بها مع أنها تحز عنقها وزراعيتها ، لا لشيء إلا لأن هذه القيود تحمي

من متاع الحرية ومسؤولياتها ومازقتها ، وما القيود ، اذا تأملنا ، الا طرق  
ممهدة مرصوفة تعطي الانسانية الامان والشعور بالاستقرار . انها اشبه بسياج  
عال يحمي المحبوسين فيه من احتسالات الضلال . والذهن الكسول يجد في  
القيود راحة لانها تقيه مشقة الاختيار ومخاوف الاستقلال . وعلى هذا الاساس  
وضعت المجتمعات القوانين الصارمة والنظم ورسفت الخطط المفصلة لكل  
مسلك انساني . ان الحرية خطيرة لانها تتضمن مغامرة فردية يجازف فيها المرء  
براحته وكيانه ، ولن يقوى على مخاوفها الا من كان شديد الثقة بنفسه . واذا  
كان التقييد رصفا لطريق واضح لاتبه فيه الخطى ، فان الحرية تترك الانسان  
وحيدا بازاء عشرات من الطرق عليه ان يختار منها ما يلائم رغباته وظروفه .  
وانه ليدرى ان بعض هذه الطرق قد تورده موارد الهلاك والدمار . لذلك  
يؤثر اغلبية البشر ان يقبلوا القيود ويعيشوا في ظلها آمنين . ولعلمهم في صميم  
أنفسهم ينظرون الى الحرية وكأنها مقامرة غير مضمونة أو معاهدة مع الشيطان .  
وهذا محزن للذهن المتأمل ، غير ان الانسانية ، كما قلنا ، تؤثر سعادتها وسلامتها  
على كل شيء آخر . ومعها الحق .

على اننا ، ونحن نفنّد مزاعم المعارضة ، غير مضطرين الى الاكتفاء بفكرة  
نظرية حول الحرية ، فان الشعر الحرّ الذي يبلا الكتب والصحف اليوم يدّنا  
هو نفسه بالدليل على ان الحرية أصعب من التقييد . فلو أنشأنا دراسة مفصلة  
تقوم على الاحصاء وقارنتا بين الاغلاط العروضية الواردة في الشعر المعاصر  
قبل الشعر الحرّ وبعده ، لدلت النتائج على ان من اسهل الامور ان يقع  
الشاعر الذي يستعمل الاسلوب الحرّ في اغلاط الوزن والزحاف . وأبرز  
دليل على ما نذهب اليه ان الشعارين نزار قباني وفدوى طوقان يكتبان قصائد  
بالاوزان القديمة وقصائد حرة فلا تقع اغلاط الوزن الا في قصائدهما الحرّة .  
وان الناقد العروضي لبيتسم عاذرا حين يرى هذه الظاهرة الطريفة ، فلن يرتاب  
أحد بسمو شاعرية نزار وفدوى ، وقد اعترف لهما العصر برهافة السمع .  
ولكن الشعر الحرّ كله مزلق ، وهو ينصب شركا ، فاذا لم يكن الشاعر على

حذر ، كان من السهل ان ينتقل فجأة من الرجز الى السريع او المنسرح لمجرد ان  
(مستفعلن) تنصدر البيت .

### الشعر الحر اندفاعه الاجتماعية

كان السؤال الذي انصبّت حوله مناقشات المعتضين على « البدعة »  
يتركز حول الاسباب الداعية التي دفعت هذه « الفئة الضالة » من الشباب الى  
تبني حركة لقلب الاوزان العربية . وقد ذهبوا في التأويل مذاهب شتى ، فقال  
بعضهم ان الشباب مولع بالاعراب والشذوذ ، وقال آخرون ان الجيل الجديد  
كسول يضيق بالجهد ولا يصبر على متاعب الشطرين وأهوال القافية الموحدة  
فتخلص الى السهولة . ورأت فئة ثالثة ان الحركة بجملها منقولة عن الشعر  
الاوروبي ولا علاقة لها بالشعر العربي .

والحق ان هذه المزاعم لا تخلو من مثل ذلك الصدق العفوي الذي نجده  
مصاحبا حتى لاكثر الاحكام بعدا عن رصانة التأمل ووضوح القصد . ولعل  
السذاجة في الحياة الانسانية لا تخلو من الحكمة خلوا تاما مهما بلغت درجتها .  
غير ان في امثال هذه الاحكام المتسرعة ، على كل حال ، تفاضيا لا يسكت عنه  
عن بعض الحقائق الاولية المتعلقة بالمجتمعات ونموها وتطورها . أفتراه من  
الممكن ان تنشأ حركة في مجتمع ما ويستجيب لها جيل من الناس على مدى  
عشر سنين بطيئة طويلة دون ان تمتلك جذورا اجتماعية تحتم انبثاقها وتستدعيه؟  
أمن الجائز أن تنبعث هذه الحركة من أعماق الفراغ والسكون دونما جذور  
ولا روابط ولا مسببات ؟ وما الذي يجعل حركة ما تظهر في عصر معين دون  
عصر ؟

في الواقع أن الافراد الذين يبدأون حركات التجديد في الامة ويخلقون  
الانماط الجديدة ، انما يفعلون ذلك تلبية لحاجة روحية تبهظ كيانهم وتناديهم

الى سدّ الفراغ الذي يحسونه . ولا ينشأ هذا الفراغ الا من وقوع تصدع خطير في بعض جهات المجال الذي تعيش فيه الامة . ويطلب ان يكون الفرد المبدع غير واع وعيا حقا لهذا التصدع ، غير انه ، مع ذلك ، يندفع الى التجديد الذي يعوض عما تصدع ، وهو في هذا مقود بمحتمات بيئية قاهرة لا قدرة له على مقاومتها . انه يشعر بضغط داخلي مستبدّ يدفعه دفعا الى احداث هذا الجديد . ولعله في اندفاعه الى الابداع ينساق بعين الدافع القسريّ الذي يجعل ماء ذا مستوى عال يندفع الى اول بقعة منخفضة يصادفها ولا يكف حتى يملأها . ان تشبهنا هذا ليس رديئا ، فلعلّ علم الاجتماع يقرنا على هذا الاعتراف بسطوة التيارات الاجتماعية على الذهن الانساني . هذا بالاضافة الى انما يسونه بدعوة «الفن للحياة» تستريح الى مثل هذه الفكرة التي تجعل المجتمع هو الجذر الاساسي لكل حركة أدبية .

ولعل الدليل على ان حركة « الشعر الحر » كانت مقودة بضرورة اجتماعية محضة هو ان محاولات وأدائها قد فشلت جميعا ، فسا زال تيار الشعر الحر يشتد ويتلاطم حتى اضطر مؤثر الادباء العرب الثالث في القاهرة الى ان يعترف به رسيا ويدخله في ابحاثه الرئيسية . وهل في وسع المهاجمات ، مها قويت وأصرت ، ان تقتلع حركة انبعثت من صميم الظروف الاجتماعية للفرد العربي ؟ ان حركة ما ليست عرضا خارجيا سهل نزعها بقال أو مقالات ، بمقاطعة او استنكار . وهذا لانها ، كما قلنا ، اندفاع محتوم لملء فراغ واقامة تصدع . والحق ان في امكاننا ان نعدّ حركة الشعر الحرّ حصيلة اجتماعية محضة تحاول بها الامة العربية ان تعيد بناء ذهنها العريق المكتنز على أساس حديث ، شأنها في هذا شأن سائر الحركات المجددة التي تبعث اليوم في حياتنا ، في مختلف المجالات .

ان العوامل الاجتماعية الموجبة التي جعلت الشعر الحرّ ينبثق ، كثيرة . ولكننا سنحصى منها فسي بحثنا هذا اربعة . وكلها ، كما سنرى ، تتعلق

بالاتجاهات الاجتماعية العامة للفرد العربي المعاصر وترتكز الى تفاصيل الشعر القديم وخصائص الشعر الحر نفسه .

### ١ - النزوع الى الواقع

تتيح الاوزان الحرة للفرد العربي المعاصر ان يهرب من الاجواء الرومانتيكية الى جو الحقيقة الواقعية التي تتخذ العمل والجد غايتها العليا . وقد تلفت الشاعر الى اسلوب الشطرين فوجده يتعارض مع هذه الرغبة عنده لانه ، من جهة ، مقيّد بطول محدود للشطر وبقافية موحدة لا يصح الخروج عنها ، ولانه من جهة أخرى حافل بالفنائية والتزويق والجمالية العالية .

أما القيود التي تضيق آفاق الاوزان القديمة ، فهي تلوح للفرد المعاصر ترفا وتبيدا للطاقة الفكرية في شكليات لا نفع لها ، في وقت ينزع فيه هذا الفرد الى البناء والاكشاء والى اعمال الذهن في موضوعات العصر . انه يكره ان يضع جهوده في اقامة هياكل شعرية معقدة ، لها من الرصانة والهبة اكثر مما يطيق . ولعلّ الرصانة الشديدة منفرة للذهن العامل الذي يريد البناء ، وذلك لانها تقيّد الحركة . والشاعر يريد ان يتحرك ويندفع . ان مشاكل العصر تناديه وهو لا يجد وقتا لترف القيود وبطر القافية الموحدة . ثم ان فروض العمل والحياة المنتجة تتطلب ان يخلق لنفسه أسلوبا أكثر حرية وأقلّ هيبة وجلالا . وهو ، في هذا ، أشبه بانسان يشتغل فلاحا وبضايقه ان يلبس ثيابا أنيقة مترفة لانه يحتاج الى لباس بسيط يعطيه الحرية على الحركة والقدرة على العمل . ولذلك انطلق الشاعر الحديث وخلق اسلوب الشعر الحرّ بساطة أسلوبه وخلوّه من الرصانة .

اما الفنائية فهي تنشأ عن الموسيقى العالية في الاوزان القديمة ، ومن ثم فهي تعطي تلك الاوزان جوا من العاطفة المصطنعة والخيال . والفنائية ملازمة للتقييد لانها تتضمن مبالغة واسرافا في العواطف . فسا يكاد الشاعر يقع في

مآزق القافية الموحدة ويتلکأ عند البيت الواحد حتى يعتريه احساس بأنه لا يعبر ، وإنما يكتب شيئاً مترفاً تتحكم فيه هذه الملكة الجميلة المستبدة التي تقف في آخر البيت وتصرف على أن تكون أبرز ما فيه . ولعل هذا الاحساس بالترف والفراغ هو الذي يجعل الشعر القديم حافلاً بالأجواء المثقلة بالعبير ونسيم الصبا والثياب الحريرية تجرّها فتيات ناعمات لا عمل لهن سوى الدلال ونوم الضحى . ان الشاعر المعاصر - وهو فرد في مجتمع يعمل ويبنى - يضيق بهذا الجو الكسول النعسان ، وهذه الجمالية المفروضة فرضاً ، انه يريد ان يكون شعره مفكراً ، ايجائياً ، طويل العبارة ، فلا تسمح له بذلك الغنائية العالية في الابحر الشطرية . وهو ينفر من هذه النبرة العاطفة الموسقة لانها لا تلائم نزوعه الى العمل والنشاط ، ومن ثم فهو يريد ان يحطمها ويخرج من قنم الاحلام وأوهام ألف ليلة وليلة . لقد وجد في الشعر الحر مهرباً من هذا الجو المثقل بالجوارى والحرير وأشعة مصباح علاء الدين . وهو يطلب الواقعية حتى اذا كانت قاسية خشنة فيمدّ يديه ليلمس الحقيقة ولو أدمتها .

وأما لماذا يصلح الشعر الحرّ للتعبير عن حياة ليس الجمال الحسى غايتها العليا ، فلانه كما اشرنا يخلو من رصانة الاوزان القديمة ويجعل غايته التعبير لا الجمالية الظاهرية . وهكذا تستطيع النظرة الاجتماعية ان تتبين في حركة الشعر الحرّ جذور الرغبة في تحطيم الحلم والاطلال على الواقع العربيّ الجديد دونما ضباب ولا أوهام .

## ٢ - الحنين الى الاستقلال

يجبّ الشاعر الحديث أن يثبت فرديته باختطاط سبيل شعريّ معاصر يصب فيه شخصيته الحديثة التي تتميز عن شخصية الشاعر القديم . انه يرغب في أن يستقلّ ويدع لنفسه شيئاً يستوحيه من حاجات العصر . يريد ان يكفّ عن ان يكون تابعاً لامريء القيس والمتنبى والمعري . وهو في هذا اشبه

بصبيّ يتحرق الى ان يثبت استقلاله عن أبويه فيبدأ بمقاومتها . ويعني هذا ان لحركة الشعر الحرّ جذورا نفسية تفرضها ، وكأن العصر كله أشبه بعلام في السادسة عشرة يرغب في ان يعامل معاملة الكبار فلا ينظر اليه وكأنه طفل أبدا .

ان حرقة الاستقلال هذه تساهم الى حدّ ما في دفع الشاعر الحديث الى البحث في أعماق نفسه ، عن مواهب كامنة غير مستغلة وعن مقدرات وخصائص يمكن ان تشجّد وتبرز فتعطيه شخصية متفردة تميزه عن اسلافه . وقد وجد في الثورة على القوالب الشعرية متنفسا لهذه الحرقة الى الاستقلال فثار عليها . ولا ريب في أن هذه النزعة هي تفسير ما نراه من افعال بعض الناشئين من الشعراء في التطرف والاندفاع وقد ظنوا أن الاوزان القديمة عاطلة عن القيمة وتعالوا حتى على القواعد الشعرية التي رسخت عبر مئات من سنوات الشعر واللغة . ولن يصعب على الناقد المتزن ان يغفر لهؤلاء المتطرفين نزق أشطرهم ورعونة قوافيهم ما دام يدرك الاساس النفسي للمبالغة التي سقطوا فيها .

## ٢ - النور من النموذج

من طبيعة الفكر المعاصر عموما انه يجنح الى النور مما أسميه (بالنموذج) في الفن والحياة . وأقصد بالنموذج اتخاذ شيء ما وحدة ثابتة وتكرارها بدلا من تغييرها وتنويعها . وتلاحظ فكرة النموذج في الفن العربيّ القديم في ما نرى على جدران المساجد والقصور وقبب الجوامع ومنازلها ، حيث يقوم التزيين على اساس تكرار وحدة تجريدية ثابتة ، او مجموعة وحدات منضّمة في وحدة أكبر ، على ان تراعى في التكرار النسب المضبوطة ضبطا دقيقا . ان الاساس الذي قام عليه هذا الفن العربيّ عين الاساس الذي قام عليه شعرنا القديم . فقد كان الشطر أو البيت يتخذ وحدة ويحافظ الشاعر على عرلة هذه الوحدة مراعى المسافات المضبوطة بينها وبين سائر الوحدات التي يكررها الى نهاية القصيدة .

وجاء الشاعر المعاصر باتجاهاته الحديثة ونظر في نظام الشطرين فوجده يسمح له شكلا مقيدا بنسط معين ذي طبيعة هندسية مضبوطة . ان الاشطر

المساوية والوحدات المعزولة لا بد أن تفرض، على المادة المصنوبة فيها، شكلاً مماثلاً يملك عين الانضغاط وتساوي المسافات . أو لنقل أن هندسية الشكل، لا بد أن تتطلب هندسية مقابلة في الفكر الذي يستوعبه هذا الشكل ، وذلك بعزل عن حاجة السياق . والقوالب تفرض شكلها على المادة التي تنضغط في داخلها . وإذا كانت القصيدة الشطرية ملزمة بالمحافظة على أطوال ثابتة ومسافات متناسقة فإن المادة التي يعالجها الشاعر لا بد أن تصبح هي الأخرى ذات مسافات متناسقة ، وذلك بحكم قانون خفي يربط بين الشكل والمضمون ويجعل الواحد منهما مؤثراً في الآخر ، متأثراً به في الوقت نفسه .

وابسط نتائج هذا الالتزام في القصيدة العربية القديمة ما نلاحظه من ميل العبارات السلي أن تنتهي باتتهاء الشطر ، وإذا امتدت فإلى نهاية البيت حيث القافية الموحدة تنتصب شامخة وتبني جداراً متيناً يصعب على المعنى أن يتخطاه . ونحن نعلم يقيناً أن من شروط البيت الجيد عند العرب أن يكون مستقلاً في معناه وصياغته عما بعده . يضاف إلى هذا أن الشطر لا يسح للشاعر بأن يستعمل عبارة أقصر منه ، فكان لا بد للشاعر أن ينهي العبارة معه . وهكذا فرضت الأشطر المتساوية أن تكون العبارات متساوية إلى حد ما ، أو مقسومة إلى قسمين متساويين . وفي هذا ما لا يروق للشاعر الحديث الذي يسيل إلى التعبير فيستعمل عبارة قصيرة ذات كلمتين أحياناً . وقد يروق له أن تستوعب عبارة واحدة بيتين أو ثلاثة . وقد يجب أن يقف في نصف الشطر ويبدأ عبارة جديدة تنتهي في نصف الشطر التالي . وكل هذا يعينه على أحداث أثر معين أو إثارة حالة نفسية يقصدها . والحقيقة أن هذا هو ما نصنعه في الحياة أيضاً . فلو أصغينا إلى رجل عامي يقص حكاية لالتفتنا إلى ما يحدثه تنويع الأطوال في عباراته من أثر عميق في المستمعين ، وهذا ما يحرم منه الشاعر الذي يستعمل طريقة الشطرين والقافية الموحدة .

لقد وجد الشاعر الحديث نفسه محتاجاً إلى الانطلاق من هذا الفكر الهندسي الصارم الذي يتدخل حتى في طول عبارته ، وليس هذا غريباً في عصر

يبحث عن الحرية ويريد أن يحطم القنود ويعيش ملء مجالاته الفكرية والروحية .  
الواقع أن إحدى خصائص الفكر المعاصر أنه يكره النسب المتساوية ويضيق  
بفكرة النموذج ضيقاً شديداً ، فما يكاد يقع على اتساق متعاقب منتظم في جهة  
من جهات حياته حتى يشتاق إلى أن يحدث فوضى صغيرة في مكان منه فيربك  
النموذج ويخرج على الرتبة ، ولهذا أمثلة كثيرة في مبانينا وبرامجنا وحياتنا . ولم  
تكن حركة الشعر الحرّ إلاّ استجابة لهذا الميل في العصر إلى الخروج على  
فكرة النموذج المتسق اتساقاً تاماً . والواقع أن الحياة نفسها لا تسير على نمط  
واحد ولا تتقيد بنسبة ثابتة في أحداثها ، وإنما تجري بلا قيد ، لا بل إن اللغة  
وهي منبع كل فكر وكل شعر ، لا تتبع نماذج . أننا تكلم بحسب الحاجة  
فنطيل عباراتنا ونقصرها وفق المعنى لا وفق نظام هندسيّ مفروض . ولذلك  
ثار الشاعر المعاصر على أسلوب الشطرين وخرج إلى أسلوب التفعيلة وبات  
يقف حيث يشاء المعنى والتعبير .

#### ٤ - أثار المضمون

يتجه الفرد العربي المعاصر على العنوم إلى تحكيم المضمون في الشكل ،  
وهذا مرتبط بما نراه من ميل العصر إلى الانشاء والبناء ، وهو ميل عامّ  
يستوعب مختلف مظاهر حياتنا . أن الشكل والمضمون يعتبران في أبحاث  
الفلسفة الحديثة وجهين لجوهر واحد لا يمكن فصل جزئيه إلاّ بتهديه أولاء  
والنقد العربيّ المعاصر جدير بأن يلتفت إلى هذه الوحدة الوثيقة ، وينبه إلى  
ما في الفصل بين وجهيهما من خطر على الفكر والامة . غير أن الحركات  
الاجتماعية والادبية لا تخضع للمنطق العقليّ وإنما يتحكم فيها قانون التطور  
الاجتماعي . ولقد جاء عصرنا هذا على أثر العصر المظلم الذي غلبت فيه على  
الشعر العربيّ القوالب الشكلية والصناعية الفارغة والاشكال التي لا تعبّر عن  
حاجة حيوية . ووجد الشاعر الحديث نفسه خلقاً لاجيال من الشعراء يكتبون  
الالغاز والمهمل والتشطيرات ولزوم ما لا يلزم وكل ما يدلّ على أنهم لا يريدون  
ايصال مضمون لازم معين إلى قرّائهم ، وإنما همهم أن يخلقوا اشكالا مجردة

ذات قيمة ظاهرية وحسب . وقد كان ردّ الفعل المباشر ، عند الشاعر المعاصر ، ان يتجه الى العناية بالمضمون ويحاول التخلص من القشور الخارجية . وكانت حركة « الشعر الحر » احد وجوه هذا الميل لانه ، في جوهره ، ثورة على تحكيم الشكل في الشعر . ان الشاعر الحديث يرفض أن يقسم عباراته تقسيما يراعي نظام الشطر ، وانما يريد ان يمنح السطوة المتحركة للمعاني التي يعبر عنها . ونظام الشطرين ، كما سبق ان قلنا ، متسلط ، يريد أن يضحي الشاعر بالتعبير من أجل شكل معين من الوزن ، والقافية الموحدة مستبدة لانها تفرض على الفكر أن يبدد نفسه في البحث عن عبارات تسجّم مع قافية معينة ينبغي استعمالها ، ومن ثم فإن الاسلوب القديم عروضي الاتجاه ، يفضل سلامة الشكل على صدق التعبير وكفاءة الانفعال ، ويتمسك بالقافية الموحدة ولو على حساب الصور والمعاني التي تملأ نفس الشاعر . وكل هذا اثار للاشكال على المضمونات بينما يريد العصر ان يشغل بالحياة نفسها وان يدع منها اناسطا تستنفذ طاقته الفكرية والشعورية الزاخرة . ان كل ميل الى تحكيم الشكل في المعنى يعيظ الشاعر المعاصر ويتحداه ، وهذا هو السبب في ما نراه من مبالغة بعض الناشئين في استعمال الاوزان الحرة حتى كادوا ينبذون الاوزان القديمة نبذا تاما .

هذه العوامل الاربعة تبدو لنا العوامل الرئيسية التي احاطت بحركة الشعر الحرّ ، ولكنها ليست العوامل كلها . ان من الممكن ان ننظر الى الحركة من زوايا اخرى فنرى فيها مظهرا لضيق الشباب بهالة التقديس التي يحيط بها النقاد العرب ادبنا ، وكان هذا الأدب كمال لا غاية بعده . ولعلّ التقديس يعدّ في نظر الجيل العامل نوعا من الجبود ، وذلك يتضمن فكرة التحقق والاكتمال والوصول ، وهي فكرة تجعل العمل والجهد شيئا لا داعي له ولا فائدة فيه . وقد يكون جيلنا متبرما بمضمونات الشعر القديم ، وعندما وجد ان اشباح الماضي تمسّش في هذه الاوزان قرر ان يتركها فترة ليأتي كيانا شعريا في اوزان جديدة ريشا يتاح له الاستقلال الكامل فيعود الى هذا القديم

## بنظرة أصفى وفهم أعمق .

وانه ليهننا ان نشير الى أن حركة الشعر الحرّ ، بصورتها الحقّة الصافية، ليست دعوة لبذ الابحر الشطرية نبذا تاما ، ولا هي تهدف الى أن تقضي على أوزان الخليل وتحل محلها ، وانما كان كسل ما ترمي اليه ان تبذع اسلوبا جديدا توقعه الى جوار الاسلوب القديم وتستعين به على بعض موضوعات العصر المعقّدة . ولا أظنه يخفى على المتابعين ان بعض الموضوعات تنتفع بالاوزان القديمة أكثر مما تنتفع بالوزن الحرّ . ولذلك لا نرى وجها نبرر به ميل بعض الناشئة الى ان يكتبوا شعرهم كله بالاوزان الحرّة . ( وقد تناولت هذه الظاهرة بالنقد في الفصل السابق ) . غير أن التطفرف شيء مألوف في تاريخ الدعوات الادبية والاجتماعية . ونحسب ان كل حركة تبدأ متطرفة أولا، ثم ترتد الى الاعتدال بعد ان تشذبهها التجارب وتصلقها الحاجة . ثم اننا على يقين من ان كثيرا من المغالين في استعمال الشعر الحرّ سيرتدون في السنين القادمة الى الاعتدال والاتزان ويعودون الى الاوزان الشطرية فيكتبون بها بعض شعرهم .

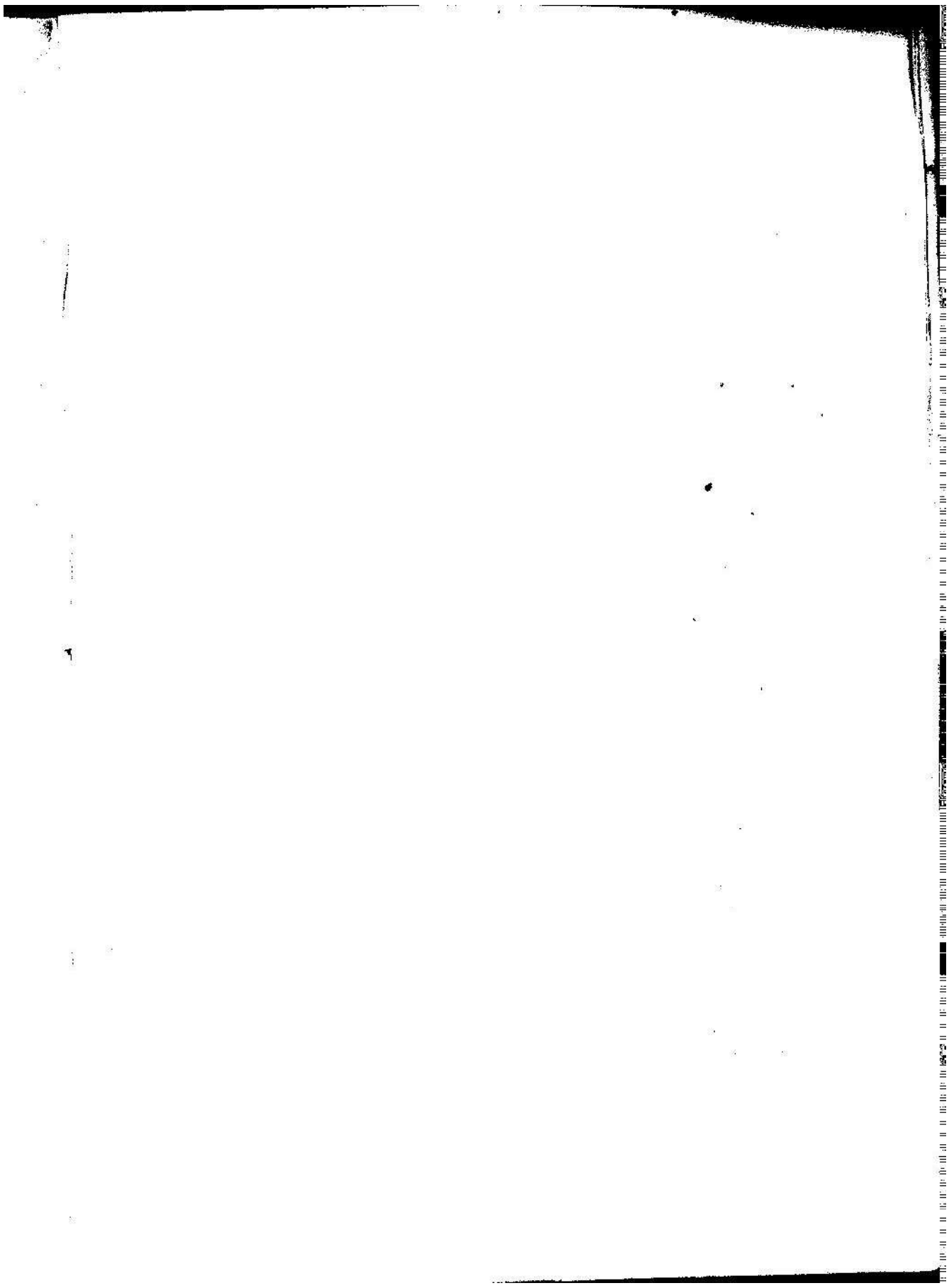
اما اليوم فنحن في شيء من القلق على الحركة ، تقلقنا هذه المغالاة التي تصاحبها ، وتلك الحدة والعصبية التي يكتب بها بعض انصارها المتحمسين الذين حسبوا أن محاربة آدابنا القديمة جزء من أهداف الشعر الحرّ . وكأن من الممكن ، على الاطلاق ، ان نبذع نحن شيئا لم يساهم اجدادنا الموهوبون في تمهيد السبيل اليه منذ ألف سنة . والواقع أن حركة الشعر الحرّ لن ترسخ في تاريخنا حتى يدرك الشاعر الحديث ان تراثه القديم قد كان هو المنبع الذي ساقه الى ابداع الجديد . ولعل انكار القديم والمغالاة في النفور منه مظهر من مظاهر ضعف الثقة بالنفس عند الامم ، وقد لا يكون غريبا ان يحس الفرد العربي ، في هذه الفترة من حياته ، بشيء من هذا . ولكننا على ثقة من انه ، وهو سليل هذا التراث الخصب ، لا يسكن ان يبقى في هذا المستوى طويلا ،

ولا بدّ ان يسيطر على أبعاد نفسه كلها في المستقبل القريب . واذ ذلك سيبدو  
له الشعر الحرّ نقطة صغيرة في تاريخه الكبير . وسيدرك ، أول مرة ، ان  
اوزانه التي ابتكرها قد بلغت مرحلة النضج وباتت جزءا حيا من تاريخه الادبي  
العريق .

## الباب الثاني

### السفر الحرة باعتبارها العروضي

- عروضه العام
- ومشاكله الفرعية



## الفصل الأول

# المروض العام للشعر الحرّ

### توطئة

لعله شيء لا ريب فيه ان كثيرا من الشعراء الذين تلقوا الدعوة الى الشعر الحرّ في حماسة لا يعرفون حتى الآن الغرض منها . ان بعضهم يخلط بينها وبين الدعوة الى تجديد الموضوع في القصيدة العربية ، وبعضهم يظنّ ان غايتها الوحيدة هي تثبيت دعائم ما يسمونه بالواقعية في الشعر . ولئن كنا لانكر ان هذه الظنون وأمثالها لاتعارض مع طبيعة الشعر الحرّ ، غير اننا نلحّ مع ذلك على التذكير بأن الشعر الحرّ ظاهرة عروضية قبل كل شيء . ذلك انه يتناول الشكل الموسيقي للقصيدة ويتعلق بعدد التفعيلات في الشطر ، ويعنى بترتيب الاشطر والقوافي ، واسلوب استعمال التدوير والزحاف والوتد وغير ذلك مما هو قضايا عروضية بحتة . اننا ، مع الشعر الحرّ ، بازاء دعوة الى دراسة الامكانيات التي تقدمها ابجر الشعر العربيّ الستة عشر

للشاعر المعاصر الذي يهمنه التعبير عن حياته في حرية وانطلاق . وما لم يدرك الشاعر العربي خطورة موقفه في هذا المفرق الموسيقي من تاريخ الشعر العربي ، ومدى ما يمكن ان يسقط فيه من اغلاط ذوقية وعروضية وهو يندفع ، فإن حركة الشعر الحر تسقط يوما بعد يوم في هاوية مبتذلة ما كنا نحب ان تصير اليها .

وانه ليخيّل الى من يراقب ما تنشره الصحف الادبية من هذا الشعر ان شعراءنا يتناولون الاوزان الحرة ويلعبون بها كما يلعب طفل غير مسؤول بحزمة أوراق مائية عالية القيمة . انه فرح بلسها الناعم ، بخشنة ورقها ، بألوانها ورسومها . انه يكدها ويدعكها ويبعثرها ويزفها ثم يقف متفرجا منتشيا بما صنع ، غير منتبه الى ما بين يديه من ثروة . ولن ينكر أحد ان في أبحر الشعر العربي امكانيات موسيقية غنية في وسعنا ان نستخرجها اذا نحن كففنا عن اللعب بالتفعيلات وصفها وتلوينها وبعثرها على أسطر متتالية فارغة من المعنى . والحق انه اذا كانت اثنتا عشرة سنة من الشعر الحر لم تصح شعراءنا من السكر الاولي التي جاءت بها فرحة الحرية فإن الامر لا يكثر بالخير الكثير .

هذا قد كان موقف الشعراء انفسهم من الشعر الحر ، فباذا كان موقف الجمهور ؟ لعلنا كلنا نعلم أن اغلب القراء - وبينهم ناظمون مشكنون - ما زالوا يجهلون الاساس العروضي الخليلي للشعر الحر . ان طائفة منهم تحسبه نثرا لا وزن له مرصوفا على أسطر متتالية بدافع غيرة صيانية في نفس كاتبه . وانا أميل الى ان أعتقد بأن الجمهور غير ملوم في فكرته هذه . فاننا روّج لها بعض الشعراء الكبار من الجيل الماضي ، وقد راحوا يصرحون ، في لذة لا تخلو من التشفي ، ان الشعر الحر ليس موزونا وانما هو نثر . وبذلك ساهموا في هدم الناحية العروضية من الشعر الحر . ولعلنا أن ندافع حتى عن هؤلاء الشعراء الكبار . ذلك ان اكثرهم لم يكونوا نقادا للشعر يوما بحيث يستطيعون الكتابة عن ظاهرة عروضية خالصة مثل الشعر الحر . وانا

يقع أكثر اللوم على النقاد الذين اهللوا الشعر الحر كل الاهمال فلم يحاول أي منهم ان يكتب بحثا أو كتابا يتناول فيه حركة الشعر الحر من جانبها العروضي . وقد كانت الابحاث القليلة التي نشرت لي منذ سنة ١٩٥٢ في مجلتي الاديب والأداب ١ وغيرهما هي - فيما أعلم ولعلي لم أتابع المنشور كله - الابحاث الوحيدة التي عنيت بعروض الشعر الحر والحث في دعوة النقاد والشعراء الى الالتفات اليه .

واما الناحية التي عني بها النقد العربي في دراسته حول الشعر الحر فقد كانت غالبا ناحية موضوعاته ومعانيه والصور فيه . فكان الناقد يكتب فصولا طويلة عن عشرات من القصائد الحرّة دون أن يشير ولو بسطر الى الناحية العروضية منها ، مع أن تلك القصائد التي كان الناقد يتحدث عنها كانت مشحونة بالاختفاء الوزنية . وإن المراقب الحريص على مستوى نقد الشعر في وطننا العربي ليتساءل في اهتمام عن سبب هذا : اترى هؤلاء النقاد لا يحسبون الوزن ولا يستشعرون الخطأ العروضي ؟ اهم ضعيفو شعور بسوسيقى الشعر بحيث لا تصك اساعهم كل تلك النشاطات والاغلاط ؟ ام أن لسلكهم تعليلا آخر أعنى حذورا ؟

من الحق ان نقول ان طائفة من هؤلاء النقاد الذين يكتبون عن الشعر الحر دون أن يتعرضوا للاخطاء العروضية فيه يملكون حسّ النقد وملكة التذوق ، ويستجيبون للشعر على أجل ما نحب لهم . ومن الثابت عندي أن بعضهم قد مارسوا نظم الشعر السالم من الاخطاء بأسلوب الشطرين . وانما يكن اهمالهم للناحية العروضية من الشعر الحر في ظاهرة أعمق بدأت تشيع في الجو الادبي بعد الحرب العالمية الثانية ، وأعني بها ظاهرة الروماتيكية في النقد . ومنبع هذه الظاهرة في أدبنا العربي ، تنوع تلك النظريات التعبيرية

(١) ادرجت في هذا الكتاب ومنها بحث عنوانه (العروض والشعر الحر) دخل اهم ما فيه في هذا البحث

Expressive Theories التي نادى بأن الشاعر ملهم ، وبأن الأوزان تنبعث  
مغنية في أعماقه دون أن يحتاج إلى دراسة العروض وأوزان الشعر . لقد  
سرت هذه النظريات إلى مفاهيم النقد نفسها فقالوا بأن الناقد نفسه ملهم  
بحيث تنبع الأحكام من كيانه دون أن يميز القواعد بوضوح ، وظنوا أن  
الارتكاز إلى القوانين الأدبية الدارجة يقلل من قيمة الناقد باعتباره موهوبا  
يرتكز إلى الفطرة المبدعة ولا يحتاج إلى الدراسة العلمية . يضاف إلى ذلك أن  
الناقد العربي - وهو يدرس شعر شاعر يحتقر العروض لأنه ملهم - أصبح  
يكره أن يرتكز إلى قواعد العروض حذرا من أن يسيء إلى ذلك الشاعر الملهم  
بتسيئه إلى القواعد التي تتعارض مع الهامه وموهبته .

ومها يكن من أمر الأسباب فإن نقادنا المحدثين أصبحوا ينطون على  
الاستحياء من علم العروض ويؤثرون إقصاءه عن قيم النقد وأصوله ، وكان  
شعرنا أجبل وأرق وأسمى من أن يقاس بالمقاييس الموضوعية التي استقرأها  
أسلافنا عبر القرون من آلاف القصائد العربية القديمة . وقد حان لنا أن  
نحارب هذه النزعة الخجول في النقد ، خاصة في هذه السنين التي تعرض  
خلالها الشعر إلى هزة غير هيئة بسبب قيام حركة الشعر الحر . وما دام  
الشعر الحر - في أساسه - دعوة إلى تطوير الشكل ، ما دام يتناول الأوزان  
والتشكيلات والقوافي ، فليس في إمكاننا أن نقده إلا على أساس موضوعي  
من علم العروض .

على أن دعوتنا إلى العودة إلى علم العروض ، ونفض الغبار عنه من أعماق  
المكتبة العربية ، لا ترمي إلى تقييم الشعر الحر وتقويمه وحسب ، وإنما  
تقصد بها أيضا إلى أن نجد للشعر الحر أصولا أرسخ تشدّه إلى الشعر العربي  
القديم وتضعه في مكانه من سلم التطور بحيث يقتنع القارئ الموسوس بأن  
وزن الشعر لم يحطم على أيدينا ، وأنا لا نقل حرصا عليه من أي شاعر قديم  
مخلص . وسرعان ما سنكتشف أننا نحتاج إلى أن نطور الدراسات العروضية  
التي توقفت نموها منذ زمن ولم تلحق بسائر فروع العلوم العربية . فقد تطور

الشكل في الشعر العربي" بحيث لم تعد كتب العروض القديمة تكفي تمام الكفاية في نقد الاشكال الجديدة التي نمت اليوم ، وبات ضروريا ان يطور العروض نفسه ليستطيع مواجهة الشعر . وانه لطبيعي" تماما ان تظهر الانماط أولا ، ثم تعقبها القواعد التي بها يقاس الفاسد منها . وهذا لان النمط خلق تندفع به طبيعة فنان تلهمه روح العصر، واما القواعد فهي مجرد استقراء واع .

## الشعر الحر اسلوب

أول ما ينبغي لنا ان نفعل ونحن نضع عروضاً للشعر الحر ان نحدد مكانه العام في كتاب العروض العربي . وسوف نقرر بدءاً ان الشعر الحر ليس وزناً معيناً او أوزاناً - كما يتوهم أناس - وإنما هو اسلوب في ترتيب تفاعيل الخليل تدخل فيه بحور عديدة من البحور العربية الستة عشر المعروفة . ولذلك فإن أول مدخل ينفذ منه الشعر الحر الى كتب العروض ان يحصى مع الاشكال الشعرية العامة التي ندرسها . وانا اقترح ان ينص كتاب العروض على أن العرب - ومنهم نحن المعاصرين - قد كتبوا الشعر على اساليب تنحصر فيما يلي :

### X - ١ - اسلوب البيت (الشطرين)

ومنه أكثر الشعر العربي ، وهو شعر ذو شطرين متساويين في عدد تفاعيلاتها قوام الشطر الواحد فيه اما تفاعيلتان كما في الهزج والمضارع ، او ثلاث تفاعيلات كما في الكامل والسريع ، او أربع تفاعيلات كما في المتقارب والبيط .

ولا يشترط فيه ان يكون العروض والضرب متساويين وانما يباح في  
احدهما ما لا يباح في الآخر، كما في قول عمر ابو ريشة . من ( الرمل )<sup>(١)</sup>

كنتُ كالملاح في لجته

كسرت مجدافه الريح فتاها

فاعلاتن فاعلاتن فاعلن

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

ويحافظ الشاعر على نمط الاشطر عبر القصيدة كلها فتتبع صدور الايات  
قانونها كما تتبع الاعجاز قانونها في تناسق لا يخرج عليه الشاعر الا في البيت  
المصرع (الذي يجري الشاعر على صدره قانون العجز ويختمه بضربه) . ومن  
الغلط بيت الشاعر علي محمود طه من بحر ( الرمل ) :

يا لها ! كيف استقرت ثم فرت

لحظة مرت ولكن ما وعاه

فقد خرج شطره الاول على عروض (الرمل) المباح في غير ما ( تصريح )  
مع أن قصيدته هذه قد حافظت على القانون في آياتها جميعا<sup>(٢)</sup> .

وانما يباح عدم تساوي العروض والضرب لان هذا شعر نو شطرين ،  
وذلك هو النمط العربي في كل شعر يجري على هذا الاسلوب .

#### ب - أسلوب الشطر الواحد

وهو شعر يتألف كل شطر فيه من تفعيلات ثابتة العدد عبر القصيدة كلها،  
ويكون له ضرب واحد لا يتغير ومنه ما يسمى في الادب العربي بالارجوزة .  
وكان العرب يجعلونها موحدة القافية كما في ايات امرئ القيس :

- (١) مختارات . عمر ابو ريشة . (مطابع دار الكشاف بيروت) ص ١٦٩ .
- (٢) قصيدة (امراة وشيطان) . ديوان (الشوق العائد) على محمود طه .  
شركة فن الطباعة القاهرة ١٩٤٥ .

تطاول الليل علينا دمّون  
دمّون اتا معشر يمانون  
واتنا لاهلنا محبّون

وقد نوّعوا القوافي في العصور التالية حين نظموا الارجيز العلمية مثل  
الالقيات في النحو وغيرها

وقد يكتب الشاعر شعرا ذا شطر واحد ثابت الطول من أي بحر يختاره  
كما فعل علي محمود طه في قصيدته ( ميلاد شاعر ) من « الخفيف » :

أدخلوا الآن أيها المحسنونا  
جنة كتّم بها توعدوننا  
اجعلوها من البدائع زونا  
واملاؤها من الجمال فنونا  
املاءوها فنا وليس فتونا  
وانشروا الصفوفوقها والسكونا

### ج - أسلوب الشعر الحر

وهو شعر ذو شطر واحد ليس له طول ثابت وانما يصحّ ان يتغير عدد  
التفعيلات من شطر الى شطر . ويكون هذا التغير وفق قانون عروضي  
يتحكم فيه سندرته بالتفصيل فيما بعد .

### د - أسلوب البند

ونحن نعرّضه فرعا قائما بذاته ، مع انه في عدم استواء أطوال أشطره ،  
ينبغي أن يصنّف مع الشعر الحر . وانما نعرّضه لانه ، في الواقع ، شعر يجمع

(١١) ديوان (الملاح التائه) لعلي محمود طه . شركة فن الطباعة . الطبعة  
الثانية . القاهرة ١٩٤١ .

وزنين اثنين من دائرة واحدة هما (الهزج) و (الرمل) ، وليس صحيحا ما يذهب اليه الذين يدرسونه من انه يقتصر على وزن واحد هو (الهزج) .

وبسبب كون البند ذا وزنين اثنين ، لا وزن واحد ، خلافا للأساليب الثلاثة الأخرى ، فانه من المباح فيه ان يكون له اكثر من (ضرب) واحد ، وذلك ما لا يباح في الشعر الحر مثلا . وهو فرق ملحوظ بين البند والشعر الحر كما سنبين في الفصل الخاص الذي سنفرده للبند في هذا الكتاب .



تحت هذه الاصناف الاربعة من اشكال الشعر العربي تدخل كل فنون الشعر التي يذكرها العروضيون . ان الزجل وكثيرا من الدويبت مثلا شعر ذو شطرين يلتزم بقانون الشطرين مع الاحتفاظ بحرية معينة في التقنية . والموشح شعر ذو شطر واحد وان لم يخل احيانا مما يبدو على صورة البيت . وقد تكون أطوال اشطر الموشح متساوية كقول الشاعر من البحر السريع

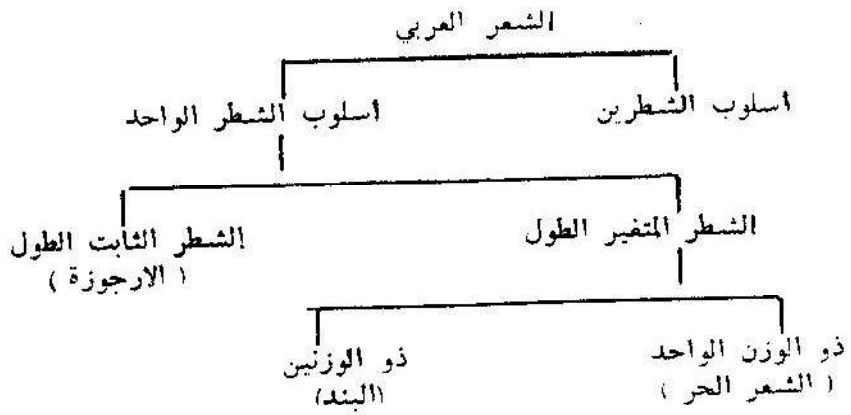
عبث الوجد بقلبي فاشتكي  
ألم الوجد فلبت أدمعي  
ايها الناس فؤادي شغف  
وهو من بني الهوى لا ينصف  
كم أداريه ودمعي يكف  
ايها الشادن من علتكا  
بسهام اللحظ قتل السبع

وقد تكون أطوال الاشطر غير متساوية كما في الموشح التالي مما شاع في العصر الأندلسي المتأخر ، من الرجز :

ليلي طويل  
ولا معين

يا قلبَ بعضِ الناسِ  
 اما تلين ؟  
 ومنه موشح ابن سناء الملك التالي ، من السريع :  
 واملّ لي  
 حتى تراني عنك في معزلٍ  
 قلل  
 فالراح كالعشق ان يردّ يقتل  
 لا اليم  
 في شربِ صهبا وفي عشقِ ريم  
 فالنعيم  
 عيشٌ جديده ومدام قديم

\* -



تخطيط يبين أساليب الوزن في الشعر العربي ومكان الحر منها .

## تفعيلات الشعر الخمر

أساس الوزن في الشعر الحرّ انه يقوم على وحدة التفعيلة . والمعنى البسيط الواضح لهذا الحكم أنّ الحرية في تنويع عدد التفعيلات ، أو أطوال الاشطر تشترط بدءا ان تكون التفعيلات في الاشطر متشابهة تمام التشابه ، فيكتب الشاعر ، من بحر الرمل ذي التفعيلة الواحدة المكررة ، اشطرا تجري على هذا النسق مثلا :

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

فاعلاتن فاعلاتن

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

فاعلاتن

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

فاعلاتن فاعلاتن

ويضي على هذا النسق ، حرّا فسي اختيار عدد التفعيلات في الشطر الواحد ، غير خارج على القانون العروضيّ لبحر الرمل ، جاريا على السنن الشعرية التي اطاعها الشاعر العربيّ منذ الجاهلية حتى يومنا هذا .

ومن تفرعات هذا القانون البسيط انه يمكن نظم الشعر الحر بتكرار  
اية تفعيلة مكررة في الشطر العربي المعروف ، سواء آكان البحر صافيا مثل  
المتقارب :

فعولن فعولن فعولن فعولن // // //  
او مزوجا مثل السريع :

مستفعلن مستفعلن فاعلن // // //

فانما تكون الحرية ، في الشعر الحر ، في حدود التفعيلة المكررة في  
اصل الشطر العربي . فاذا كانت التفعيلة منفردة في الشطر ، كما في ( فاعلن )  
في شطر السريع لم يصح للشاعر ان يخرج عليها ، فلا بد له ان يوردها في  
مكانها ، أي في ختام كل شطر من قصيدته الحرة ذات البحر السريع . وانما  
حدود حرّيته ان يزيد عدد التفعيلة ( مستفعلن ) - المكررة في اصل الشطر -  
وينقصها فيقول في قصيدته مثلا :

مستفعلن فاعلن

مستفعلن مستفعلن فاعلن

مستفعلن فاعلن

مستفعلن مستفعلن مستفعلن فاعلن

مستفعلن مستفعلن فاعلن

مستفعلن فاعلن

وينبغي للشاعر ان يتذكر دائما ان اي شطر في مثل هذه القصيدة ،  
ينتهي بتفعيلة غير ( فاعلن ) انما هو شطر ناشز مغلوط يخرج على قانون الاذن  
الحرية خروجا منفرا .

والواقع ان نظم الشعر الحر ، بالبحر الصافية ، ايسر على الشاعر من  
نظمه بالبحر المزوجة ، لان وحدة التفعيلة هناك تضمن حرية أكبر ، وموسيقى  
ايسر فضلا عن انها لا تتعب الشاعر في الالتفات الى تفعيلة معينة لا بد من  
مجئها منفردة في خاتمة كل شطر .

## وحدة التعميلة في الشعر المعاصر

في الفقرة المتابعة استقرأنا القانون البسيط الذي ينبغي أن يجري عليه كل شعر حرّ سليم . ولو التفت اليه الشعراء لما وقع طائفة منهم في الأخطاء والنشوز . ولعلّ الشعر الحرّ لو نشأ في عصور العروبة السابقة لكان له شأن آخر . فقد كان الشعراء كثيري القراءة للشعر العربيّ السليم بحيث يتحسسون عروض الشعر ويسلون من الخطأ ولو لم نضع لهم قانوناً يطيعونه . ذلك فضلاً عن أن دراسة العروض كانت جزءاً من ثقافة المثقف وأدب المتأدّب .

ومهما يكن من أمر الظروف والأسباب ، فإن الناشئين من الشعراء المعاصرين — وحتى بعض الراسخين — لم يشخصوا معنى الحرية في الشعر الحرّ تشخيصاً واضحاً ، ولم يعرفوا ، من الاضطراب العربية ، موضع التكرار الذي تبيحه الحرية الجديدة . ولعلّهم ظنوا أنها حرية مطلقة لا ضابط لها ، وانها تبيح حتى الخروج على قواعد الاذن العربية والعروض الدارج . ولذلك نجدهم خلطوا بين بحور الشعر نفسها فنظفوا قصائد حرة تجاوزت فيها أشرطة من البحر السريع وأخرى من الرجز كما في الفقرة التالية لسعدي يوسف :

يا طائراً أضناه طول السفر  
قلبي هنا في المطر  
يرقب ما تأتي به الاسفار

إنّ الشطر الثالث في هذه القطعة خارج على البحر السريع الذي كان من الشطران الاولان كما نلاحظ اذا نحن وزنا الاشطر :

مستفعلن مستفعلن فاعلن  
مستفعلن فاعلن  
مستفعلن مستفعلن مفعول

وانما هو من بحر الرجز لان ( مفعولن ) لا ترد في ضرب السريع على الاطلاق وانما هي مما يرد في الرجز بحسب قواعد العروض العربيّ .

على ان قانوننا البسيط للشعر الحرّ لا يجوز الشاعر حتى الى ان يتعلم  
اسماء البحور . فاننا ندرك ان ( مفعول ) ناشزة هنا لمجرد انها واردة في  
مكان (فاعلن) التي التزمها الاشطر الباقية ، وكانت تفعيلة منفردة تفرض  
نفسها على مكانها المعين من كل شطر . ان ( مفعول ) لا يصح ان تردّ هنا  
ذلك حتى لو فرضنا جدلا انها يمكن ان ترد في ضرب السريع . وسبب هذا  
ان الشاعر قد سبق له ان عين لنفسه خاتمة كل شطر فلا مفرّ له من الالتزام  
بها مهما كانت الظروف ، لان ذلك هو قانون العروض العربي .

ولعلّ من الضروري ان تلفت النظر، في ختام هذا الفصل عن التفعيلات،  
الى ان الشطر الاول في القصيدة الحرّة يعين للشاعر خاتمة كل شطر تال  
يرد فيها ، سواء اكان البحر صافيا ام مزوجا . ومعنى هذا ان وحدة الضرب  
قانون جار في القصيدة العربية مهما كان اسلوبها : شطرين او شطرا ثابت  
الطول : او شطرا متغير الطول من بحر صاف ، او شطرا متغير الطول من  
بحر مزوج . ففي الحالات كلها ينبغي ان تحافظ على ثبات الضرب . وانما  
تنحصر الحرية التي نسلکها في حشو الشطر . فليتدبر كل شاعر هذا .

## بحور الشعر الحر وتشكيلاته

### (١) - أوزان البحور

يجوز نظم الشعر الحرّ من نوعين من البحور الستة عشر التي وردت في العروض العربيّ هما :

#### ١ - البحور الصافية

وهي التي تتألف شطراها من تكرار تفعيلة واحدة ستّ مرات وهذه هي :

- الكامل ، شطره ( متفاعلن متفاعلن متفاعلن ) ٥ // ٥ // //
- الرمل ، شطره ( فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن ) ٥ // ٥ // //
- الهزج ، شطره ( مفاعيلن مفاعيلن ) ٥ // ٥ // //
- الرجز ، شطره ( مستفعلن مستفعلن مستفعلن ) ٥ // ٥ // //

ومن البحور الصافية بحران اثنان يتألف كل شطر فيهما من أربع تفعيلات وهما :

- المتقارب ، شطره ( فعولن فعولن فعولن فعولن ) ٥ // ٥ // //
- الخبب ، شطره ( فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن ) ٥ // ٥ // //
- او ( فعلن فعلن فعلن فعلن ) ٥ // ٥ // //

## × ب - البحور الممزوجة

وهي التي يتألف الشطر فيها من أكثر من تفعيلة واحدة على ان تتكرر  
احدى التفعيلات . وهما بحران اثنان :

السريع ، شطره ( مستفعلمن مستفعلمن فاعلمن )  
الوافر ، شطره ( مفاعلتن مفاعلتن فعولن )

أما البحور الصافية فإن أمرها يسير لان الشعر الحرّ منها ينظم بتكرار  
التفعيلة الواحدة له بحسب ما يحتاج المعنى من مرّات ( على الاّ يتجاوز  
العدد الحدود المقبولة للذوق العربيّ في الايقاع ) . والمزالتن في هذه البحور  
أقلّ منها في البحور الممزوجة ، وذلك بسبب وحدة التفعيلة . وانما تكمن  
مزالتن أخطر في البحور ذات التفعيلتين كما سبق ان شرحنا . ان القصيدة  
الحرّة من البحر الوافر ينبغي ان تجري على هذا النسق مثلا :

مفاعلتن فعولن

مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن فعولن

مفاعلتن مفاعلتن فعولن

مفاعلتن فعولن

فيكون التنويع في عدد التفعيلة المكررة وحسب ، أي في ( مفاعلتن ) .  
ويشترط ان ينتهي كل شطر في القصيدة بالتفعيلة ( فعولن ) لانها كانت  
منفردة في شطر الوافر الاصلي فلا يصح ان يقول الشاعر مثلا :

مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن

والواقع ان اكثر أخطاء الناشئين ترد في قصائدهم التي تنتهي بتفعيلة  
منفردة ، فهم يزلقون اذ ذلك فيخرجون عنها . وهذا النوع من الغلط شائع  
في الشعر الحرّ شيوعا ملحوظا .

واما البحور الاخرى التي لم تتعرض لها ، كالطويل والمديد والبيط

والمنسرح ، فهي لا تصلح للشعر الحرّ على الاطلاق ، لانها ذات تفعيلات  
منوعة لا تكرر فيها . وانما يصح الشعر الحرّ في البحور التي كان التكرار  
قياسيا في تفعيلاتها كلها او بعضها .

واما ما حاوله بعض الناشئين من ان يكتبوا شعرا حرّا من البحر  
الطويل فقد انتهى الى الفشل . ان كل ما يمكن ان يصنع من هذا البحر ان  
ترتب تفعيلاته كما يلي مثلا :

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن  
فعولن مفاعيلن  
فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن  
فعولن مفاعيلن

وهذا ليس شعرا حرّا ، كما هو واضح ، وانما هو نظام وزن يقوم على  
شطر ونصف لا يتعداها ، وقد استفاد الشاعر من كون احدى تشكيلات  
الطويل تتألف من تكرار التفعيلتين ( فعولن مفاعيلن ) وسبب تعذر اقامة  
شعر حرّ من هذا الوزن ان كون الوحدة تتألف من تفعيلتين بدلا من تفعيلة  
واحدة ، يجعل طول الشطر محددًا لا يعدو ان يكون ( فعولن مفاعيلن )  
واحدة او تكرارها ( فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن ) . وحتى هذا يبدو  
لاهثا متعبا بحيث تعسر قراءته ويخلو من ليونة الموسيقى . ولقد ورد في  
بعض الموشحات الاندلسية ما يشبه هذا حين كتب شاعر في قصيدة ضمّتها  
اعجاز نونية ابن زيدون ( من البسيط ) :

غدا مناديننا  
محكما فينا  
يقضي علينا الالسى لولا تأينا  
ووزنه كما يلي :  
مستعلن فعولن

مستفعلن فعلن  
مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن

وهو في نظرنا نظم صلب تنقصه الليونة. والواقع ان في بعض الموشحات  
الاندلسية من الفوضى والغلط ما لا يقل عما في شعر الناشئين اليوم .  
ونحسب ان الاسباب واحدة في الحالين .

### (٢) - اوزان التشكيلات

في حديثنا السابق عن اوزان البحور تناولنا الصورة الاساسية للبحر  
الشعري كما نص عليها علم العروض . وعلى أساس تلك الصورة قسمنا  
البحور الى صافية ومزوجة . وتتناول الان الصور الفرعية التي يتناولها  
العروضيون باعتبارها انواعا من الاعاريض والضروب وهي صور يعرفها  
كل من له اطلاع على علم العروض . ان البحر الكامل مثلا ، في صورته  
الاساسية ، يجري هكذا ( متفاعلن متفاعلن متفاعلن ) ومنه قول المتنبي في  
بداية قصيدة له :

اليوم عهدكم فأين الموعد ؟  
هيات ، ليس ليوم عهدكم غد  
ان التي سفكت دمي بجفونها  
لم تدر أن دمي الذي تنقلد  
قالت وقد رأت اصفراري : من به ؟  
وتنهدت فاجبتها : المتهد

والكامل ، باعتباره هذا ، بحر صاف لانه ذو تفعيلة واحدة لا تتغير  
هي ( متفاعلن ) . غير أن الكامل - مثل سواه من البحور - لا يستقر  
على صورته الصافية هذه ، وانما تعترى تفعيلته الاخيزة ( او ضربه ) تغييرات  
فتحول الى ( فعلن ) او ( مفعولن ) . للنتبي مثلا قصيدة تجري هكذا :

( متفاعلن متفاعلن مفعولن )

سرّ حلّ حيث تحلّه النوار  
واراد فيكّ مرادك المقدار  
واذا ارتحلتّ فشيّعتك سلامة  
حيث اتجهتّ وديسة مدرار

وترد للحارث بن حلزة الشكريّ قصيدة ذات تشكيلة اخرى هي  
( متفاعلن متفاعلن فعلن ) وهذا نموذج منها :

لمن الديارّ غفون بالحس  
آياتها كمهارق الغرس  
لا شيء فيها غير صورة  
سبح الخدود يلحن كالشمس  
فحسبتّ فيها الركب أحس في  
كلّ الامور وكتّ ذا حدس

واذ لو اوضح ان التشكيلتين :

متفاعلن متفاعلن مفعولن  
متفاعلن متفاعلن فعلن

لم تعودا تشكيلتين صافيتين ، على الرغم من انها كليهما تنتمي الى  
البحر الكامل ذي الوزن الصافي في أساسه . والصحيح ان هاتين التشكيلتين  
تدخلان تحت نطاق ما سيناها بالبحور المبروجة وتخضعان لقانونها الذي  
شرحناه سابقا . ومعنى ذلك أن التفعيلة المنفردة الطارئة على آخر التشكيلتين  
ينبغي أن تكرر في ختام كل شطر من أشطر القصيدة الحرة . وانما التنوع  
في العدد مقصور على التفعيلة ( متفاعلن ) التي وردت اكثر من مرة في  
الشطر الاصلية . وهذا مثال :

متفاعلن فعلن  
متفاعلن متفاعلن متفاعلن فعلن

متفاعلن متفاعلن فعلن

متفاعلن فعلن

متفاعلن متفاعلن فعلن

ولقد كان القانون العروضي الذي خضع له الشاعر العربي دائما انه ليس يمكن ان تجتمع تشكيلتان في قصيدة واحدة ، وانما تقتصر كل قصيدة على تشكيلا واحدة يختارها الشاعر منذ مطلع القصيدة ويلازمها في كل بيت . وذلك ظاهر في قصيدة المتنبي والعاثر اللتين اخترنا ناذج منيما وهو ظاهر في الشعر العربي كله ، سواء منه ما كتب قبل العروض او بعده . وانما الحكم في ذلك الى الاذن العربية التي تنفر بطبعها من ان ترد تشكيلتان في القصيدة الواحدة . والواقع ان الخليل بن احمد انما اطلق اسم الكامل على التشكيلات السابقة وغيرها جميعا على سبيل تصنيف هذه الاشكال تحت صنف أساسي ، لا على سبيل اقرار اجتناعها في قصيدة واحدة . والامر كذلك في البحور الاخرى ذات التشكيلات المختلفة التي عزلها الشاعر العربي في شعره فلم يخلط بينها قط .

#### شعراوعنا المعاصرون والتشكيلات

هذه المبادئ الاولية التي حافظ عليها الشاعر العربي في العصور كلها قد اضطربت وكادت تسحي في ايدي الناشئين الذين تناولوا حركة الشعر الحر واقبلوا على الاندفاع معها . ذلك انهم خلطوا التشكيلات المتنافرة واوردوها جميعا في القصيدة الواحدة . فكان الشاعر يجمع في قصيدته المرقعة تشكيلات البحر كلها بلامبالاة ، فاذا قصيدة البحر الكامل تتجلى الى خليط مما يلي جميعا :

متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلاتن

متفاعلن فعلن

متفاعلن متفاعلن مفعولن

متفاعلن متفاعلن  
متفاعلن متفاعلن فعلن

ولا يخفى على كل ذي سجع شعري مدى التنافر بين هذه التشكيلات، حتى ليضطر المرء الى أن يطوى قصائد هؤلاء الشعراء ولا يقرأها مهللاً ما قد يكون فيها من معان مبتكرة وصور جميلة وأفكار موحية . ولنقدم نموذجاً من هذا الخلط لجورج غانم من البحر الكامل :

لكنهم متيقنون بأنهم صرعى حياً ( متفاعلاتن )  
ومعزأؤهم إن الحياة تقول للابطال هيا ( متفاعلاتن )  
منا الصدى مني ( فعلن )  
من مقلتي وفي ( فعلن )  
فأحسه نارا ووعدا وارتماً للغد ( متفاعلن )

هذه خمسة اشطر متجاوزة من القصيدة قد أوردت في ( ضربها ) اربعا من تشكيلات البحر الكامل . والاذن العربية لا تقبل في القصيدة الواحدة الا تشكيلة واحدة ، وعلى ذلك جرت آلاف القصائد منذ أقدم العصور حتى الآن . والواقع أن الشعراء - حتى في عصر الانحطاط - لم يقفوا في مثل هذا، فبع ان شعرهم كان سمجاً سقيم المعاني ركيك اللغة الا أن موسيقى الشعر العربي كانت ترن في كيانهم فلا يستطيعون ان يخرجوا عنها .

ومسها يكن فلا بد للشاعر ان يستوعب في ذهنه فكرة استقلال البحر عن التشكيلية ، وان يفهم ان لكل بحر من بحور الشعر تشكيلات مختلفة لا يمكن ان تتجاوز في قصيدة واحدة . وانما ينبغي ان تستقل كل قصيدة بتشكيلها ما ، وان تمضي على ذلك لا تحيد عنه الى آخر شطر فيها .

علينا ان نتذكر كذلك ان الشعر الحر ليس خروجاً على قوانين الاذن العربية والعروض العربي ، وانما ينبغي أن يجري تمام الجريان على تلك القوانين خاضعاً لكل ما يرد من صور الزحاف والعلل والضروب والمجزوء

والمشطور . وان اية قصيدة حرّة لاتقبل التقطيع الكامل على أساس العروض القديم - الذي لا عروض سواء لشعرنا العربي - لهي قصيدة ركيكة الموسيقى مختلفة الوزن ، وسوف ترفضها الفطرة العربية السليمة ولو لم تعرف العروض : ونحن نقول هذا لاننا نعادي التجديد ، وانما لان تفعيلات الشعر ومثلها النسب في الموسيقى ، شيء ثابت في كل لغة ثبوت الارقام في الرياضيات ، فنهنا تجددت العصور والافكار ونست وصعدت فان الارقام ونسب الشعر والموسيقى تبقى ثابتة لا تتغير . واما ما يتغير فهو الاشكال والانماط التي تبني من تلك النسب ، ذلك كمثل قوس قزح ، يبقى الى الابد محتفظا بالالوان كلها ، ولا يصنع الفنانون المجددون الا خلط تلك الالوان والتجديد في رصفها ومزجها والتصوير بها .

## الشعر الحر شعر ذو شطر واحد

أبرز الفوارق العروضية بين أسلوب الشطرين وأسلوب الشطر الواحد  
فارقان اثنان لا بد لنا ان نلتفت اليهما :

الاول - ان القافية ، سواء آكانت موحدة أم لا - ترد في نهاية كل  
شطر من الشعر ذي الشطر الواحد ، بينما ترد في آخر الشطر الثاني من  
البيت في أسلوب الشطرين . ومعنى هذا ان الشطر الاول من البيت يعنى  
من القافية ، بينما يتسك كل شطر في الشعر الحر بها لانه شعر ذو شطر  
واحد .

الثاني - ان الشطرين في البيت لايتساويان تساويا عروضيا وانما يباح  
في الشطر الاول ما لا يباح في الثاني ، ومن ثم فان قصيدة الشطرين تحتاج  
دائما الى تشكيلتين اثنتين ، تجريان على نسق ثابت بحيث ترد التشكيلة  
عينا في صدور الايات ، والتشكيلة الاخرى في الاعجاز . وهذه الحرية ،  
حرية اراد تشكيلتين ، غير مباحة في الشعر الحر لانه ذو شطر واحد .  
وسبب هذا المنع أن عدم انتظام وجود شطرين في هذا الشعر يضعف من  
احساس السمع بسوسيقى تشكيلتين اثنتين تتعاقبان ويعطي كل منهما وقعا  
معينا يختلف عن وقع الاخرى . فاذا اعطينا القصيدة تشكيلتين بدلا من

واحدة ، وكان شطر منها ، فوق ذلك ، طويلا و آخر أقصر وثالث أطول ،  
اجتمع على القصيدة تعقيدان : تعقيد وجود تشكيلتين تستوعبان اهتمام  
الذهن ، وتعقيد الاطوال المختلفة . ويؤدي ذلك الى ان يفقد السمع احساسه  
بالموسيقى ويتيه بين تنوع الطول وتنوع التشكيلة . وأما نظام الشطر  
الواحد ذي التشكيلة الواحدة الثابتة ، مثل الارجوزة ، فانه يساعد السمع  
على تذوق الموسيقى ، خاصة وان القافية الموحدة ، برنينها وعلو نبرتها ، لم  
تعد موجودة في الشعر الحر الا في النادر النادر

ولا بد لنا ان نلاحظ ان اختلاف احد الشطرين عن الآخر في اسلوب  
الشطرين هو الذي جعل وحدة الوزن البيت لا الشطر ، وهو الذي جعل  
العروضيين يقسمون البيت اقساما يطلقون عليها اساء كسا يلي :

الصدر اسم الشطر الاول

العجز اسم الشطر الثاني

العروض اسم التفعيلة الاخيرة من الصدر

الضرب اسم التفعيلة الاخيرة من العجز

الحشو كل ما عدا العروض والضرب في البيت

وكانت هذه الاساء ضرورية ، يستعين بها العروضيون على تصنيف  
الاعاريض والضروب التي وردت في كل بحر من بحور الشعر العربي . فقالوا  
مثلا العروض الصحيحة والضرب المقطوع ، والعروض المجزوءة والضرب  
المذيل ونحو ذلك ، وذلك هو ما سميته « التشكيلة » في الفصول السابقة .  
وكان الشاعر العربي يهتدي بسليقته الشعرية الى العروض والضرب الملائمين  
في كل قصيدة يقولها ، وكان يطبع ذلك النموذج عبر القصيد كلها فلا ترد  
فيها أكثر من تشكيلتين اثنتين احدها للصدر والآخرى للاعجاز ( ما عدا  
البيت المصراع فان صدره وعجزه يستويان . )

واما حين كان الشاعر يكتب شعرا ذا شطر واحد كالارجوزة ، فانه  
كان يجعل القصيدة ذات تشكيلة واحدة تتكرر في كل شطر فلا يخرج عليها

قط . ولم ترد التشكيلتان مجتمعتين قط الا في القصيدة ذات الشطرين .  
وهذا منطقي بالمعنى العروضي ، فضلا عن أن الاذن العربية ترتاح اليه .

ذلك هو السبب الذي يجعل الشعر الحر لا يقبل أن ترد فيه تشكيلتان .  
فانما التشكيلتان مزيج ينحها الشاعر اذا هو نظم قصيدة ذات شطرين اثنين  
يحافظ فيهما على التناسق ، وعلى تساوي التفعيلات في كل شطر ، وعلى  
تقابل كل صدر مع الصدور السابقة واللاحقة في نظام وتسلسل مضبوطين .  
واما الحرّة التي يعطيها الشعر الحر للشاعر فان في مقابلها تقييدا في  
التشكيلة فيقتصر الشاعر في قصيدته على تشكيلة واحدة لا يتخطاها . وانما  
يفرض هذا التقييد لاسباب جمالية وذوقية ، لان الموسيقى ، التي هي قوام  
كل شعر ، تضعف بوجود التفاوت في طول الاشطر ، بحيث ينبغي للشاعر  
ان يسندھا ويقوّيها بالمحافظة على وحدة التشكيلة ، وبذلك يستطيع الشطر  
الحرّ ان يرن ويبعث في وعي السامع لحنا ويخلق له جوا شعريا جميلا .

على أن الشعراء الجدد لم يتقيدوا بهذا خرجوا عليه . ولم يكن ذلك  
منهم عن سبق اصرار - فيما اعتقد - وانما كان اساسه قلة المران وضآلة  
المعرفة بالشعر العربي وعروضه . ذلك ان طائفة من هؤلاء الشعراء لا تنقصهم  
الموهبة ولا الاصاله وقد عرفنا لهم شعرا مقبولا بأسلوب الشطرين . وكان  
الخطأ البارز ، في شعرهم الحر ، انهم خلطوا ، في القصيدة الواحدة ، بين  
تشكيلات البحر كلها على تنافرها . على أن بعضهم كان يقع في غلط ايسر  
من هذا فيورد في القصيدة الحرّة التشكيلتين اللتين تردان عروضيا في  
اسلوب الشطرين . وهذا نموذج من شعر خليل حاوي من بحر الرجز .

مستفعلن مستفعلن مستفعلن

( مستفعلن )	دارى التي أبحرت غربتِ مي
( فعول )	وكتت خير دار
( فعول )	في دوخة البحار

( مستعملان )  
( فعول ° )

في غربتي وغرفتي  
ينمو على عتبتها الغبار<sup>(١)</sup>

ويتجلى أسلوب الشطرين في هذا الشعر اوضح لو أضفنا اليه بعض  
التفعيلات الناقصة فانه سرعان ما يبدو هكذا

داري التي ابهرت غربتِ معي  
وكنت ( لي في البعد ) خير دار  
في غربتي وغرفتي ( ساكنة )  
ينمو على عتبتها الغبار

وهذا شعر ذو شطرين جار على القانون . وانما الخطأ فيه ان ناظمه  
أراد ان يجمع فيه بين الراجحين الاثنتين : تنوع أطوال الاشطر ، ووجود  
أكثر من تشكيلة ، وذلك لا يكون الا على حساب موسيقى القصيدة فانها  
تفقد الجمال والرين .

والحق أن الوقوع في هذا الخطأ ليس نادرا في الشعر الحر الذي  
يكتبونه اليوم . وهو كما بينا خروج صريح على مبادئ الشعر الحر ينبغي  
للشاعر ان يتحاشى الوقوع فيه .

(١) قصيدة (السندباد في رحلته الثامنة) لخليل حاوي ، مجلة الاداب ،  
بيروت العدد الخامس ١٩٦٠ .

## الفصل الثاني

# المآكل الفرعية في السير المحرّ

### توطئة

حيث وضع الخليل بن أحمد ، المتوفى ٧٥ هـ (٢٢٠) قواعد العروض العربي القديم ، استقرأها من الشعر العربي المسموع ، فحصر الأوزان المعروفة جميعاً ووضع لها مقاييس عامة شاملة سماها البحور ، ثم تناول التغييرات التي تعترى تلك البحور ، والتفريعات عنها ، وما يعترىها من زحاف وعلل واستخلص لها كلها قوانين ومقاييس لبي بها حاجة الشعر والنقد في زمانه . وكانت مقاييسه تلك مناسبة لزمانه كل المناسبة لأنها كانت مستقراً من شعر ذلك الزمن فحصرته كله ولم تترك منه شيئاً غير مضبوط بقانون ، وكان غرضه من ذلك أن يستطيع الناقد تقويم خطأ الناظم حين يخطئ على أساس علمي ثابت لا يعتريه النقص .

(\*) في تاريخ وفاة الخليل خلاف . راجع نزهة الألباء للأنباري ، ووفيات الأعيان لابن خلكان

وفي زماننا نحن نشأت حركة الشعر الحر وجاءت بأسلوب جديد فسي  
رصف التفعيلات الخيلية خرج على الأسلوب الشائع . وأدت هذه الحركة  
الى أن تنشأ مشاكل عروضية لم تكن تخطر على بال الخليل ، لأن العرب لم  
يقعوا في مثلها ، في قصائدهم . ولذلك بات علينا أن نستخلص ، في هذا  
العصر ، القانون العروضي الذي يضبط هذه المشاكل ويحيي الشاعر والناظم  
وناقده الشعر من الوقوع فيها . ومع أن هذه المشاكل لا تخرجنا من نطاق  
العروض الخليلي الرائع ، ولا تحوجنا الى استعمال كثير من الاصطلاحات  
الجديدة ، غير أننا نحتاج - مع ذلك - الى أن نخص الشعر الحر بفصل  
خاص نضيفه الى كتب العروض العربي ، وندرج فيه - كما فعلنا في هذا  
الفصل وسوابقه - القوانين الخاصة بالشعر الحر ، والحدود العروضية التي  
لا يصح له أن يتخطاها .

وكما كان اعتماد الخليل ، في ضبطه للبحور والسقطات في زمانه ، على  
حسه الشعري ، وذوقه وما يحفظ من الشعر العربي ، فقد كان اعتمادنا انا  
ايضا على حسي الشعري وذوقي وما أحفظ من الشعر العربي . والفضل فيما  
قد اكون وقتت اليه من قاعدة او قانون يرجع الى الخليل العظيم الذي رصف  
الطريق لكل شعر عربي خير رصف وأدقته ، وابتدع العروض ابتداء على  
غير نعت سابق . ولست أراني فعلت في هذا الفصل عن عروض الشعر الحر ،  
اكثر من استقراء قوانين جديدة على أساس الخطوط الكبرى التي رصفها ذلك  
العالم الفذ .

وبعد فإن لي ملاحظات حول طائفة من التفاصيل المتعلقة بالشعر الحر ،  
وهي ملاحظات فضجت في نفسي عبر سنين كثيرة كنت خلالها أتابع ما تنشره  
المجلات الادبية والصحف اليومية من هذا الشعر . وقد انتهيت بعد طول التأمل  
الى أن علينا في أي عروض نكتبه للشعر الحر ، أن نتنبه الى اربع قضايا  
فيه هي :

١ - الوتد المجموع

٢ - الزحاف

٣ - التدوير

٤ - التشكيلات الخاسية والتساعية

ولا بد لنا من أن نلحق بهذه القضايا الاربع العامة قضيتين خاصتين هما  
مسألة ورود ( مستفعلان ) في ضرب الرجز ، و ( فاعلٌ ) في حشو الخب •

علينا ان نشير كذلك الى ان الخليل هو الذي وضع الاصطلاحات (لوتد)  
( الزحاف ) ( التدوير ) ونحن لا نحتاج الى تغييرها في عروض الشعر الحرّ •  
وانما ينحصر ما نحتاج اليه ، في تعيين الاحكام الخاصة للوتد والزحاف  
والتدوير في الشعر الحرّ نفسه ، لان احكامها هنا تختلف بالضرورة عن احكامها  
في شعر الشطرين وغيره • وذلك بسبب الفروق التي شرحناها بين اسلوب  
الشطرين واسلوب الشطر الواحد المتغير الطول •

- ١ -

## الوتد المجموع

ه //

يعرّف العروضيون (الوتد المجموع) بأنه مجموع ثلاثة أحرف ، اثنان منها متحركان والثالث ساكن كقولنا « لقد ، هو ، صحا ، نعم » .  
ومن هذا نستطيع ان نستخلص ان هذا الوتد يختم التفعيلات ( فاعلن ، متفاعلن ، مستفاعلن ) ومعنى هذا انه يرد في أربعة من بحور الشعر الحر هي :

- ١ - المتدارك فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن
- ٢ - الرجز مستفاعلن مستفاعلن مستفاعلن
- ٣ - الكامل متفاعلن متفاعلن متفاعلن
- ٤ - السريع مستفاعلن مستفاعلن مستفاعلن فاعلن

وقد اقتصر كتب العروض العربي ، قديما وحديثا ، على تقديم الوتد تقديما عابرا في بدايات ابحاث العروض ، ثم لا تعود الى ذكره قط .  
ونحن اليوم في فترة من تاريخ الشعر العربي تحتّم علينا أن نمنى بهذا الوتد ، خاصة في تلك التفعيلات التي تنتهي به مما ذكرنا .

والذي نلاحظه - وهي ملاحظة شخصية - أن الوتد في الشعر العربي

ينصف بشيء من الصلادة والقسوة، ويجنح من ثم، إلى أن يتحكم في الكلمة التي يرد فيها، ويرفض أن يسح للشاعر بتخطيه. ومعنى هذا، إذا أردنا التبسيط، أن الوند يبلغ من القوة بحيث يستطيع أن يشق الكلمة التي يرد في أولها إلى شقين. مثال ذلك أن نقول مثلاً:

شيخ المعرفة شاعرٌ

مستعلن متفاعلين

أن الوند الأول هنا هو الحروف الثلاثة (معر) في كلمة (المعر) وقد جاء من الكلمة في وسطها، وبذلك شقها إلى شقين أحدهما في آخر التفعيلة (مستعلن) والآخر في أول التفعيلة (متفاعلين).

وتفسير ما نذهب إليه أن التفعيلة، بمعناها الشعري، وقفة موسيقية ينقطع عندها النغم، وهذه الخاصية أبرز وأشد في التفعيلات الوندية التي اشرنا إليها، لما ذكرناه من قسوة الوند وصلادته، فإذا توقف الصوت عند آخر الوند انقسمت الكلمة إلى قسمين تتخللهما وقفة قصيرة وذلك مستكره ينفر منه السمع الشعري فوراً ظاهراً.

أن قوة الوند هذه تجعل من الكياسة الشعرية أن يحاول الشاعر إرادته في آخر الكلمة لكي يختبأ به ويقويها، بدلاً من أن يورده في أولها فيقطع أوصالها ويضيع تماسكها. هذا هو القانون العام، وقد نحتاج إلى بعض الاستثناءات فيه بالنسبة للسوايق التي يرد فيها كما سنذكر.

وقد يتساءل القارئ: ماذا صنع آلاف الشعراء العرب من أسلافنا لتحاشي مشاكل هذا الوند المشاكس إذن عبر القرون؟ ولماذا لم يقعوا في شركه إذا كان يستدعي هذا الالتفات الخاص من الشاعر؟ والجواب أنهم كانوا يتحاشونه بالسليقة، لأن طبيعة الكلمة العربية وطبيعة موسيقى الأوزان كانت ترفض للشاعر أن يقع في مزلق الوند، فيعرف كيف يتخلص منه، وتلهمه فطرته الموسيقية أن يلجأ إلى واحدة من الطرق التالية للتخلص من أشواك الوند:

١ - ان يورد الشاعر الوتد في آخر الكلمة لا في اولها كأن يقول  
(متجافيا) او (زهر الربى) او (ذاهباً) .

الكلمة	الوتد فيها	التفعيلة
متجافيا	فيا	متفاعلن
زهر الربى	ربى	مستفعلن
ذاهباً	هبا	فاعلن

٢ - ان يورد الوتد في النصف الاول من الكلمة على ان يكون آخره  
حرف علة . مثال ذلك قول ابن مالك :

وأستعين الله في أليته

فالوتد هو الحروف «تعي» في كلمة (وأستعين) وآخره ، كما نرى ياء .  
وقد خفف ذلك من قسوته وجعل شوكته تكسر في حرف المدّ .

٣ - ومع ذلك فان ايقاف الوتد على حرف صلد في منتصف كلمة ليس  
مسنوعا كل المنع . وانما يرد في الشعر بشروط . وذلك بان يكون  
وقوعه كذلك نادرا بحيث يرد الى جواره ، وتدّ يختم كلمة ، ووتد  
آخر يقف على حرف مدّ ، فان وجود هذه الاوتاد التي كسرت  
حدّتها يجعل الاذن تتقبل ورود وتد واحد عفيف في البيت ، لابل  
ان وروده قد يضيف تنويما الى التفعيلات لقلته وندرته .

#### الوتد في شعر المعاصرين

في الحق ان شعراءنا الذين كتبوا الشعر الحرّ يقابلون الوتد بقلّة  
اكثرات ويتركونه ، في أحيان كثيرة ، يهدم الحانهم ويضعف موسيقى شعرهم  
دون ان يحسّوا . ولا نظن ذلك يقع لهم لانّ العلم بالعروض ينقصهم ،  
فالعروضيون كما قلنا لا يتعرضون الى هذه القضية قط ، وانما لان معرفة  
شعرائنا بالشعر العربيّ السليم أقلّ مما ينبغي لهم . وقد يكون بعضهم من

مدمني قراءة الشعر المعاصر وهو غالبا غير سالم من الايخطاء العروضية ، وليس مثلا يحتذى في الذوق الموسيقي . والا فلا تعليل لدينا لما نراه في القصائد الحديثة من رداءة في الصياغة وركاكة في الانغام . واغلب الظن أن القارئ يتلو القصيدة ويحسها ضعيفة الوزن ناشزة النغم دون أن يدري سبب ذلك فيها . وهو غالبا يخرج مغتاظا مهيبا لان يهاجم الشعر الحرّ في اول فرصة تسنح له  
هذا مثلا بيت لفدوى طوقان من قصيدة ضعيفة الوزن (١) . قالت من  
الرجز :

هنا استردت ذاتي التي تحطمت بأيدي الآخرين

ان الاوتاد في هذا الشطر هي :  
تركد° في كلمة (استردت)  
تي ال في كلمة (ذاتي التي)  
تَحَطَط° في كلمة (تحطمت)  
بأي في كلمة بأيدي

وهذا تقطيع البيت (٢)

هنا استردت	دت ذاتي ال	لتي تحط	طمت بأي	دي الآخرين
مفاعِلن	مستفعلن	مفاعِلن	مفاعِلن	مستفعلن

ومنه نرى ان الشاعرة قد وقفت اربع مرات على حرف صلد غير ممدود بينها الياء الساكنة غير الممدودة ، وحكمها في هذا الموضع حكم الحرف الصلد . وهذا ، كما نرى من قراءة البيت ، قد القى على الكلمات عبثا ثقيلًا

(١) قصيدة (تاريخ كلمة) لفدوى طوقان . مجلة الاداب . بيروت عدد ايار

١٩٦١

(٢) آثرنا رسم الكلمات المقطعة على غير طريقة العروضيين في جمع حروف لتفعيله وحذف ما لا يلفظ منها . وذلك رغبة منا في تسهيل الامر على القارئ الذي لم يالف العروض .

وكسرها تكسيرا . والبيت ، بعد ذلك ، خال من ليونة الموسيقى والتدفق الشعريّ الرقيق الذي يرد في بحر الرجز عادة . وذلك لان الوتد هنا اقوى من الكلمة ، بحيث قطع أوصالها . ولو كانت الشاعرة اختارت مواقف ساكنة على حروف ممدودة ينتهي عندها الوتد كما سبق ان شرحنا ، او لو انها على الاقل قد فعلت ذلك في تفعيلتين من أربع لساعد ذلك الشطر . ولكنها لم تفعل ذلك وانما وقعت في عكسه فجمعت بين الوقوف على حرف صلد ، والوقوف في وسط الكلمة . فكانت الكلمة تبدأ في وسط التفعيلة وتنتهي في وسط التفعيلة التالية . وكذلك الامر في التفعيلات فهي تبدأ في منتصف كلمة وتنتهي في منتصف كلمة تالية ، وكل ذلك ظاهر في تقطيع الشطر الذي أوردناه سابقا . وهو أمرٌ شائع في الشعر الحر الذي كتبوه في السنوات الاخيرة ، فليست فدوى هي وحدها التي وقعت فيه وانما اخترنا الشطر من شعرها لانها شاعرة مرهفة تحسن النظم ومثل هذا في شعرها نادر .

ونحب أن نشير الى ان الوتد في تفعيلة الرجز ( مستعلن ) اقوى منه وأقوى في تفعيلة الكامل ( متعلن ) وذلك لان ورود السبب الثقيل ( مت ) في اول تفعيلة الكامل يخفف من قسوة الوتد في ختام التفعيلة ، وكان ثقل السبب يقابل قسوة الوتد . واما في ( مستعلن ) حيث السبب الخفيف ( مس ) فان الوتد في آخرها يصبح أشد قسوة لوداعة السبب الخفيف السابقين له . ولذلك نجد الرجز اسرع انزلاقا من الكامل الى النثرية وضعف الموسيقى ، على الرغم مما نراه في سهولة النظم على الرجز وبحيث سماه ابلاننا ( حمار الشعراء ) ومصداق ما تقول ان اخطاء الشعراء في الشعر الحر المكتوب على وزن الرجز اكثر بكثير من اخطائهم في ذلك الشعر وهو مكتوب على وزن الكامل .

ومع ذلك كله فان قواعد الوتد في الرجز تنطبق على قواعده في الكامل ولو بدرجة أخف . ولذلك نلاحظ ان التدوير نادر الورود في البحر الكامل

والبحر الطويل<sup>(١١)</sup> ويكاد يكون مستكرها ولو لم تنص " كتب العروض على منعه . وانما ذلك ملحوظ في دواوين الشعراء انفسهم ، ولسنا نراهم وقعوا فيه الا اضطرارا .

وخلاصة الرأي أن من مستلزمات الوتد أن يقف بين الحين والحين في نهاية الكلمة ، وان تكسر شوكنه ببعض الوسائل الاخرى التي ذكرناها . ذلك امرٌ يحتمه الذوق وتتطلبه الاذن الشعرية ، وقد صنعه الشعراء ، وان كان العروضيون لم يقرّوه قط . حتى ابن مالك ، في الفيتة النحوية المنظومة ، قد التزمه . والحق ان منظومته ، من وجهة نظر العروض ، تتمتع بموسيقى مقبولة تفتقدها في اكثر شعر الرجز الحديث الذي شاع في السنين الماضية . وانه لعار يلحق بالشعر الحديث ان تكون «منظومات» اسلافنا التعليمية اوفر موسيقى من قصائد شعرائنا المعاصرين . ونحن اشد أسفا على ذلك لاننا ندري ان شعراءنا لا يقلون مواهب عن أولئك القدماء ، غير ان الاستهانة بالقواعد وقلة المبالاة بالخطأ قد باتت في عصرنا شبه ( مودة ) مضللة وقع فيها الجيل . وليس الذنب ذنب الحرية كما يظن أناسٌ يجنون التقليد والجمود وانما هو ذنب الجهل وضعف السَّمْع .

(١١) تفعيلات الطويل في إحدى تشكيلاته (فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن) وهي تنتهي بـوتد .

## الزحاف

يعرف العروضيون الزحاف بأنه « تغيير يلحق بشواني أسباب الاجزاء في البيت » وهذه أمثلة له تعيننا في الشعر الحر

زحافها	التفعيلة
مستفعلن	متفاعلن
مفاعلن	مستفعلن
فعلن	فاعلن
مفاعيلن	مفاعلتن

واكثر ما يعنينا من هذه الامثلة هنا ، الزحاف الذي يسس تفعيلة الرجز فيحيلها من ( مستفعلن ) الى ( مفاعلن ) ، وهو مرض شاع شيوعا فادحا في الشعر الحر ، واستهان به الشعراء ، او لم يحسوا به فتركوه يميث في شعرهم ويفسد أنغامه . والواقع ان هذا الزحاف مباح في وزن الرجز ، وقد ورد في

شعر اسلافنا كثيرا وكان وروده جميلا مقبولا لا مأخذ عليه . وانما ابيح ذلك في وزن الرجز لانه يدخل تنويها وتلوينا على التفعيلة ( مستعلن ) لان الانتقال منها الى زحافها ، بين الحين والحين ، يدخل على القصائد الرجزية جمالا وموسيقية . ولم يزل الشاعر العربي الحديث يلجأ الى هذا التنوع الذي هو صفة عامة في بحر الرجز تدخل في تركيبه ، والعروضيون يعترفون بها ويفسحون لها مجالا في كتبهم وقواعدهم .

غير ان ما لم يكن يفعله الشاعر القديم قط ، وانما ينزلق اليه الشاعر المعاصر ، هو ان يكتب أبياتا كاملة، واشطرا، تفعيلاتها كلها مصابة بالزحاف . هذا ، مثلا ، نموذج من شعر صلاح عبد الصبور . قال من الرجز : (١)

وحين يقبل المساء يقفر الطريق والظلام محنة الغريب

وهو كما نلاحظ شطر ذو ست تفعيلات وهذا تقطيعه :

وحين يقف	بل المساء	يقفر الط	طريق والظ	ظلام مح	نة الغريب
مفاعلن	مفاعلن	مفاعلن	مفاعلن	مفاعلن	مفاعلان

ومنه ندرك ان تفعيلات البيت الست جميعها مصابة بالزحاف دون ان يعبأ الشاعر، ولقد اصبح البيت ، بسبب هذا الزحاف الثقيل المتعب ، ركيك الايفاع ، ضعيف البناء ، منفرا للسمع . والواقع انه يجمع ثلاثة من خمسة من عيوب الشعر الحر التي ندرسها في هذا الفصل ، وللشاعر مندوحة عن ذلك بما يملك من رهانة شعرية نلمسها في بعض قصائده الاخرى . وكل ما يعوزه الاتباه واستكبار الخطأ .

واما سائر اصناف الزحاف التي اشرنا اليها في اول هذا الفصل فسوف

(١) قصيدة (رحلة في الليل) ، ديوان (الناس في بلادي) لصلاح عبد الصبور . بيروت ١٩٥٧ . ويلاحظ ان الشاعر يسيء استعمال الوتد في تفعيلاته الاولى والثالثة والرابعة والخامس .

تخطاها لاننا لا نراها تحدث مشاكل خاصة بالشعر الحرّ . ومنها زحاف  
التفعيلة (فاعلن) وهو (فعلن) وقد الف الشعراء أن يملوه في قصائد كاملة،  
وقلما يستعملون فيها اصل التفعيلة (فاعلن) الا في النادر . ومن هذا النادر  
قصيدة ميخائيل نعيمة :

هلي هلي يا رياح

وانسجي حول نومي وشاح<sup>(1)</sup>

وبعد فما الزحاف ، اذا اردنا ان ننظر اليه نظرة بسيطة ونخرج عن  
تعريفات العروضيين ؟ انه علة تعتري البيت وليس اساسا فيه . او هو مرض  
يصيب التفعيلة ، واختلال صغير تحبه لانه لا يرد كثيرا . تماما كما قد نجب  
خصاما صغيرا مع اصدقاء نعتزمهم ، او زكاما يداهنا يومين ثم ينصرف تاركا  
لنا احساسا أقوى بعذوبة العافية وجمالها . فباذا يحدث لنا لو أن حياتنا  
استحالت كلها الى خصومات وزكامات لا تنتهي ؟ ألن يكون طعم الحياة اذ  
ذاك يشبه وقع قصيدة كل تفعيلاتها زحاف ؟

ومن المؤسف أن يكون النادر اليوم في قصائد الرجز هو التفعيلة  
السليمة . ان شعرنا صار من المرض بحيث كدنا ننسى طعم العافية . وقد  
تفشى الزحاف الذي هو ، في نظرنا ، مسؤول الى حد كبير عن شناعة الايقاع ،  
والنثرية ، وغيرهما مما يشكر الجمهور وجوده في الشعر الحرّ .

والحق مع الجمهور .

(1) ترد هذه التفعيلة في شعري غير قليل . ومنها في شظايا ورماد القصيدتان  
(الافعوان) و (تواريخ قديمة وجديدة) وفي قرارة الموجة القصائد (اغنية)  
و اسخرية الرماد) و (بحكى ان حفارين) .

## التدوير

البيت المدوّر ، في تعريف العروضيين ، هو ذلك الذي « اشترك شطراه في كلمة واحدة بأن يكون بعضها في الشطر الاول وبعضها في الشطر الثاني » . ومعنى ذلك أن تمام وزن الشطر يكون بجزء من كلمة . نموذج ذلك قول المتنبي من الخفيف :

انا في أمة تداركها الله

هـ غريب كصالح في شؤد

فكلمة « الله » قد وقع بعضها في آخر الشطر الاول وبعضها في أول الشطر الثاني .

وللتدوير ، في نظرنا ، فائدة شعرية وليس مجرد اضطرار يلجأ اليه الشاعر . ذلك انه يسبغ على البيت غنائية وليونة لانه يمدّه ويطيل نعماته كما في هذه الابيات من شعر أمجد الطرابلسي وهي من البحر الخفيف :

وحدة العرب قد تضوّع في الجوّ

شذاها مثل الخميل النضير

وحدة العرب مزقت حجب الليب  
بل وشعت ملء الفضاء المنير<sup>(١)</sup>

وكما في أبيات علي محمود طه ، من الهزج  
إذا ما طاف بالشرف بضوء القمر المضي  
ورفّ عليك مثل الحلق سمٍ أو اتراقه المعنى  
وأنت على فراش الظم سر كالزنبقة الوسنى

وانما المحذور في « التدوير » هو أن العروضيين لم يتناولوه تناولاً ذوقياً ، بل كان كل ما صنعوا انهم نصّوا على جواز وقوعه بين الاشطر ، دونما إشارة الى المواضع التي يستتبع فيها لأنّ الذوق لا يستسيغه . والواقع أنّ كل شاعر مرهف الحاسة ، ممّن مارس النظم السليم ، ونما سعه الشعري ، لا بد أن يدرك بالفطرة ان هناك قاعدة خفية تتحكم في التدوير بحيث يبدو في مواضع ناشزا يؤذي السمع . ولسوف نجد ، حين ندرس دواوين الشعر العربي الجيد ، أنّ الشعراء كانوا ، بفطرتهم يتحاشون إيراد التدوير في بعض المواضع ، ولو ان كتب العروض لم تشر الى ذلك على الاطلاق .

واذن فما هذه المواضع التي ينبغي للشاعر فيها أن يتحاشى التدوير ؟ ملاحظتي الشخصية أن التدوير يسوغ في كل شطر تنتهي عروضه بسبب خفيف مثل (فعولن) في بيتي عمر أبو ريشة ، من المتقارب :

رويدك لا تجرحي صمتك الـ

رهيب ولا تهتكى مئزره

- (١) قصيدة (مصرع الصقر) لامجد الطرابلسي . مجلة الرسالة . المجلد  
الاول من السنة السابعة ص ١٠٦ .  
(٢) قصيدة (القمر العاشق) لعلي محمود طه . ديوان ليالي الملاح التائه .  
شركة فن الطباعة - القاهرة .



فاني أحسّ به هممات الـ  
وحوش وخشخشة المقبرة<sup>(١)</sup>

ومثل (فاعلاتن) في البحر الخفيف ونموذجها من شعر سليمان العيسى :

وحدة تلهم الكواكب مسرا  
ها وتمشي في القفر ظلا ظليلا  
وحدة تفجر الينابيع في الكو  
ن فراتا يسقي العطاش ونيلا<sup>(٢)</sup>

غير ان التدوير يصبح ثقيلًا ومنفرا في البحور التي تنتهي عروضها بوتد  
مثل (فاعلن) و (مستعلن) و (متفاعلن) . وهذا نموذج لتدوير قائم على  
وتد من شعر محمد الهمشري<sup>(٣)</sup> من الكامل :

هي جنة الأشجار والأظلال والـ  
أعطار والأنعام والأنداء

وبسبب هذا العسر نجد أن الشعراء قلما يقعون في تدوير البحر  
(البيسط) او (الطويل) او (السريع) او (الرجز) او (الكامل) . نعم ، ان ورود  
بيت مدور في بحر من هذه البحور في قصيدة طويلة لشاعر متمكن شيء غير  
مستحيل ، وفي وسعنا أن نعثر عليه اذا نحن قلبنا الدواوين وصبرنا على  
البحث ، غير ان ذلك نادر ، وندرته ذات دلالة ، ومن هذا النادر قول المتنبي  
من الكامل :

- 
- (١) قصيدة (الروضة الجامعة) لعمر ابو ريشة ، ديوان مختارات . مطابع  
دار الكشاف بيروت  
(٢) قصيدة (في عيد الوحدة) من ديوان قصائد عربية لسليمان العيسى . دار  
الاداب . بيروت ١٩٥٩ .  
(٣) قصيدة (النارنجة الذابلة) لمحمد الهمشري . كتاب الروائع لشعراء  
الجيل . محمد فهمي مطبعة الشيكشي بالازهر - القاهرة .

الناعمات القاتلات المحييا  
ت المبديات من الدلال غرائبا

وله من الطويل :

وكم من جبال جبت تشهد اني ال  
جبال وبحر شاهد اني البحر  
والواقع ان التدوير هنا - حتى في شعر المتنبي - قد أساء الى موسيقية  
الايات . ولو تجنبه الشاعر لكان أحسن .

وملاحظتي الثانية حول التدوير ، وقد تكون ملاحظة غريبة ، انه وهو  
لايسوغ في البحر الكامل ، يسوغ في مجزوء الكامل ، لا بل انه يضيف  
اليه موسيقية ونبرة لينة عذبة . من ذلك البيت الثاني من قول البهاء زهير . (١)

مالي أراك أضعتني وحفظت غيري كل حفظ ؟  
متهتكا فاذا حضر ت تظل في نسك ووعظ  
متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلاتن

ومن هذا في الشعر الحديث ايات علي الجارم في قصيدته المشهورة : (٢)

يا سطر مجد للعرو به خط في لوح الوجود  
بغداد انا وفد مصر تقيض بالشوق الاكيد  
اهلوك اهلونا وأب ناء العشيرة والجدود  
حتى يكاد يجب نخ ملك نخل اهلي في رشيد  
متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلاتن

(١) ديوان ابي الفضل بهاء الدين زهير . إدارة الطباعة النيرية . القاهرة .

(ص ١١٤)

(٢) قصيدة (بغداد) .

ومثل ذلك يسكن ان يقال عن بحر الرجز الذي يصح التدوير في مجزؤه  
كما في قول نزار قباني :

حدودنا باليا سي ن والندی محصنه  
وعندنا الصخور ته وى والدوالي مدونه  
وان غضبنا نزرع ال شس سيوفا مؤمنه  
بلادنا كانت وكا نت بعد هذي الازمنه  
في أرضها كتبت ه ذي الاحرف الملحنه<sup>(١)</sup>

ولعلّ السبب الذوقى الذي يبرر وقوع التدوير في مجزوء الكامل  
والرجز دون الكامل والرجز نفسها أنّ المجزوء قصير بحيث لا يعسر فيه  
التدوير ، ولعلّ للامر تفسيراً آخر يفوتني ، والله أعلم .

#### التدوير في الشعر الحر

ينبغي لنا أن نقرّر ، في أول هذا القسم من بحثنا ، ان التدوير يتمتع  
امتاعاً تاماً في الشعر الحرّ ، فلا يسوغ للشاعر على الاطلاق ان يورد شطراً  
مدوراً . وهذا يحسم الموضوع .

واذن فلماذا نكتب هذا الفصل ؟

نفعل ذلك لانّ امتناع التدوير في الشعر الحرّ ليس شيئاً معروفاً لجبهة  
الشعراء الذين يكتبون هذا الشعر ، وانما نبدأ نحن بتقريره استنباطاً وقياساً  
على العروض العربيّ وانقياداً للذوق الفطريّ . وليس يخفى ان كل قاعدة  
مقررة انما بدأت بأن استنبطها انسان ما ، فذلك سائق ولا مأخذ عليه . وانما  
ينبغي لنا ان نبرر هذا المنع من جهة ، وأن نشير الى ما يقع فيه الناشئون من  
أخطاء ، في هذا الباب ، من جهة اخرى .

(١) قصيدة (بلادي) ديوان طفولة نهد نزار قباني ، (القاهرة ١٩٤٨) .

واحب ان اقول اولا اني لست ممن يمنع الاساليب الجديدة لمجرد انها لم تسمع من العرب ، وذلك لان تطور الظروف والاحوال في الوطن العربي قد يستدعي تطور القواعد . وانما اعتيادنا دائما على الذوق والمنطق الادبي والفطرة الشعرية التي نملكها وهي ، بلا ريب ، شديدة التأثير بأحوال العصر الذي نميش فيه . وذلك بالاضافة الى مقاييس العروض العربي والمسوع من شعرنا القديم عبر مئات السنين .

اما اسباب امتناع التدوير في الشعر الحر ، في رأيي ، فانا بسطها فيما يلي :

أولا - لان الشعر الحر شعر ذو شطر واحد كما سبق أن أوضحنا . وذلك يتضمن الحقائق التالية :

أ - كان شعر الشطر الواحد لدى العرب، في العصور كلها، قديما وحديثا، شعرا يستقل فيه الشطر استقلالاً تاماً فلا يدور آخره . وذلك منطقي وهو يتمشى مع معنى التدوير الذي لا يقع الا في آخر الشطر الاول ليصله بالشطر الثاني ، وذلك في القصائد ذات الشطرين وحسب . وعلى ذلك فان التدوير ملازم للقصائد التي تكتب بأسلوب الشطرين وحسب .

ب - لان التدوير يعني ان يبدأ الشطر التالي بنصف كلمة وذلك غير مقبول في شطر مستقل . وانما ساغ في الشطر الثاني من البيت لان الوحدة هناك هي البيت الكامل لا شطره . واما في الشعر الحر فان الوحدة هي الشطر ولذلك ينبغي ان يبدأ دائما بكلمة لا بنصف كلمة كما في فقرة

جورج غانم التالية من المتقارب :

لا هتف قبل الرحيل

ترى يا صغار الرعاة يعود الـ

رفيق البعيد<sup>(١)</sup>

(١) نداء البعيد . (بيروت ١٩٥٧) ص ١٨ .

ج - لان شعر الشطر الواحد ينبغي ان ينتهي كل شطر فيه بقافية ( أو على الأقل بفاصلة تشمر بوجود قافية ) ومن خصائص التدوير انه يقضي على القافية لانه يتعارض معها تمام التعارض . وهذه حقيقة تفوت الشعراء الناشئين ، وبسببها يضيعون قوافيهم التي يجهدون لها احيانا . والمثال السابق من شعر جورج غانم نموذج لما نقول . فقد انتهى الشطر الثاني بالقافية ( يعود ) وهي تتجاوب مع قافية الشطر الثالث ( البعيد ) . على ان مجيء التدوير في الشطر الثاني قد جعل تقطيع الشطر كما يلي :

تري يا	صغار ال	رعاة	يعودر
فمولن	فمولن	فمول	فمولن

ومعنى ذلك ان القافية ( البعيد ) اصبحت تقابل كلمة ( يعودر ) وبذلك ماتت القافية . وكان على الشاعر أن يضحى بواحد من اثنين : القافية أو التدوير . ولسنا ندري لماذا لم يقل مثلا

تري يا صغار الرعاة يعود  
رفيقي البعيد

واذا كان يريد ان يجمل ( يعود ) قافية ، ويحسب ان الشطر قد انتهى عندها ، فكيف فاتته ان بداية الشطر التالي ( الرقيق البعيد ) كانت حرفا ساكنا هو همزة الوصل ؟ ومتى كان البيت العربي يبدأ بساكن ؟

ثانيا - يمتنع التدوير في الشعر الحر لانه شعر حر ، اعنى أن الشاعر فيه قادر على ان ينطلق من القيود ، ومن ثم فان ذلك يجعله في غير حاجة الى التدوير . وما التدوير ، لو تأملنا ، الا لون من الحرية يلتمسه الشاعر الذي كان مقيدا بأسلوب الشطرين حيث الشطر الاول ذو طول معين لا ينبغي أن يزيد ، فكان الشاعر يطيله بالتدوير ليملك بعض الحرية . ومن ثم فلماذا يريد الشاعر تدوير أسطره في القصيدة الحرة ؟

الحقيقة انه ليس من سبب يبرر ذلك على الاطلاق . فالشعر الحرّ يبيح  
للشاعر ان يطيل الشطر وفق حاجته ، وبذلك يتخطى الشطر القديم الذي كان  
يقيد الشاعر . واذا كان الشاعر قبل يستعمل تدويرا يطيل به الشطر الاول فان  
الشاعر الحرّ يستطيع أن يطيل شطره دون تدوير ، وذلك بأن يرصّ الشطرين  
المدور أولهما معا في شطر واحد ، لان ذلك مباح في الشعر الحرّ ، وهو في  
الواقع مزيتته . وفي هذه الحالة يصبح التدوير بلا معنى على الاطلاق . وقد  
كانت اشطر جورج غانم تشير الى هذا بوضوح ، فقد قال في شطرين .

تري يا صغار الرعاة يعود الـ

رفيق البعيد

وهذا شيء لا ضرورة له ، ففي وسعه ان يقول في شطر واحد

متناسق :

تري يا صغار الرعاة يعود الرفيق البعيد

وقد رأينا مما سبق ان القافية ( يعود ) في الشطر الواحد ليست اقلّ  
ضياعا منها في شطرين ، وذلك لان التقسيم القسريّ لشطر واحد الى شطرين  
لا ينقذ هذين الشطرين من أن يبقيا شطرا واحدا في الواقع .

وبعد، فان كون الشعر الحرّ يمنح الشاعر حرية اطالة أشطره وتقصيرها  
والوقوف حيث يشاء بحسب مقتضى المعنى ، ينفي الحاجة الى التدوير أصلا .  
فاذا احتاج الشاعر الى شطر طويل فان في وسعه ان يكتبه بلا تدوير . بدلا  
من ان يكتب شطرا ذا ثلاث تفعيلات مدورا بحيث يفضي الى شطر آخر ذي  
ثلاث تفعيلات ، فان في امكانه ان يجمع الشطرين في شطر واحد ذي ست  
تفعيلات . أو لم نبج له ذلك في الشعر الحرّ ؟ فما الداعي الى التدوير اذن ؟

وقد يعترض علينا شاعر بانه يقول « اني انما اجعل الايات مدورة في

أشطر متتالية كثيرة لأن العبارة التي اكتبها تستغرق أشطرا كثيرة . او لم  
تسحوا لي ان اطليل العبارة كما أشاء ؟ » والواقع أن في هذا السؤال وهما  
واضحا . ذلك ان التدوير ليس ملازما للعبارة الطويلة فقد تكون العبارة  
قصيرة ويدورّ الشاعر البيت مع ذلك ، وقد تكون طويلة دون ان يحتاج الى  
تدوير البيت . ولماذا تستغرق اية عبارة طويلة عشرة أشطر مدوّرة ؟ لماذا لا  
تستغرق عشرة أشطر غير مدوّرة ؟ ان التدوير ، لو تأملنا ، لا يتصل بطول  
العبارة ، وانما هو محض انشطار الكلمة الى شطرين كل منهما ينتمي الى  
تفعيلة . ومن ثم فانه قد يقع في كل شطر من قصيدة عباراتها قصيرة ، فتبدأ  
العبارة في منتصف الشطر المدورّ وتنتهي في النصف الثاني ، ثم تبدأ عبارة  
جديدة في منتصف شطر مدورّ ثان وتنتهي في الشطر التالي . وكذلك فلا صلة  
للتدوير بطول العبارة .

ثم ان هناك سؤالاً شديداً الأهمية ينبغي للشاعر ان يلقه على نفسه ،  
السؤال حول الطول الممكن للعبارة في أية قصيدة ذات ايقاع وموسيقى .  
فلنفرض أننا أبخنا للشاعر ان يطيل شطره ( ذا التفعيلة المكررة ) الى ما شاء  
الله . فهل يستسيغ سمعه ان يورد اكثر من ست تفعيلات أو ثمان في الشطر  
الواحد ؟ الجواب على هذا قد ثبت لي بالتجربة الطويلة وقراءة مئات من  
قصائد الشعراء . ان ذلك غير سائغ ولا مقبول لان الغنائية في تفعيلات الشعر  
تفقد حدتها وتأثيرها حين تتراكم تفعيلات متواصلة لا وقفة عروضية بينها .  
ذلك فضلا عن أن تواتر التفعيلات الكثيرة مستحيل لانه يتعارض مع التنفس  
عند الالتقاء . لا بل انه يتعب حتى من يقرأه قراءة صامتة بما يحدث من رتابة .  
وسرعان ما نمجّه ونرفض أن نقرأ . ولننظم مثالا من البحر الكامل تتوافر فيه  
( متفاعلين ) بلا وقفة مع غلبة التدوير :

طلعت نجوم الليل تفرش ظلمة الاحراش

احلاما طريات ورش العطر خدّ الليل والدنيا

تلفح كل ما فيها بأستار الظلام المدلهم البارد  
القبري" واقتاب المدى خوف من المجهول. يا  
قلبي تيقظ" واترك الاوهام تجني كل  
باقات الاماني . أمسك الجذلان بالافرايح  
والرغبات قد قضى الناس وعاد يملا مشرق  
الدنيا ضياء وابتسامات فدع فتن الصباح  
المشرق المسحور ينفذ لا تكن حيران مقطوع  
الرؤى .

ليس هذا نظما سمجا ، ميتا ، لا يحتمل ؟ ان قراءته غير ممكنة ، وهو  
لترادفه السريع ممل رتيب يتعب السمع ويضايق الحس الجمالي لدى  
القارىء . وبرز ما ينقصه هو الوقفات . ذلك ان السكته في آخر الشطر  
والبيت كانت وما زالت عنصرا « مهما » في القصيدة . ان للسكوت وقعا شعريا  
يعادل وقع الاشطر نفسها . ومن دون هذا السكوت يموت الشعر كما رأينا .  
والظاهر ان كثيرا من الذين يكتبون الشعر الحر ينسون هذه الحقيقة  
ولذلك نراهم يرصون لنا اشطرا كثيرة مدورة في الحقيقة كلها شطر واحد .  
وما أحراهم بأن يتبهاوا .

### التشكيلات الحماسية والتساعية

جاء الشعر الحرّ بالحرية واصبح في مقدور الشاعر ان يزيد التفعيلات في الشطر وينقصها كما يشاء في وفق القيود والشروط التي ذكرناها في الفصول السابقة . وقد ادى ذلك الى ان ينظم الشعراء أشطرا تتنوع أعداد تفعيلاتها من الواحدة الى العشر . وكان أن جابهنا في الشعر العربي الاشطر ذات الخمس تفعيلات .

ونحن أن تنبه أولا الى أن الشعر العربي ، في مختلف عصوره ، لم يعرف الشطر ذا التفعيلات الخمس ، وانما كان الشطر يتألف اما من تفعيلتين كما في الهزج والمجتث والمضارع ، او من ثلاث كما في الرجز والرمل والكامل ، او من أربع كما في الطويل والبسيط والمتقارب والخبب . وعند هذا وقف الشاعر فلم نقرأ له أشطرا ذات خمس تفعيلات اطلاقا .

واما في المجزوء فان طول الشطر لم يزد على تفعيلتين او ثلاث . وعندما يكون الشطر المجزوء مدورا فان طول الشطر يصبح - في الواقع لا فسي الاعتبار - ست تفعيلات وان سمّيناه بيتا . لان المدور ، في حقيقته . شطر لا شطران . وهذا قد كان الطول الاقصى للشطر العربي .

وجاء المعاصرون وتناولوا الحرية التي أباحها لهم الشعر الحر فخرجوا على قانون الاذن العريية ونظموا أشطرا ذات خمس تفعيلات . وكان ينبغي لهم ، اذ ذلك ، ان يتوقفوا ويدرسوا هذه المسألة ويقرروا مدى نجاحها . فلماذا لم يكتب العرب شعرا خماسي التفعيلات على الاطلاق ؟ أو كان ذلك مصادفة واعتباطا ؟ ام ان للمدد خمسة صفة تجعله لا يصلح في شعر لدن ذي ايقاع ؟ على ان المعاصرين شعراء وناقدا لم يعنوا يبحث هذه الاسئلة ولم يقفوا عندها . لا بل ان مجابتهنا بالاشطر الخماسية لم تثر اي صدى فكان العرب قد القوا ذلك . ومضى الشعراء يكتبون اشطرا خماسية دونما تعليق .

وكانت ذلك كله يتم عن الاهمال ، اهمال من الشعراء الذين يكتبون بأسلوب جديد فلا يعنون حتى بالاشارة الى ذلك ، واهمال من النقاد الذين تمر بهم ظاهرة كهذه فلا تلفت انظارهم . وانما كان ينبغي ان تدرس القضية فاما أن تقر باعتبارها تجديدا يقبله الذوق المعاصر ، او ان ترفض لانها نشاز موسيقي تأباه الاذن العريية . ولعلنا نعتب على المروضيين اكثر مما نعتب على سواهم ، لما في ايديهم من سبل النقد الشعري وما لهم في انفسنا من ثقة . على ان اكثرهم فيما نعلم - قد استكبر ان ينظر في الشعر الحر ، وأتف أن يعده شعرا بحيث ينزل الى قدمه بمقاييس العروض الصلدة ، ومن ثم فماذا يعنيه ان ترد فيه خمس تفعيلات او لا ترد ؟ ومهما تكن الاسباب فان الشعراء راخوا يقعون في الشطر الخماسي دون ان ينتبهوا الى شناعة وقعه في السمع وقبح ايقاعه .

هذا نموذج من قصيدة لغدوى طوقان سبق أن اقتبسنا منها :<sup>(1)</sup>

تحتني صديقي المقرّب الاثير  
صداقة حميمة تشدني اليك من سنين  
( أربع تفعيلات )  
( خمس )

(1) قصيدة (تاريخ كلمة) لغدوى طوقان . مجلة الاداب العدد الخامس .  
ابر ١٩٦١ .

وقولها في القصيدة نفسها :

قبلك من سنين من سنين ( ثلاث )  
نشدتها مذ كنت طفلة حزينة مع الصغار  
وحين فتحت براعمي ورعرع الصبا النضير ( خمس )  
وضمخ الجواء بالمبير ( ثلاث )

ومثل ذلك في قصيدة عنوانها (جيكور والمدينة) لبدر شاكر السياب :<sup>(١)</sup>

تقول يا قطار يا قدر ( ثلاث )  
قتلت اذ قتلته الربيع والمطر ( اربع )  
وتنشر الزمان والحوادث الخبر ( اربع )  
والام تستغيث بالمضد الخفر ( ثلاث )  
ان يرجع ابنها يديه ، مقلتيه ، ايما اثر ( خمس )  
وترسل النواح يا سنا بل القمر ( اربع )

لعل هذه النماذج تخبرنا هي نفسها لماذا لم يرتكب العرب الوقوع في التفاعلات الخماسية ، ذلك انها تبدو قبيحة الوقع ، عسيرة على السمع ، بحيث لانتاج الى اكثر من ايرادها للتدليل على ضرورة تحاشيها .

ومما لا يقبل كذلك استعمال تشكيلة ذات تسع تفاعلات ومثالها قصيدة لخليل الخوري ، من المتقارب . قال <sup>(٢)</sup>

تمر ليال أحس بها اني لن اكحل جفني برأى الصباح  
ليال أرى الموت فيها على قاب قوس وأدنى يد الي الجناح  
وأسمع دقات قلبي مجنونة كالرياح كمصف الرياح

(١) قصيدة (جيكور والمدينة) لبدر شاكر السياب مجلة شعر ، العدد ٧-٨

سيف وخریف ١٩٥٨ .

(٢) قصيدة (تمر ليال) لخليل الخوري . مجلة الاداب ، اذار ١٩٥٩ .

يردّ صداها جدار الظلام ويذرو حبيباتها فهي رجع نواح  
فأبسم مستسلما غير أني اذا ما أطلّ على الكون فجر ولاح  
اراني ما زلت أحياء كما كنت لا الموت جاء ولا ثار حولي الصياح

ان كل شطر في هذه القصيدة ذو تسع تفعيلات وهو - كما نظن أن  
القارئ يقرّنا عليه - أطول مما ينبغي لسطر واحد . وليس لنا مفرّ من ان  
نمدّه شطرا واحدا لان العدد تسعة لا ينقسم على اثنين بحيث نستطيع ان  
نرصفه على شطرين فنخفف بذلك من ثقله . ولقد كنا نستطيع ان نقسمه على  
ثلاثة أسطر لو ان الشاعر اراد ذلك وحدث له الوقفات اللازمة في ثنايا الشطر .  
والواقع ان قابلية العدد تسعة للقسمة على ثلاثة تجعل اطالة الشطر اليه غير  
مقبول ، فماذا كان يضير الشاعر ان يقول هذا مثلا :

فأبسم مستسلما غير أني اذا ما أطل  
على الكون فجر ولاح  
اراني ما زلت احياء كما كنت لا الموت جاء  
ولا ثار حولي الصياح

ان ثقل التفعيلات التسع يأتي من ناحيتين اولاهما ان العرب لم يكتبوا  
شطرا مدورا أطول من ثماني تفعيلات ، وثانيهما ان الرقم تسعة هو نفسه شنيع  
الوقع في السمع ، كالرقم خمسة تماما . فليس الطول وحده هو الثقيل فيه ،  
وانما لانه ايضا ذو تسع تفعيلات .

اما السبب في كون العددين خمسة وتسعة لا يردان في الشعر العربي  
فلعله يحتاج الى دراسة للمقاطع تكشف السرّ فيه .

### مستفعلان في ضرب الرجز

يقع بعض الذين يكتبون على بحر الرجز في خطأ شنيع هو انهم يوردون التفعيلة (مستفعلان) في ضربه، ولا يقع هذا في الشعر العربي قط لان الاذن تمجته . ولعل خير دليل تقدمه على شناعة وقع (مستفعلان) هذه في ضرب الرجز ما نجده في كتب النحو العربي حين يتحدثون عن أنواع التنوين فيسمون التنوين في خاتمة بيت رؤبة التالي (غالبا) اي صعبا عسيرا لا ينبغي ان يرد:

وقاتم الاعماق خاوي المخترقن

مشتبه الاعلام لتاع الخفقن

وظاهر ان التفعيلة الاخيرة هنا قد التقى فيها ساكنان وباتت مماثلة لمستفعلان ( ما عدا ان القاف فيها حرف صحيح لا لين ) . وانما سموا النون هنا (غالية) لانها وردت في مكان غير مقبول من تفعيلة الرجز التي ترفضها . وليس في الشعر العربي كله ، عدا هذه النون ، تشكيلة لبحر الرجز تنتهي ب «مستفعلان» . ومن الواضح ان بيت رؤبة شاهد نحوي وكثيرا ما يتمسك النحاة في التماس الشواهد .

واما لماذا اورد المعاصرون ( مستفعلان ) هذه في خواتم تشكيلات الرجز في شعرهم الحرّ فلعلّ التعليل الوحيد له ان الشاعر الناشئ سمع ان في الشعر الحرّ حرية فظن ان معنى تلك الحرية ان يخرج على العروض وقواعده ، وحتى على الاذن المرية وما تقبله . وغاب عنه ان العروض هو الموسيقى ولا سبيل الى الخروج عليه ما دمنا نكتب شعرا . ولا ريب ان في اصطلاحنا « الشعر الحرّ » لا يسمح بمثل هذه التأويلات الفضاضة التي وقع فيها الشعراء لاتنا احترزنا بكلمة ( الشعر ) عن ان نقصد بالاصطلاح الخروج على ما هو اساسي في كل شعر وهو الموسيقى . واما ( الحرية ) فقد شرحناها بانها التحرر من التقيد بالشرطين المتساويين في الطول ، ومن ثم فاذا كتبنا قصيدة حرّة ، على وزن الرجز ، فمن المنطقيّ ان نتقيد بقوانين العروض الخاصة ببحر الرجز جميعا ، ما عدا التقيد بعدد معين من التفعيلات في كل شطر .

وقد بدأت الفوضى في بحر الرجز على يد قلة من الشعراء الناشئين كما اذكر ، وكنت وانا ارقب ما تنشر الصحف اعتقد ان الراسخين من الشعراء ، الذين مارسوا الكتابة بأسلوب الشرطين طويلا ، سوف يتحاشون الوقوع في هذه الفوضى . ومن هؤلاء نزار قباني مثلا وقد سبق له من بحر الرجز في ديوانه الاول :

تقول لي مكسورة الاهداب عمّ تبحث ؟  
قلت أضعت قبلة وفقدت هاكم يورث  
قد قفزت مني وفوق الشعر منك تمكث  
سمراء رديها اليّ ليس بي تريث<sup>(١)</sup>

هنا نرى نزار قباني لا يأتي بتشكيلة فيها ( مستفعلان ) غير انه يقع في ذلك عندما يخرج الى سماء الحرية في الشعر الحرّ بعد ذلك بسنوات ، وكأنه

(١) قالت لي السمراء . نزار قباني . الطبعة الاولى ، دمشق ١٩٤٧ .

نسي حتى اذنه الموسيقية وتحرر منها فنسمعه يقول :

اكتب للصغار  
للمرب الصغار حيث يوجدون (مفاعلان)  
اكتب للذين سوف يولدون (مفاعلان)

اكتب للصغار  
قصة بئر السبع واللطرون والجليل  
واختي القليل°  
هناك في بيتارة الليمون اختي القليل° (مفاعلان)  
اذ كان في يافا لنا حديقة ودار

يلفها النعيم  
وكان والدي الرحيم (مفاعلان)  
مزارعا شيخا يحب الشمس والتراب<sup>(١)</sup>

وكذلك نجد هذا الخطأ لدى فدوى في قصيدتها ( تاريخ كلمة ) التي  
سبق ان اقتطفنا منها ذلك حيث تقول :

ومرت الايام يا صديقي الاثير  
جديية مطمورة بالثلج بالاسى المرير (مفاعلان)  
وقلبي الوحيد ينطوى على جفاهه على ظمائه<sup>(٢)</sup> (مفاعلان)

ان هذا شنيع . وانا على يقين من ان نزار وفدوى - وكلاهما شاعر  
مرهف ذو موهبة صافية - سوف يلاحظان معنى ما أقول فوراً ويقران أنه

(١) قصيدة (قصة راشيل شوارزنبيرغ) ديوان (قصائد من نزار قباني) .  
مطابع دار العلم الملايين . بيروت ١٩٥٦ .  
(٢) قصيدة (تاريخ كلمة) لفدوى طوقان . مجلة الاداب . ايار ١٩٦١ .

ناشر . وانما يقمان فيه ، على ما اظن ، وهما يشعان بنفور منه . غير أن دوار  
الحرية قد اصابها فيمن اصابه ، فجعلهما يسكتان صوت فطرتها الشعرية .  
ولعل هذا هو ايضا شأن غير قليل من الشعراء الذين نشأوا بعد نزار وفدوى  
مثل صلاح عبد الصبور (٧) وغيره . ونحن نتمنى ان يعود هؤلاء الشعراء الى  
صوت فطرتهم التي تلهمهم واسماعهم العربية ليتبينوا الصواب من الخطأ . ولا  
اظنه يضير الشاعر المعاصر ان يدرس العروض ولو دراسة عابرة ، فانما وجد  
العروض ليمين الشعراء اكثر مما يمين الناظمين . وانما يفهم العروض الفهم  
الحق الشاعر الموهوب . واما الناظم فمهما درسه فان جوانب منه تبقى غامضة  
عليه ، فضلا عن انه لا يستطيع ان يدع فيه وقصارى ما يملك ان يقيس على  
الموازن قياسا انطباقيا جامدا .

والواقع ان الشعر ليس موهبة وحسب ، وانما هو نظم قبل ذلك ، وللنظم  
قواعده وأأسسه . فاذا كان الشاعر الموهوب ، بكل موهبته التي يعتز بها ،  
يكتب الشعر ويخطئ في الوزن ، فما باله يزدرى العروض ويترفع عن دراسته  
اذن ؟

(٧) يقع صلاح كثيرا في (مستغلان) عندما يكتب على الرجز . وقد سبقت  
له شواهد في بحثنا هذا .

### فاعلٌ في حشو الخبب

المعروف ان تفعيلة الخبب ( فعلن ) ليست الا زحافا يعتري تفعيلة المتدارك الاصلية ( فاعلن ) . وبتكرار فعلن هذه ينشأ وزن الخبب او ( ركض الخيل ) كما يسمونه احيانا . والمعروف ايضا ان العرب لم يستعملوا هذا الوزن الا نادرا . ولعل ذلك هو الذي جعل الخليل ينسأه فلا يحصيه في بحوره الخصة عشر ، وانما استدرك به الاخفش وسماه لذلك ( المتدارك ) .

ويتميز هذا الوزن بخفته وسرعة تلاحق انغامه ، كما نرى من نمودجه التالي المشهور :

يا ليل الصب متى غده ؟  
أقيام الساعة موعده  
رقد السمار وأرقه  
أسف للبين يردده  
فبكاء النجم ورق له  
مما يرعاه ويرصده  
كلف بغزال ذي هيف  
خوف الواشين يشرده

نصبت عيناى له شركا  
 فى النوم فمز تصيده  
 صنم للفتنة متصب  
 أهواه ولا اتعبده  
 صاح والخمر جنى فمه  
 سكران اللحظ مرعبده (١)

وهذه الخفة وتلك السرعة تجعلانه لا يصلح الا للاغراض الخفيفة الظريفة،  
 والا للاجواء التصويرية التي يصح فيها ان يكون النغم غالبا . وانما يثبت  
 فيه هذه الصفة ما نراه من تقطع انغامه ، فكان النغم يقفز من وحدة الى  
 وحدة . وسبب ذلك ان (فعلن) تتألف من ثلاث حركات متوالية يليها ساكن  
 (وهو ما يسمى بالفاصلة الصغرى) وهذا التوالي الذي يعقبه سكون في كل  
 تفعيلة يسبغ على الوزن صفته الملحوظة فكأنه يقفز . وذلك هو الذى جعلهم  
 يستوناه (ركض الخيل) احيانا .

والظاهر أن الشاعر العربي كان يضيق بهذا التقطع في وزن الخبب  
 فيعمد الى التخفيف منه باسكان العين في (فعلن) بين الحين والحين وبذلك  
 يتحول السبب الثقيل الى سبب خفيف ويزول العناء . وذلك واضح في  
 قصائد الخبب كلها ومنها قصيدة الحصري السابقة :

ينضو من مقتله سيفا  
 وكان نغاسا يفسده

ان في هذا البيت اربع تفعيلات مخففة وأربعا على الاصل وذلك يكبح  
 جماح الحركة ويخفف منها . فضلا عن انه يضيف تنويما وتلوينا الى تفعيلات  
 البحر الرتيبة .

(١) من شعر الحصرى القيروانى المتوفى سنة ٤٨٨ هـ .

ثم جاء العصر الحديث فاذا نحن نحدث تنويها جديدا لم يقع فيه اسلافنا . ذلك انا نحوّل (فعلن) الى (فاعل) . وليس في الشعراء ، فيما اعلم ، من يرتكب هذا سواي ، بدأت فيه منذ أول قصيدة حرّة كتبها سنة ١٩٤٧ ومضيتُ فيه حتى الآن . هذا مثلا مطلع قصيدتي (لعنة الزمن)<sup>(١)</sup> من الخبب:

كان المغربُ لون ذبيح  
والأفق كآبة مجروح

ووزن الشطر الاول فيه هو :

فعلن فاعلُ فاعلُ فعلٌ

وقد جرت أشطر كثيرة في القصيدة على هذا النسق ، خلافا للقاعدة العروضية في الخبب . وأنا أقرُّ بانني وقعتُ في هذا الخروج عن غير تمسّد . وقد ألفتُ ان انظم الشعر بوحى السليقة ، لا جريا على مقياس عروضي ، تحلني خلال عملية النظم موجة الصور والمشاعر والمعاني والانغام ، دون ان استذكر العروض والتفعيلات . وانما تندفق المعاني موزونة على ذهني ومن ثم فان (فاعل) قد تسرّبت الى تفعيلاتي (الخببية) وانا غافلة . وحين انتهيت من القصيدة كان نعمها يبدو لي من الصحة والاثقال الطبيعيّ بحيث لم اتبه الى ما فيه من خروج عن تفعيله الخبيب .

وسرعان ما احتجّ عليّ الدكتور جميل الملائكة<sup>(٢)</sup> منبها الى خروجي

(١) قصيدة (لعنة الزمن) من ديوان قرارة الموجة لمؤلفة الكتاب . بيروت . ١٩٦٠

(٢) جميل الملائكة خالي . وقد كان منذ الطفولة صديقي الحميم ، فتحنا أعيننا على الشعر وانغامه ، وقرانا العروض معا ، وعشنا صبانا تبادل قصائد الدعابة ونظم الاهاجي الفكاهية والالغاز والتاريخ والتشطير والتخميس والموشح والدوبيت . وما زلنا حتى الان نجتمع لنظم القصائد المشتركة بيت منه وبيت مني ، واحيانا نتبادل رسائل منظومة حسن اولها الى اخرها . ولجميل في الشعر ذوق مرهف . وقد نشرت له ، منذ سنوات ، ترجمة شعرية لطيفة لرابعيات الخيام .

عن تفعيلة الخبب . وقد ادركت فوراً انه على حق وان تفعيلتي دخيلة .  
وجلست افكر ، مندهشة ، في سبب هذا الذي وقع لي . فكيف ولماذا جاز  
ان تقبل اذني المرّنة خروجاً على الوزن مثل هذا ؟

وجاء الجواب بعد قليل من التأمل ، وكان جواباً بسيطاً واضحاً : انّ  
اذني ، على ما مرّ بها من تسرين ، تقبل هذا الخروج ولا ترى فيه شذوذاً .  
فليس هو خطأ وقعت فيه ، وانما هو تطوير سرتّ اليه وانا غافلة . ومعنى  
ذلك ان (فاعل) لا تمتنع في بحر الخبب ، لانّ الاذن العربية تقبلها فيه . واذن  
فلماذا لم يقرّها العروضيون ؟ وهل من حقيّ أنا ان اثبت تفعيلة جديدة في  
بحر عربي ضبط منذ عصور طويلة ؟

الواقع انه ليس من حقي ، كما انه ليس من حق ايّ شاعر ان يفعل  
ذلك . انما يقرّر القواعد القبول العام . نعم ، لقد قرّر الخليل قواعد  
جديدة ، غير ان تقريره ذلك لم يكن هو الذي ثبتها ، وانما ثبتت حين تقبلها  
الشعراء المتكثرون والعارفون في عصره . وكذلك لن تثبت تفعيلتي الجديدة  
الا اذا لقيت موافقة العروضيين .

والحق ان قليلاً من التأمل في التفعيلتين (فعلين) و (فاعل) لا بد ان  
يقودنا الى انهما متساويتان من ناحية الزمن تساويهما تماماً لان طولهما واحد .  
وفي وسعنا التأكد من ذلك باسلوب العروضيين :

ف ع ل ن - ف ا ع ل

- - - - -

فان بين ايدينا هنا تفعيلتين تحتوي كل منهما على ثلاثة متحركات  
وساكن واحد . وانما الفرق بينهما في مواضع المتحركات والساكن . ويظهر  
ذلك واضحاً حين نكتب التفعيلتين بلغة الموسيقى :

فعلن = فاعل

LH=HL

ومعنى ذلك ان كلتا الوجدتين مكونة من ضربتين قصيرتين وضربة  
طويلة . وانما تقع الطويلة في مطلع (فاعل) وفي آخر (فعلن) .  
ومن الناحية الموسيقية يستوي عدد الاجزاء في التفعيلتين فكلاهما  
يتألف من اربعة اجزاء .

ولعلنا حريون ، فوق ذلك ، بان نلنفت الى ان (فعل لن) ليست الا  
مقلوب (فاعلل) والعكس صحيح ايضا . فلو فلنا (لن° فعل ، لن° فعل) لكانت  
مساوية لقولنا (فاعل° ، فاعل°) . ولا يخفى ان ذلك ، كان سبباً في تفرع  
الخبب من المتدارك الاصيل . وكل هذا يجعل ورود (فاعل°) في الخبب سائغاً  
مقبولاً حتى ليصح ، في عقيدتي ، ان نكتب قصيدة خبيبية وزنها كما يلي :

فاعل° فاعل° مفعّلن

أقبلَ فجركَ يا وطني

ان الاذن العربية تقبل هذا . فكيف بها وهو يرد ، على وجه التنويع عبر  
وزن الخبب ؟

هذا اذن هو السبب الذي جعلني اتسكّ بتفعيلتي الدخيلة حتى بعد  
تنبه الدكتور جميل الملائكة ، والواقع انني لم ازل استعملها في حشو الخبب  
ومنه في آخر قصيدة كتبتها منه :

وعدّ في شفق الزنبق غطى المرح شذاه°

وتألق فجر منبثق فوق مسافات مبهوره

ونسائم تعبّر في وديان مسحوره

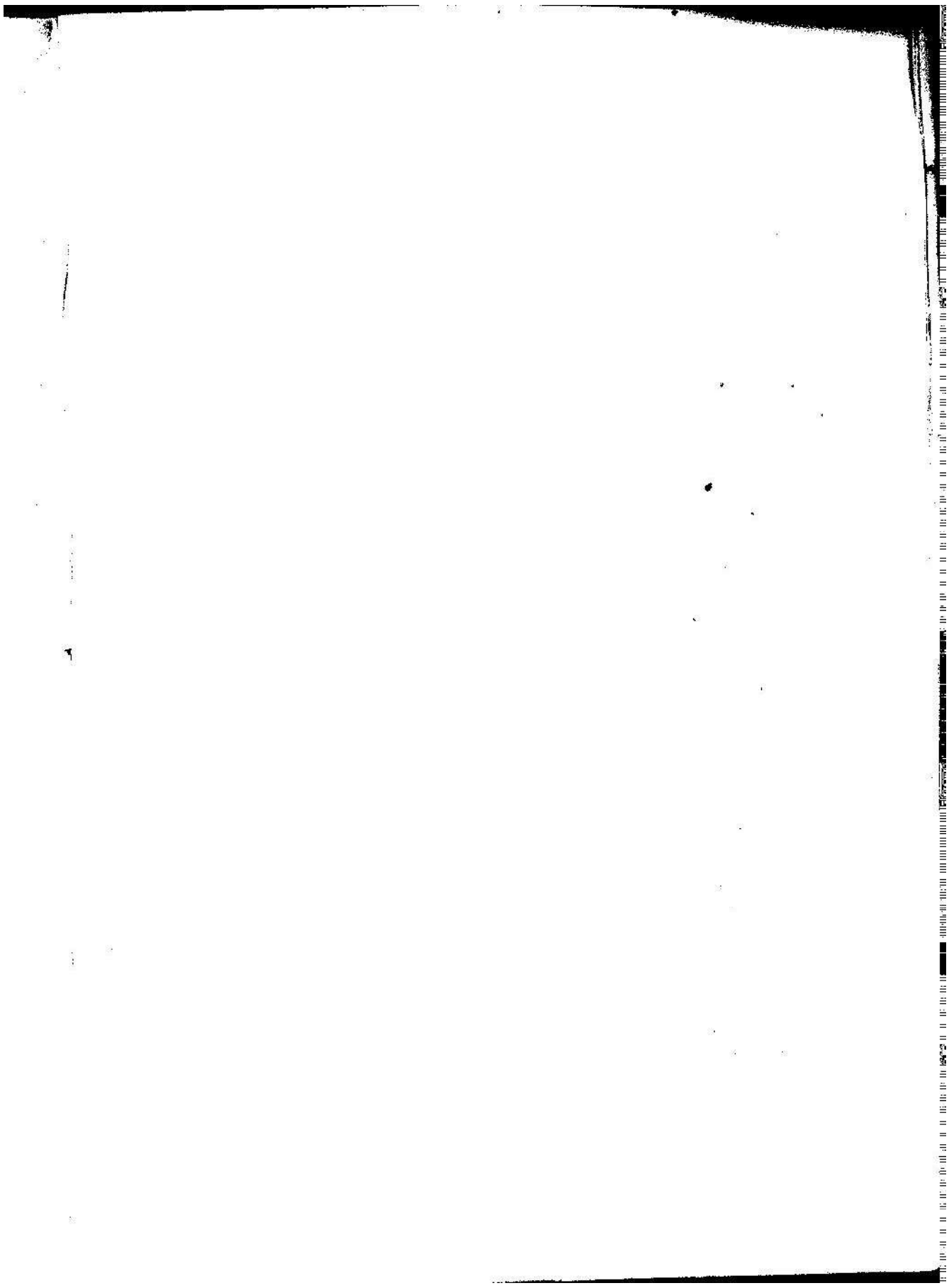
ان شاء الله ، رؤى اغنية طافحة وندي وصلاه°

ورأى ان اقرار ذلك قاعدة في بحر الخب يضيف سعة وليونة السي  
هذا البحر الذي يفيق بمواضله الصغرى كما بينا .  
والراي الاخير لاغلبية العروضيين والشعراء المتكئين في الوطن العربي .

## الباب الثالث

### المحرر باعتبار أمره

- الشعر الحر والجمهور
- اصناف الاخطاء العروضية



## الفصل الأول

# السحر الحزب والمجهز

### توطئة

لعل تاريخ الشعر العربي لم يعرف هزاً أكبر من تلك التي تعرض لها وهو يواجه حركة الشعر الحر التي بدأت تنتشر انتشارها الجارف منذ سنة ١٩٥٢ ، مع ان أولياتها تعود الى سنة ١٩٤٧ - فقد جاء هذا الشعر بتجديد كامل في النظرة الى وزن الشعر فنقل الاساس فيه من الشطر الى التفعيلة ، ومن نظام الشطرين الاثنيين والقافية الموحدة ، الى نظام الشطر الواحد والقافية المتغيرة<sup>(١)</sup> . ومع ان الحركة كانت قائمة على اساس راسخ

(١) لا مانع من ان يكون الشعر الحر موحد القافية ومن ذلك قصيدة نزار قباني (طوق الياسمين) .

من العروض العربيّ ، بحوره واشطره وقوافيه ، الا ان الجمهور العربيّ قد تكشف عن مقاومة مستمرة صريحة لها ، فلم يرض ان يتقبل هذا الشعر الجديد ، ولا ان يحاول فهمه ، وما زالت اغلب الاوساط الادبية والفكرية التي يُعتمد عليها تتحدث عنه بازدراء وسخرية . ولقد الفنا في السنين الماضية ان نرى أنصار الشعر الحرّ يقابلون تحفظ الجمهور بالثورة وبحللات السباب والتجريح بشكل يوجع ضمير أيّ مراقب رصين للموقف . ذلك أن الجمهور العربيّ الذي يرفض هذا الشعر الحرّ لا يعدو ان يكون أحد اثنين ، اما انه متأخر في ثقافته ووعيه الشعريّ والادبيّ وذوقه عن شعرائه الشباب بحيث لا يستطيع ان يصل الى فهم حركة جديدة ما زالت تبدو له غامضة ، واما انه مُحقّق في رفضه لهذا الشعر لسبب وجيه ماء وفي الحالتين لا ينبغي لنا ان تهجم على الجمهور . فان كان الحق معنا ، وكان جمهورنا الذي نكتب له متأخرا عنا ، فان واجبنا ان نعلّمه لا ان نسبه ونهينه ونهاجم مقدّماته ، واما اذا كان الجمهور على حق ، فماذا علينا اكثر من ان نرى الحق ونقرّه ، ولو كان ضدّنا ؟ ان الشعر العربيّ ينبغي ان يكون اعز علينا من اي تجديد مغلوط وقعنا فيه .

على ان من حسن الحظ ان الظروف اقلّ قسوة من هذين الطرفين اللذين ذكرناهما ، فلا الجمهور العربيّ متأخّر الى هذا الحدّ المؤسّس ، ولا الشعر الحرّ صادم للروح العربية والاذن العربية ، وانما يقوم موقف الجمهور منه على تداخل عوامل عديدة بعضها خارجيّ وبعضها يتصل بكل حركة مجددة تقابل جمهورا ذا تراث قديم أصيل ، وبعضها يرجع الى اغلاله يقع فيها الشعراء انفسهم .

ومهما يكن من امر فقد حاولت في هذا البحث أن ادرس الاسباب التي جعلت الجمهور العربيّ يقف من الشعر الحرّ موقف المقاوم ، وقد صحّ لديّ ، بعد طول التأمل ، ان السبب في ذلك يرجع الى ثلاثة اصناف من العوامل :

١ - العوامل التي تتصل بطبيعة الشعر الحرّ واختلافها عن طبيعة اسلوب الشطرين الشائع في الشعر العربيّ .

٢ - العوامل التي تنشأ من ظروف الشعر العربيّ في هذه الفترة التي ولد فيها الشعر الحرّ ، وهي عوامل تسببها ملابسات في جوّنا الادبي سندرستها .

٣ - عوامل تنشأ عن اهمال الشعراء الذين يكتبون الشعر الحرّ ، وعدم عنايتهم بتهديب شعرهم ، وقلة معرفتهم بالشعر العربيّ ، وضعف أسماعهم الموسيقية .

وسوف ندرس كل مجموعة من هذه العوامل في فصل خاصّ .

## طبيعة الشعر الحرّ

لا ريب في ان السبب الرئيسي في مقاومة الجمهور العربي للشعر الحرّ يكمن في كون هذا الشعر خارجا على اسلوب الوزن الذي ألفه العرب . وكل جديد يقابل في اوله بالمقاومة والرفض ، فليس الشعر الحرّ بدعا في هذا . ولقد كان طبيعيا ان يضيق به القراء حين جوبهوا به اول مرة سنة ١٩٤٧ . واكاد أعتقد ان اغلب القراء - وبينهم ادباء وحتى شعراء احبانا - ما زالوا لا يسلكون فكرة واضحة عن معنى الشعر الحرّ ، فهل هو شعر بلا وزن ؟ ام انه وزن ما يخالف اوزان الشعر العربي ؟ وانسا رحس بهذه الحيرة ، على الخصوص ، اولئك الذين لا يسلكون اساعا مرهفة تميّز وزن الشعر تمييزا دقيقا ، وهؤلاء قد الفوا قبل ، ان يروا الاوزان مرصوفة ، على شطرين متساويين ، بحيث يكون تبيين موسيقاها اسهل . ولذلك تاهوا وتعبوا حين اصبحت الاشطر غير متساوية في أطوالها ، وعاد الارنكاز الى التفعيلة بحيث يحتاج الامر الى شاعر لكي يتبين الايقاع والموسيقى .

كان القراء يقرأون البحر الكامل (الوافي) وهو مكتوب هكذا :

قلبي يحدثني بانك مُسْئِفي  
روحي فذاكَ عرفت أم لم تعرفِ  
لم أفضِرَ حقَّ هوائكَ ان كنتَ الذي  
لم أفضِرَ فيه أسىً ومثلي من يفي  
مالي سوى ررحي وبأذلَّ نفسه  
في حبِّ من يهواه ليس بسُرفِ  
فلئن رضيتَ بها فقد أسعفتي  
يا خيبة المسعى اذا لم تُسْعِفِ (١)  
متفاعِلن متفاعِلن متفاعِلن  
متفاعِلن متفاعِلن متفاعِلن

وكانوا يقرأون مجزوء الكامل وهو مكتوب على النحو التالي :

ولقد دخلتُ على الفتاة الخدرَ في اليوم المطيرِ  
الكاعبُ الحناءُ تر فل في الدمقسِ وفي الحريرِ  
فدفعتهَا فتدافعت مشي القفاةِ الى العديرِ (٢)  
متفاعِلن متفاعِلن متفاعِلن متفاعِلاتن  
وكانوا يقرأون مشطور الكامل وهو يعادل شطرا واحدا منه . وكانوا  
يتقبلون ذلك كله لمجرد ان كل صنف منه معزول عن الصنف الآخر ، فلا  
تكون القعيدة الا وافية او مجزوءة او مشطورة دون ان تخلط بين هذه  
الاصناف .

وجاء الشاعر الحديث فرأى الرابطة بين وافي البحر ومجزوءه ومشطوره  
قائمة واضحة ، لان هذه الاوزان كلها ذات تفعيلة واحدة هي متفاعِلن ، وهي

(١) من شعر ابن الفارض . ديوان ابن الفارض : مطبعة حجازي بالقاهرة .  
(٢) من شعر المنخل اليشكري .

كلها تنتمي الي البحر الكامل ، وانما الفرق بينها في عدد ( متفاعلين ) وحسب،  
فهي تتكرر في الوافي ست مرات وفي المجزوء اربعا وفي المشطور ثلاثا . وقد  
لاحظ الشاعر انه ، اذا وحد الضرب ، استطاع ان يجمع مجزوء البحر  
ومشطوره واجزاءهما في القصيدة الواحدة لان عدد مرات التكرار لا يؤثر  
في الموسيقى شيئا ما دامت التفعيلة واحدة والضرب واحدا ، ولذلك رأى أن  
يمزج بين الاطوال كلها في قصيدة واحدة . وكان ذلك طبيعيا وموسيقيا  
على اجمل ما يمكن .

والواقع ان الشعر الحر جارٍ على قواعد العروض العربي ، ملتزم لها  
كل الالتزام ، وكل ما فيه من غرابة انه يجمع الوافي والمجزوء والمشطور  
جميعا . ومصداق ما تقول ان تتناول اية قصيدة جيدة من الشعر الحر ونعزل  
ما فيها من مجزوء ومشطور ، فلسوف تنتهي الى أن نحصل على قصيدتين  
جارتين على الاسلوب العربي دون اية غرابة فيها . ولنأت بمثال لما نقول .  
من قصيدة ( الى العام الجديد ) من البحر ( الكامل ) :

يا عامٌ لا تقرّب مساكنا فنحن هنا طيوفٌ  
من عالم الاشباح ينكرنا البشر  
ونفرّ منّا الليلُ والماضي ويجهلنا القدرُ  
ونعيشُ أشباحا تطوفُ  
نحن الذين نسيرُ لا ذكرى لنا  
لا حلّمٌ ، لا اشواقٌ تشرقُ ، لا منى  
آفاقٌ اعيننا رمادُ  
تلك البحيرات الرواكد في الوجوه الصامتة  
ولنا الجباه الساكنة  
لا نبض فيها لا اتقادُ  
نحن العراة من الشعور ذوو الشفاه الباهتة  
الهاربون من الزمان الى العدمُ

الجاهلون اسي الندم  
نحن الذين نعيش في ترف القصور  
ونظلم<sup>١</sup> ينقصنا الشعور<sup>٢</sup>  
لا ذكريات<sup>٣</sup>  
نحيا ولا ندري الحياة<sup>٤</sup>  
نحيا ولا نشكو ونجهل<sup>٥</sup> ما البكاء  
ما الموت<sup>٦</sup> ما الميلاد ما معنى السماء<sup>(١)</sup>

ولنفرض أشطر هذه القصيدة ونجزئها الى الاطوال التي يعزلها العروض  
العربي<sup>٧</sup> ، فلسوف نحصل على ثلاث قصائد جارية على الاسلوب العربي حق  
الجريان . وهذه اولها ، وهي من مجزوء الكامل ذي الشطرين :

يا عام<sup>٨</sup> لا تقرب منا كنا فنحن هنا طيوف<sup>٩</sup>  
ويفر<sup>١٠</sup> منا الليل والماضي ويجهلنا القدر<sup>١١</sup>  
تلك البحيرات الروا كد في الوجوه الصامته  
نحن العراة من الشعور ر ذوو الشفاه الباهته  
متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن

اما القصيدة الثانية فهي من المشطور وهذا نصها :

نحن الذين نسير لا ذكري لنا  
لاحتم<sup>١٢</sup> لاثواق تشرق لامتنى  
من عالم الاشباح ينكرنا البشر<sup>١٣</sup>  
الهاربون من الزمان الى العدم<sup>١٤</sup>  
نحن الذين نعيش في ترف القصور<sup>١٥</sup>

(١) قرارة الموجة . نازك الملائكة . مطابع دار العلم للملايين . بيروت ١٩٥٧

نحيا ولا نشكو ونجهل ما البكاء°  
ما الموت ما الميلاد ما معنى السماء  
متفاعلن متفاعلن متفاعلن

وهناك قصيدة ثالثة نستطيع استخلاصها ذات وزن اقصر :

ونعيش اشباحا تطوف°  
آفاق اعيننا رُمَاد°  
ولنا الجباه الساكنه  
لا نبضَ فيها لا انتقاد  
ونظلم ينقصنا الشعور°  
نحيا ولا ندرى الحياة

ان هذه القصائد كلها من البحر الكامل وتفعيلتها جميعا واحدة هي (متفاعلن) وهي انما تجتمع في الشعر الحرّ لان ذلك لا يخرج على النغم الذي تقبله الاذن العربية ، وكل ما هنالك انه اسلوب يتيح للشاعر تعبيرية اعلى بسنحه الفرصة لاطالة العبارة وتقديرها بحسب مقتضيات المعنى

وليس يمكن ان يرفض الاعتراف بوزن ذلك شاعر ذو سجع مرهف ، وانما جاءت الضجة من القراء كما اسلفنا ، وقد حسب بعضهم ان الشعر الحرّ ثر عادي لا وزن له اطلاقا . وليس افطع غلطا من هذا الحكم ، كما رأى القاريء ما سبق . واني لاخجل حين ارى احيانا شعراء معروفين من الجيل السابق يصرّحون في الصحف بان الشعر الحرّ ثر . ان مثل هذه التصريحات في الواقع مؤلمة ، ليس لانها تؤثر في مستقبل الشعر الحرّ - ذلك لانها لا تؤثر فيه - وانما لانها تشير الى الارتجالية التي يكتب بها ادباؤنا ، والى قلة تشخيصهم لمسؤوليتهم في توجيه جمهور يتطلع اليهم ملتسا التوجيه .

والواقع الذي نحبّ ان نعود فنؤكدده انه ما من عارف بالشعر على الاطلاق  
يمكن ان يرضى لنفسه ان يقول ان الشعر الحرّ شرّ لا شعر . وانما يقول ذلك  
من لا معرفة له ، اية معرفة ، بالشعر العربي والعروض العربي . فليتخرج اي  
أديب كبير من الاحكام الارتجالية . ان الجيل الطالع سيكون أكثر معرفة  
بالعروض من ان تفوت عليه مثل هذه الاحكام الفاسدة .

## الظروف الأدبية للعصر

كان أسلوب كتابة الشعر العربي ينحى شكلا معيناً يساعد القارئ غير الشاعر على أن يدرك ، في يسر وسهولة ، أن هذا شعر لا أثره ، فإي كاد الشاعر يكتب الموزون ، بأسلوب الشطرين ، حتى يدرجه هكذا :

يا حسرة ما أكاد أحملها آخرها مزعج وأولها  
عليلة بالشام مفردة بات بايدي العدى معلها  
تسالنا الركبان جاهدة بادمع ما تكاد تمهلها<sup>(١)</sup>  
وإذا كتب الرجز أدرجه هكذا :

قد علمَ الأبناء من غلامها  
إذا الصراصير أقشعراً هامها  
أنا ابن هيجاهها معي زمامها  
لم أنب عنها نبوة الامها  
من طول ما جرتني أتامها

(١) من شعر أبي فراس الحمداني وهو من البحر المنسرح

ولا تثرى حانية أرحامها  
وليلة قد بت ما أنامها  
أحييتها حتى انجلي ظلامها (١)

وكان وزن الشعر يبيح هذا الأسلوب في الكتابة فيستقل الشطر أو البيت (شطران بينهما فسخة) على سطر واحد يترك سائره خاليا . وإنما كان هذا في الأصل اشعارا للقارئ بأن هذا شعر ، والأفقد كان ينبغي ألا تترك في الأسطر فراغات ، تماما كما نفعل حين نكتب النثر . وجاء الشعر الحر ، جاريا على أساليب الشعر العربي ، فراح الشاعر يكتب كل شطر من أشطره على سطر ، سواء أكان شطرا طويلا أم قصيرا ، كما في هذه الأسطر (من المتقارب) :

وكننا نسيه ، دون ارتياب ، طريق الأمل  
فما لشذاه أفل ؟  
وفي لحظة عاد يدعى طريق الملل ؟ (٢)

وإنما يترك الشاعر سطرا ، مثل الثاني في هذه الأسطر ، خاليا لأن (فما لشذاه أفل) كانت سطرا كاملا له وزن وضرب وقافية ، وكان هذا الشطر مستقلا عن الشطرين اللذين جاءا قبله وبعده ، فمن حقه أن يُخصّص بسطر يفرده له ، على الأسلوب العربي . وهذه هي القاعدة في الشعر الحر ، فهو يقطع على أسطر بحسب وزنه ، كلما انتهى منه شطر بدأ سطر جديد . وهذا كقول بان يساعد القارئ على تشخيص شعريته وتمييزه عن النثر حق التمييز .

(١) للشاعر عمير بن شبيب القطامي . ديوان القطامي . دار الثقافة . بيروت ١٩٦٠ (ص ١٦١)  
(٢) قصيدة (طريق العودة) من ديوان المؤلفة (فرارة الموجة) (الطبعة الثانية) مطبعة دار الكتب - بيروت ١٩٦٠ (ص ٤٠) .

على ان الشعر الحرّ سرعان ما وقع في اشكال عسير خاصة بالنسبة  
لاولئك القراء الذين يعتمدون في ادراك الشعر على شكل كتابته لانهم لا  
يحسنون فهم الوزن ولا يعرفون العروض . ذلك ان هؤلاء القراء بدأوا  
يخلطون بين هذا الشعر الحرّ الموزون وبين نثر عاديّ لا وزن له اصبح  
الادباء يكتبونه ويقطعونه على أسطر دون أي مبرر أدبي . وهذا النثر  
الذي يفتصب لنفسه شكل الشعر يجري في اتجاهين اثنين :

- ١ - الترجمات العربية للقصائد الاوربية وغيرها .
  - ٢ - ما يسمونه بـ « قصيدة النثر » وهي نثر طبيعي خال من الوزن  
ومن الايقاع اختاروا ان يسموه قصيدة .
- وسوف ندرس كل صنف من هذين فيما يلي .

#### ١ - الترجمات النثرية للشعر الاجنبي

شاعت في جونا الادبي ظاهرة كتابة النثر العربي الذي يترجم به الشعر  
الاجنبيّ مقطّعا على اسطر متتالية على سياق الترتيب في أصل القصيدة ،  
فأصبح المترجمون يضعون مضمون كل شطر اجنبيّ في سطر مستقلّ كما  
يلسي :

يا ملاكا اسمر ، وضاء ، مستقيما  
كمدفع يلعب في القضاء ،  
سوادك يقتحم ذهني  
وشعرك قاصف كالريح المصفحة التي  
أمطرت على أوربا<sup>(١)</sup>

(١) ترجمة نثرية من شعر ايدت سيتول ، كتبها جبرا ابراهيم جبرا  
مجلة شعر . العدد ٢ صيف ١٩٥٧ .

وأحسب ان هذا الاسلوب في كتابة الترجمة منقول في الاصل عن اللغات الاوروبية . فقد ألفنا أن نرى ادباء اوربا الذين ينقلون قصيدة من الالمانية الى الانكليزية مثلا - او بالعكس او غيره - يلجأون الى كتابة النص الانكليزي بحيث يقابل كل شطر ترجمته الحرفية . وبذلك يسهل على القارئ مقارنة الترجمة بالاصل . واغلب ما يفعل هذا ، المترجمون الدقيقون الذين يريدون لترجماتهم ان تستعمل في التدريس بالجامعات حيث تتطلب الروح العلمية ترجمات محققة دقيقة الضبط يستطيع الطلبة والباحثون ان ينتفعوا منها . وذلك هو وحده الذي يبيح للمترجم ان يضع النثر مقابل الشعر ، مكتوبا على مثل ما يكتب الشعر عليه . ولقد ساعد على ذلك ان الصيغ والتعبيرات في اللغات الاوربية متقابلة متشابهة الى درجة ملحوظة ، خاصة بين اللغات التي تنتمي الى اصل واحد مثل الانكليزية والالمانية والفرنسية والاطالية والاسبانية ، فهي كلها تتحدر من اصل لاتيني يجمع بينها ويجعل كثيرا من قواعدها متقاربة . فكان من السائع في هذه اللغات ان يوضع الشطر الموزون مقابل سطر من النثر يحتوي على معناه ، دون ان يجد المترجم صعوبة في توزيع الالفاظ والاشطر في حدود اللغة التي يكتب بها ترجمته .

هذا في لغات اوربا . واما في العربية فان الامر اشد تعقيدا . ذلك ان لغتنا تختلف اختلافا كبيرا عن اللغات اللاتينية سواء أفي صيغها وتعايرها ام في اشتقاقاتها ونحوها واعرابها ، وذلك بحيث اذا اراد المترجم العربي ان تكون اسطره المترجمة مقابلة للاشطر الاوربية فلا بد له ان يضحي بقواعد لغته فيفضل مثلا بين الموصول وصلته كما فعل جبرا ابراهيم جبرا حين كتب :

وشعرك القاصف كالريح المصفحة التي

أمطرت على اوربا

وقد يفضل بين الجار والمجرور ومتعلقهما كما في قوله :

... .. مستقيماً

كمدفع يلمع في الفضاء

وكان حقه ان يقول « مستقيماً كمدفع يلمع في الفضاء » دونما فصل .  
على ان اعتراضنا على هذا الاسلوب في كتابة النثر يرجع في أساسه الاكبر  
الى انه ليس من حق اي نثر أن يكتب مقطعا على أسطر . ذلك ان التقطيع  
هبة اعطتها اللغة العربية للشاعر وحسب . وانما يستحقها الشاعر لانه  
يكتب وحدات موسيقية موزونة ، فاذا منحناه مزية على النثر كان ذلك هو  
المعقول والمنطقي . ان التقطيع ملازم للشعر . تلك هي القاعدة ، وقد جرى  
عليها تاريخنا الادبي كله .

واما النثر فيا الذي يبرر كتابته مقطعا ؟ واذا كان التقطيع مقبولا في  
الشعر ، حيث تسنده الموسيقى والوزن فيقبله منطق الذوق ، فما الذي يجعله  
مقبولا في نثر عادي خال من الوزن مثل اي نثر سواء والحق ان المرء  
يكره ان يقرأ شيئا مقطعا على أسطر بلا سبب مبرر كالوزن . ولذلك نجد  
اغلب الناس يرفضون قراءة الشعر الاوربي المترجم المكتوب بهذا الشكل .  
وتلك خسارة فادحة ، واساءة الى الادب الاوربي التي ينقلونها لنا ، لان من  
حق تلك الادب ان تترجم الى العربية في حدود اساليبها الجمالية المقبولة  
دونما خروج عن نطاقها الذوقي . وكلما كتبوا بالشكل المحلوب  
المصطنع الذي يستعملونه ، ساهموا في حرماننا من فرصة يتذوق فيها القارىء  
العربي الذي يجهل اللغات الاجنبية ادبا غنيا عريقا كالادب الاوربي .

ومهما يكن من أمر فقد وقعت الواقعة ، وشاع هذا الاسلوب الهجين  
فسي ترجمة الشعر العربي ، وألفنا ان نرى لغتنا العربية موزعة على  
اسطر بلا أي سبب يبرر ذلك . ولماذا تكتب قصيدة جاك بريفير هذا :

الحصار والملك وانما  
سكون أمواتا غدا  
الحصار من الجوع

والملك من الضجر  
وانا من الحب . (١)

لماذا لا نكتبها كما يلي على نحو ما يكتب النثر العربي : «الحمار والملك»  
وانا سنكون كلنا امواتا في الغد . يسوت الحمار من الجوع ، والملك من  
الضجر ، وأموت انا من الحب . «؟ اليس هذا اجمل وأوقع في النفس العربية  
التي ألفت ان يكتب نثرها بهذا الشكل ؟ اولا تكتسب قصيدة بريفير وقعا  
أغنى لدينا ؟ ان هذا ، في لغتنا ، نثر لاشعر ، وعلى ذلك فانه لا يكتسب  
ابعاده الحقيقية الا اذا كتبناه كالنثر واعطيناه صفة النثر .

واما اذا كان المترجم حريصا كل الحرص على صفة التقطيع ، فان عليه ان  
يترجم هذا الشعر الاجنبي الى شعر عربي ، بكل ما يتبع ذلك من وزن  
وتقنية وعاطفة وصور . فاذ ذلك سيكون التقطيع من حقه . ان صفة التقطيع  
ليست هبة نستطيع ان نتحلها حين نشاء ، وانما ينبغي لمن ارادها ان  
يكتب كلاما موزونا ليكون تقطيعه مبررا تبريرا أدبيا يجعل اذواقنا تنقبله .  
وانما نبيح التقطيع لمن يكتب الموزون ، والا فنحن ، بفطرتنا العربية البسيطة ،  
نضيق بنثر يقطع على اسطر دونما وزن يسنده .

ولقد اضاف شيوع هذا الاسلوب في كتابة النثر الى متاعب القارئ غير  
المختص في تذوق الشعر الحر وفهسه . ذلك انه اصبح يرى كثيرا من النثر  
المترجم مكتوبا باسلوب التقطيع . فكان يحسبه شعرا حرا موزونا . وحين  
يقراه ويلتس الوزن الذي يسمع انه ملازم للشعر الحر ، يخرج بالحيرة .  
لان عدم وجود الوزن هنا ينتهي به الى الحكم بان الشعر الحر نثر .  
ولعل هذه الظاهرة المؤسسة هي التي جعلنا نسمع ادباء معروفين ، وحتى

(١) ترجمة فواز الطرابلسي . مجلة شعر . العدد ٩-١٩٥٩ . ولا يخفى  
ان قوله «الحمار والملك وانا» ليست صيغة عربية فانما نقول في لغتنا  
«انا والحمار والملك» لان لضمير المتكلم الاسبقية في العبارة .

شعراء احيانا ، يحكمون بان الشعر الحر نثر . فانما يحكم كثير من هؤلاء على هذا النثر المترجم وما يشبهه مما يبدو في شكله الخارجي كالشعر الحر . وعندما ألف الاديب والقارىء ان يرى كثيرا من النثر الجديد مكتوبا بأسلوب التقطيع في عشرات الصحف والكتب ، حسب حين رأى الشعر الحر الموزون انه نثر مثل ذلك . والقارىء المتوسط ، وحتى بعض الادباء ليسوا شعراء الا في بان الشعر الحر نثر لا وزن له ولا قافية . وكان ذلك ظلما فادحا وغطا لحقوق شعراء يكتبون كلاما موزونا يجهدون له ، فلا تكون مرتبتهم أعلى من مرتبة اناس آخرين يكتبون نثرا لا جهد فيه ، ويقطعون على اسطر دوننا داع ادبي ، ثم يعطونه للقارىء بالشعر الادبي نفسه وربنا بأعلى . ومن هنا وضعت في طريق الشعر الحر اول عشرة فكبا عندها .

#### ب - قصيدة النثر

في لبنان قامت دعوة غربية ناصرها بعض الادباء وتبنتها مؤخرا مجلة (شعر) التي راحت تدعو اليها صاحبة . وكان المضمون الاساسي لهذه الدعوة كما استخلصته من مجموع ما يقولون ، ان الوزن ليس مشروطا في الشعر وانما يمكن ان نسمي النثر شعرا ، لمجرد ان يوجد فيه مضمون معين . وعلى هذا الاساس أخذوا يكتبون النثر مقطعا على اسطر وكأنه شعر حر ، لا بل انهم زادوا فطبعوا كتبنا من النثر وكتبوا على اغلفتها كلمة ( شعر ) .

ولقد سموا النثر الذي يكتبونه ، على هذا الشكل ، باسم « قصيدة النثر » وهو اسم لا يقل غرابة وتفككا عن تعبير غيرهم ( الشعر المنثور ) . ذلك ان القصيدة اما ان تكون قصيدة وهي اذ ذلك موزونة وليست نثرا ، واما ان تكون نثرا فهي ليست قصيدة . فما معنى قولهم « قصيدة النثر » اذن ؟

وما يهمننا في هذا الموضوع ، ان نثرهم هذا ، الذي يقدمونه للقراء

باسم الشعر الحرّ قد احدث كثيرا من الالتباس في اذهان القراء غير  
المختصين فأصبحوا يخلطون بينه وبين الشعر الحرّ الموزون الذي يبدو  
ظاهريا وكأنه مثله . وخيّل اليهم نتيجة لذلك ، ان الشعر الحرّ نثر عادي  
لا وزن له .

ولعل الحق مع القارئ . فكيف يتاح لانسان لم يمنحه الله هبة الشعر  
ان يميز الشعر الحرّ الموزون من « قصيدة النثر » التي تكتب ، وهي  
نثر ، مقطعة وكأنها موزونة :

ليتي وردة جورية في حديقة ما  
يقطفني شاعر كئيب في أواخر النهار  
أو حانة من الخشب الاحمر  
يرتادها المطر والغرباء  
ومن شبائكي الملطخة بالخمر والذباب  
تخرج الضوضاء « الكسول »<sup>(١)</sup>  
الى زقاقنا الذي ينتج الكآبة والعيون الخضرة .  
حيث الاقدام الهزيلة ترتفع دونما غاية في الظلام .  
اشتهي ان اكون صفصافة خضراء قرب الكنيسة  
او صليبا من الذهب على صدر عذراء  
تقلي السك لحبيبتها العائد من المقهى  
وفي عينيها الجميلتين ترفرف حمامتان من بنفسج .

هذا نموذج مما يسمّى بـ « قصيدة النثر » وهو كما يرى القارئ نثر  
اعتيادي لا يختلف عن النثر في شيء . ولسوف نعود ، في موضع آخر من

(\*) خاطرة (اغنية لباب توما) لمحمد الماغوط . كتاب «حزن في ضوء القمر» ،  
مطابع مجلة شعر . بيروت . ١٩٥٩ .

الكتاب ، الى مناقشة هذه الدعوة من وجوها المختلفة .

من كل ما سبق نرى ان نشوء حركة الشعر الحرّ في عصر الترجمة عن الشعر الاوروبي قد اساء اليها وجعل القراء غير العارفين لا يميزون بينه وبين النثر الذي يترجم به الشعر الاوروبي . وجاءت الاساءة الثانية من (الدعوة الى قصيدة النثر) كما يسونها، فأصبح القاريء يقرأ الشعر الحرّ وهو موزون فيخلط بينه وبين نثر يترجم به قصائد أجنبية ، ونثر عربيّ اعتياديّ يكتبه الادباء مقطعا ويسمونه في جراه غير علمية شعرا . وكيف يميز قاريء غير شاعر بين النساجج التالية المتشابهة ظاهريا ؟ كيف يدري ايها هو الشعر وأيها هو النثر ؟

#### النموذج الاول

عندما أرنو الى عينيك الجيلتين  
احلم بالغروب بين الجبال  
والزوارق الراحلة عند المساء  
وأشعر ان كل كلمات العالم طوع بناني  
فهنا على الكراسي العتيقة  
ذات الصرير الجريح  
حيث يلتقي المطر والحبّ والعيون العسلة  
كان فمك الصغير  
يضطرب على شفتيّ كقطرات العطر  
فترتسم الدموع في عينيّ  
وأشعر انني اتصاعد كرائحة الغابات الوحشية  
كهدير الاقدام الحافية في يوم قائلظ

## النموذج الثاني

أمر اصطحبناه الى لبحج المياه  
وهناك كثرناه ، بددناه في موج البحيره  
لم نبق منه آهة ، لم نبق عبره  
ولقد حسبنا أننا عدنا بمنجى من أذاه  
ما عاد يلقي الحزن في بسماتنا  
أو يخبىء الغصص المريرة خلف أغنياتنا

ثم استلمنا وردة حمراء دافئة العبير  
أحبابنا بعثوا بها عبر البحار  
ماذا توقعناه فيها ؟ غبطة ورضى قرير  
لكنها اتنفضت وسالت ادعما عطشى حرار  
وسقت أصابعنا الحزينات النغم .  
أنا نجبتك يا ألم

## النموذج الثالث<sup>(١)</sup>

أخبروني عن القبلة التي حرمت منها  
قولوا لي شيئا عن هذه الصحراء  
التي أستمد منها أناشيدي  
أخبروني عن غزالي التي قتلوها  
وزهرتي التي حرموها البستان  
قولوا لي ما الذي يبرر كل هذه الآثام ؟

(١) النموذج الاول نشر من كتاب محمد الماغوط «حزن في ضوء القمر»  
والنموذج الثاني شعر حر من قصيدة « خمس اغانى للالم » لمؤلفة هذا  
الكتاب . مجلة الاداب ، ايلول ١٩٥٧ ، والنموذج الثالث شعر مترجم  
للشاعر الجزائري مالك حداد من ديوانه «الشقاء في خطر» الذي ترجمته  
نشراً للسيدة ملك ابيض . حلب ١٩٦١ .

ما الذي يبرّر مائة الف حماقة ؟  
مائة الف جريمة ؟  
قولوا لي : لماذا يعبّ المرعوبون كل هذه الكحول ؟  
لماذا يرتعدون من الاسود الحبيسة في منفاها ؟  
ولكن ...  
قولوا لي قبل كل شيء  
كيف حال الجزائر ؟

ان دواء هذا ان يكتب كل نثر كما يكتب النثر ، اي بملء السطر  
دونما ترك فراغات ، لكي ينفرد الشعر بزية الكتابة الشعرية ، فيستقل كل  
شطر منه بسطر ، ولن يضير « شعرية النثر » ان يكتب كما يكتب النثر .  
وانما التقطيع صفة ملازمة للشعر وهو علامته الفارقة فليس لنا ان نضيعها .  
على ان من الحق ان نقول ان تبعة الخلط بين الشعر الحر وغيره ، لا  
تقع كلها على المترجسين ودعاة الشعر المنشور او قصيدة النثر . وانما شارك  
الشاعر نفسه في ذلك ، وهو ما سندرسه في الفصل التالي .

### اهمال الشعراء

لم تكن طبيعة الشعر الحرّ ولا ظروف العصر الذي نشأ فيه هي وحدها التي اضعفت مكائنه لدى الجمهور وانما أسهم الشاعر الذي يكتب هذا الشعر مساهمة فعّالة في اشاعة القوضى في اساليبه وتفاصيله ، وفي تشويه صفحته العروضية لدى الجمهور والادباء . وكان دور الشاعر في هذا يجري في اتجاهين اثنين :

(الاول) انه اساء كتابة شعره ، فلم يجعل الوزن اساسا فيها ، على ما كان الشاعر العربي يفعل ، وانما جعل التحكّم للمعنى حيناً وللوزن حيناً آخر .

(الثاني) انه ارتكب الاخطاء العروضية والسقطات الموسيقية عامداً احياناً وغير عامد في اغلب الاحيان .  
ولسوف تتناول كل فقرة من هاتين على حدة .

#### ١ - اساءة الكتابة

الاصل في الشعر ان يكتب بحسب وزنه وتفعيلاته ، فيقف الكاتب عند نهاية الشطر العروضي . وهذا القانون يسري على الشعر في العالم كله ،

فحيثما وجد الشعر كان وزنه هو الذي يتحكم في كتابته . اتنا لا نقف بحسب مقتضيات المعاني ، وانما نقف حيث يبيح لنا العروض . ولذلك كان القدماء يشطرون الكلمة شطرين لمجرد ان يقفوا في آخر الشطر كما في كلمة ( يبنى ) في قول الشاعر :

وبعد المجيد شلت يدي اليه

نى وشلت به يبين الجود<sup>(١)</sup>

كان أسلافنا صارمين في احترامهم للشطر وللوقفة العروضية في آخره ، وفي آخر البيت . ذلك مع ان شعرهم كان ذا أسطر متساوية عروضيا ، فحتى لو انهم كتبوه دون ان يقفوا في آخر الشطر، لما اساء ذلك الى شعرهم لمجرد انه موزون وزنا شطريا كاملا ، بحيث لا يبقى عليه خوف حتى من ان يكتب في اسطر ، دونما فواصل تفصل الشطر عن الشطر . ان هذا هو ما فعله مؤلفو كتاب عن (شيكسير) اصدرته سلسلة «اقراء» فقد كتبوا الشعر كما يلي :

( اي صديقي بروت ، اصغ لقولي : انا هذا مرآة صدق سألدي لك ما تكن ترى من خلالك . لاتظن الظنون بي يا صديقي ، لست بالضحك اللعوب مجونا ، لا ولا بالمهين ابذل حبي وولائي لكل من يلقاني . لا ولا بالذي يهش ويلقي أحسن القول للحضور رياء ، فاذا ما مضوا اساء حديثا . )  
ان هذا مكتوب على شكل النثر . ولكنه في الواقع نظم لا نثر ، لانه موزون وزنا كاملا وان كانت لفته مصطنعة ركيكة ، ولو كتبناه بسوجب الاشطر للاح كما يلي ، وهو من البحر الخفيف :

اي صديقي بروت اصغ لقولي

انا هذا مرآة صدق سألدي

(١) عبد الله بن مناذر يرثي ولده عبد المجيد .

لك ما لم تكن ترى من خلالك  
لا تظنّ الظنون بي يا صديقي  
لست بالضاحك اللعوب مجونا  
لا ولا المهين أبذل حبي  
رولائي لكل من يلقاني  
لا ولا بالذي يهش ويلقي  
أحسن القول للحضور رياء  
فاذا ما مضوا اساء حديثا<sup>(١)</sup>

انه نظم موزون لا قافية له ، وقد كتبه المترجم على صورة النثر . على  
ان ايّ انسان يتحسس الوزن حريّ بان يحسّ بان هذا موزون لا منشور ،  
رغم ملامح النثر التي كتب بها .

وعندما قامت حركة الشعر الحرّ جاءت بتطوير بارز لشكل الشطر  
العربي ، فلم يعد هناك طول مقنّن ثابت له ، وانما اصبح ذلك وفقا على  
رغبة الشاعر وطول عباراته . بات الشعر حرّا في ان يورد اي عدد من  
التفعيلات في الشطر الواحد ، اذا هو حافظ على الشروط العروضية للشعر  
الحرّ . واصبح القارئ يقرأ شعرا ذا أشطر مختلفة الاطوال كما يلي :

•• بويبّ

•• بويبّ

أجراس برج ضاع في قرارة البحّر  
الماء في الجرار والغروب في الشجر  
وتنضح الجرار أجراسا من المطر  
بلوّرها يذوب في أنين

(١) كتاب شكسبير لمحمد فريد أبو حديد وزكي نجيب محمود واحمد  
خاكي . سلسلة اقرأ العدد ١٧ (ص ٨٨) .

« بويب يا بويب »  
 فيدلهم في دمي حنين  
 اليك يا بويب  
 يا نهري الحزين كالمنظر  
 اود لو عدوت في الظلام  
 اشد قبضتي تحملان شوق عام  
 في كل أصبع كأني احمل الندور  
 اليك من قمح ومن زهور  
 اود لو أطل من أسرة التلال  
 لالمح القمر  
 يخوض بين ضفتيك يزرع الظلال  
 ويملا السلال  
 بالماء والاسماك والزهر<sup>(١)</sup>

ان الوزن ، في هذه القصيدة جار على العروض العربي تمام الجريان،  
 فهو من بحر الرجز ، وقد اصاب التفعيلة الاخيرة فيه زحاف فتحوّلت  
 ( مستفعلن ) الى ( فَعِل )

غير ان القارئ غير المختص لا يستطيع ان يميز الاشطر من بعضها،  
 الا اذا نحن فصلناها له فصلا قاطعا ورتبناها بحسب وزنها . وذلك لانه ،  
 بدءا ، قد لا يكون يحسن الوزن ، ثم ان اطوال الاشطر غير متساوية ،  
 والقافية خافتة تخلو من رنين القافية الموحدة القديمة التي تفرع السع . ذلك  
 فضلا عن ان العبارة الحديثة لم تمد صارمة او جهورية بحيث تلت السع  
 كعبارات الشاعر القديم .

(١) قصيدة (النهر والموت) لبدر شاكر السياب مجلة شعر . العدد الثاني  
 ربيع ١٩٥٧ .

على أن أهمّ عامل يحدث اللبس في شعرنا الحديث هذا هو ان الشاعر لم يعد يتقيد بقانون استقلال الشطر او البيت . فقد كان اسلافنا يميون الشاعر اذا ما كتب بيتا له تمّة في بيت تال . وكان المؤلف في الشعر العربي كله ان يكون البيت تاما في حدود شطريه . وكان ذلك يحفظ للبيت عزله ويعصم القاريء من الالتباس . اما اليوم فحتى هذا الدليل ضاع عن يدي القاريء ، كما نرى في أشطر بدر السيّاب :

اودّ لو أطلّ من أسرة التلال  
لالمح القمر  
يخوض بين ضفتيك يزرع الظلال  
ويملا السهول  
بالماء والاسماك والزهر

هذه خمسة أشطر تضمّ كلها عبارة واحدة . أي أن ثلاثة ابيات منها تشترك في عبارة واحدة .

وهناك نقطة اخرى تحدث الالتباس . ان الشاعر المعاصر مولع بالتسكين ، فاكثر قوافيه ساكنة الآخر كما في هذه القصيدة التي اقتطفنا منها . فاذا تهاون الشاعر ودمج الاشطر فان القاريء قد يتلو القوافي مشكولة بحسب اعرابها ، وبذلك يضيع الوزن كلياً . وهذا خطأ يقع فيه الشاعر وغير الشاعر ، لان الشكل يفسد الوزن الذي اقامه الشاعر على سكون . واذن فماذا يحدث لو ان الشاعر كتب ابياته بالشكل التالي مثلا .

( اودّ لو أطلّ من أسرة التلال للمح القمر يطل بين ضفتيك ، يزرع الظلال ويملا السهول بالماء والاسماك والزهر . ) ترى سيكون هناك كثيرون يستطيعون ان يحزروا ان هذا شعر ؟ لا اظن . ذلك أن الوزن خافت ، والعبارة خالية من رنين الشعر القديم وفخامته ، والشكل ، حين يضاف الى اواخر الكلمات ، يقضي على الوزن . وهكذا يتحول الشعر الى ثر ويضيع الجرس .

لذلك السبب الهام<sup>١</sup> ينبغي لنا ان نتخذ الطريقة العربية في كتابة الشعر  
مساعدة للقارئ على تحسس الوزن فيه . ان الشطر هو الحاكم وعلينا ان  
نخضع له ونحن نرصد شعرنا الحر<sup>٢</sup> على الصفحة . علينا ان نكتب الشعر  
الحر<sup>٣</sup> بحسب الاشطر ، فنضع كل شطر منفردا على سطر مستقل ، كما فعل  
بدر شاكر السياب في قصيدته التي اقتطفنا منها . وانما يكن الخطر في ان  
يقسم الشاعر ابياته بحسب المعنى ، وهو خطر يمس القارئ والشاعر معا  
كما سنذكر وشيكا . ونريد الآن ان نأتي بنموذج من الشعر المكتوب كتابة  
سقيمة لا تقوم على اساس ، وانما تلعب بها اهواء فوضوية تنم عن قلة المعرفة  
بشؤون العروض . هذه ابيات من قصيدة حرّة الوزن كتبها الشاعر نضا  
على الوجه التالي :

على وجهي رمال الشكّ أصوات  
بلا معنى . رمال تشرب القيم المدوّى  
عند آفاقي فلا ذكرى اغنيها ولا  
وعد على دربي ، سوى ريح وعتم في  
أراض جوّها نار ، وموت مثلما  
كانت ليالينا وآتينا . أنبى في متاه  
الرمل اقداما تجرّ الجوع والحسى  
بلا مأوى ، تجرّ الخيبة الكبرى : أنبى  
حفرة للريح أحداقا رسا فيها فراغ  
الهوّة الكبرى ، فنحن الآن لا ندري  
ايبقى الكون ان متنا ، اكانت هذه  
الاشياء لولانا ، ترى كانت  
على وجهي دروب تنتهي في الغيب  
في المنفى<sup>(١)</sup>

(١) القصيدة الضائعة) لفؤاد رفقة . مجلة شعر ربيع ١٩٥٨ .

اول وهلة ، حين قرأت هذا «الكلام» لم افهم له وزنا معينا كما للشعر .  
لقد رأيت البيت الاول من بحر الهزج .  
على وجهي رمال الشك اصوات  
مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن  
ولكن الشطر الثالث لاح لي من بحر آخر هو بحر الرمل المكتوف :  
عند آفاقي فلا ذكرى أغنيها ولا  
فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلن  
ثم حيرني الرابع فلم اعرف له وزنا مقبولا غير ان يكون من ( الرجز )  
على هذا الشكل :

وعد على دربي سوى ربح وعتم في  
مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستف

وعلى هذا تكون الاشطر الاربعة الاولى قد انتقلت من ( الهزج ) الى  
( الزمل ) الى ( الرجز ) وهي ثلاثة اوزان لم يجمع بينها العرب . فما معنى  
هذا ؟ اترى الشاعر ينثر ؟ ام انه يضحك منا ويستخف بالعروض ؟  
وحين نعود لنقرأ تلك الاشطر محاولين حل لغزها نلاحظ ان فيها فصلا  
شنيعا متواصلا بين أشياء لا تسيغ اللغة العربية ان يفصل بينها مثل الجار  
والمجرور في قوله :

.....  
سوى ربح وعتم في  
اراض جوها نار

فجعل حرف الجر في شطر ومجروره في شطر آخر . ومثل المضاف  
والمضاف اليه وقد فصلهما الشاعر بلا مبالاة في قوله :

.....  
أبقى في متاه  
الرمل أقداما تجرّ الجوع والحمى  
وفي قوله :

.....  
أحداقا رسا فيها فراغ  
.....  
الهوة الكبرى .

ومثل الفصل بين اسم الاشارة والمشار اليه في قوله :

• • • • • اكانت هذه

• • • الاشياء لولانا

ومثل الفصل بين ( مثلما ) وفعلها في قوله :

• • • • • وموت مثلما

• • • كانت ليالينا وآتينا

وفوق ذلك كله ارتكب الشاعر بدء سطر بهمزة وصل وهو أمر مستحيل لان العرب لا تبدأ بساكن قط . وقد مرّ مثال هذا في نموذج الفصل بين المضاف والمضاف اليه وغيره .

ويسأل الناقد الحيران نفسه : ترى لماذا يتكلف الشاعر كل هذا التصنع في لغته فيفصل بين مالا يفصل ويبدأ بهمزة وصل ونحو ذلك ؟ ان الشاعر لا يفعل مثل هذا الا وهو واقع في ورطة بسبب الوزن ، فهل ترى ساقط هذا الشاعر ضرورة قاسية الى ان يقسر قواعد لغتنا بهذا الشكل القبيح ؟

على ان البحث ينتهي بنا الى الخيبة . وسرعان ما يثبت لدينا ان هذا الشاعر يرتكب الاساءات الى اللغة العربية دونما داع من اي نوع . على العكس . ان قصيدته تكون اكمل وزنا ولغة لو انه كتبها بحسب مقتضيات استقلال الشطر . والحقيقة المريرة التي تصدمنا ان ابيات الشاعر سائلة عروضا ، في حقيقة الامر ، فليست هي من الهزج والرمل والرجز كما لاحت لنا ، وانما هي من ( الهزج ) وحده ولم يخرج الشاعر فيها عن الوزن .

كيف حدث هذا اذن ؟ ترانا نحن الذين نجهل الوزن ؟ الجواب تقي . وانما وقعنا في الخطأ لان الشاعر اراد لنا ذلك حين اساء كتابة قصيدته . وانما كان ينبغي له ان يكتبها بحسب ايقاع وزنها ، فلا ينهي الشطر الا في ختام التفعيلة ، ولا يبدأ شطرا بنصف تفعيلة . وها نحن نشطب صورة قصيدته كما كتبها هو ونعيد رصف اشطرها بحيث يتضح فيها وزن ( الهزج ) :

على وجهي رمال الشك اصواتٌ بلا معنى  
رمال تشرب الغيم المدوّي عند آفاقي  
فلا ذكرى أغنتها ولا وعد على دربي  
سوى ريح وعمم في اراض جوارها نارٌ  
وموت مثلما كانت ليالينا وآتينا  
انبقى في متاه الرمل اقداما  
تجرّ الجوع والعسى بلا مأوى  
تجرّ الغيبة الكبرى  
انبقى حفرةً للريح أحداقاً رسا فيها  
فراغ الهوة الكبرى  
فحن الان لا تدري أبقى الكون ان متنا ؟  
اكانت هذه الاشياء لولانا ؟  
ترى كانت على وجهي  
دروب تنتهي في الغيب ، في المنفى ؟

الان بانّت القصيدة سليمة، سلت من الغلط التعبيري الكامن في فصل  
ما لا ينفصل والبده بساكن ، وملت من الغلط الوزني الكامن في الانتقال  
من الهزج الى الرمل الى الرجز<sup>(١)</sup> فليقارن القارئ بين هذا الكلام المعقول  
الجاري على بحر واحد ، وبين ذلك الكلام نفسه وقد اساء الشاعر كتابته  
فكأنه لا يعرف الوزن ولا يحبل عنه اية فكرة .

وانتا لتساءل الان : لم ترى كان ذلك ؟ لماذا يهين شاعر ما شعره بهذا

(١) اي قارئ ملم بالمعروض يدرك ان الرمل والهزج والرجز تنتمي كلها الى  
دائرة عروضية واحدة هي دائرة (المجتاب) . على ان العرب لم تمزج بينها  
قط . وانما وقع المزج بين الهزج والرمل في (البند) بشروط عروضية  
تقيده وتسيطر عليه . وقد شرحنا ذلك بتفصيل في الفصل الذي درسنا  
فيه (البند) في موضع اخر من الكتاب .

الشكل ، واذا لم يكن لديه داع ادبي معقول ، مثل ضرورة الوزن ، فلاي سبب يمزق قواعد اللغة العربية على هذه الصورة ؟ واي ذوق عربي سليم يحتمل من الشاعر - مهما ورطته دروب الوزن - ان يأتي بمضاف في آخر بيت ، وبمضاف اليه في اول الشطر التالي ؟ ان هذا ، في الواقع ، لا يبدو ان يكون عبثا لا غاية له ، ولا ينبغي لانا ان يسكت عليه . ان للقوضى والقبح حدودا .

وانما كان هذا وامثاله جانبا من الاسباب التي جعلت الجمهور العربي يقف موقف النفور من الشعر الحر ، فليت الشاعر الناشئ يلتفت ويكف عن عبثه هذا الذي كثرت امثله في شعره .

#### ب - الفلظ العروضي

يرجع جانب كبير من نفور الجمهور من الشعر الحر الى كون الشعراء الذين يكتبون ذلك الشعر ضعيفي الاسماع بحيث يرتكبون اخطاء عروضية مشوهة وهم لا يشعرون . وانا اكاد اجزم بان ثنائين بالمائة من القصائد الحرة تحتوي على اغلاط عروضية من صنف لا يمكن السكوت عنه .

وهذه النسبة العالية تلفت النظر وتجعلنا تتساءل في جد حريص : لماذا يخطئ المعاصرون في الشعر الحر كثيرا ، مع ان اوزانه هي عين اوزان الشعر الشطري الذي يكتبه هؤلاء الشعراء انفسهم فلا يخطئون ؟ والحق انه سؤال مهم يستأهل ان تقف عنده وتفحصه . وسنرد عليه في نقط مرقومة :

(أولاً) ينبغي لنا ان نلاحظ اولاً ان الشعراء الذين كتبوا بالاوزان القديمة لا يخلون من الاخطاء العروضية ، وفي وسعنا ان نملأ صفحات كثيرة باغلاط شعراء لا يصدق القاري انهم يخطئون . هذا مثلاً بيت من الطويل لعلي محمود طه :

وأضفى اليه الضوء في صفو جلدان  
وأضفى على الوادي شعاع حنان<sup>(١)</sup>

وهو بيت لا يستوي وزن شطريه اللذين يجريان كما يلي :

فعلون مفاعيلن مفعولن مفاعلن  
فعلون مفاعيلن مفعولن مفاعلن

او انهما يجتمعان بين تشكيلتين للبحر الطويل لم يجمع بينهما العرب •  
وليس الغلط مقصورا على علي محمود طه • فليحسود حسن اسماعيل اخطاء  
مثلها هذا مثال منها ، من الخفيف :

طعنة من معاذ احرص فوها

فالك بعد ما كنت تنهي وتأمرا<sup>(٢)</sup>

وشره الثاني مكسور كسرا لا يجبر لانه خارج على الوزن •  
وهذا صالح جودة في ديوانه ( ليالي الهرم ) قال من ( الخفيف ) :

ارفعيه عن الثرى كما رفع الله الى خلدته نبي الصليب

وانما يستقيم البيت لو حذفنا كلمة ( كما ) التي يتوقف عليها المعنى •  
ولنزار قباني في اوائل حياته الشعرية من البحر السريع :

لعت من صفراء جاحدة

ماذا تمنيت ولم أفعل

ابن ثنائين رضيت به

لتفرقي في الذهب الثقيل<sup>(٣)</sup>

(١) قصيدة (المشاق الثلاثة) لعلي محمود طه . ليالي الملاح التائه . القاهرة .

(٢) قصيدة (ثورة الاسلام في بدر) لمحمود حسن اسماعيل من ديوانه هكذا  
اغني القاهرة ١٩٣٨ .

(٣) قصيدة اخاتم الخطبة لنزار قباني . ديوان قالت لي السمراء . الطبعة  
الاولى . مطابع الاحد . دمشق ١٩٤٤ .

ان في عروض هذين البيتين زحافا قبيح الوقع من الصنف الذي نحاسب عليه شعراء الشعر الحر .

ولغير هؤلاء الشعراء غلطات كثيرة ليس هذا مجال ذكرها . ومن ذلك نرى ان الخطأ ليس مقصوراً على الشعر الحر وانما يقع في سواء ايضاً ، وقد تكون جذور اخطاء الشعراء الجدد كامنة في اخطاء اسلافهم من شعراء الشطرين . فلا ينبغي لنا ان نحاسب المعاصرين المتحررين وحدهم ، ولا ينبغي ان تعد الغلط ظاهرة ملازمة للشعر الحر بحيث نبیح لانفسنا ان نطرد هذا الشعر من حظيرة الشعر العربي .

(ثانياً) ومع ذلك فان الغلط في الشعر الحر اكثر منه في شعر الشطرين بشكل واضح يلفت النظر . اننا قد نجد خطأ عروضياً في قصيدة واحدة من عشر في اسلوب الشطرين ، بينما نجده في ثمان من عشر في الاوزان الحرّة . وهذه نسبة غير هينة تجعل الغلط في الشعر الحر ظاهرة متسكنة ينبغي ان تخص بالملاحظة .

والسبب الاكبر في هذه الحقيقة هي ان الشعر الحر اصعب من شعر الشطرين . وذلك واضح لكل من يعرف العروض العربي ولو معرفة بسيطة . ان القصيدة العربية التي تستعمل بحر الرمل باسلوب الشطرين تأتينا بثلاث تفعيلات في كل شطر فلا تتعدى ذلك . ويكون كل شطر من الاشطر مساوياً في الطول والحركات والسكنات لكل شطر آخر . واذ ذاك يكون التعثر نادراً وملحوظاً فلا يفوت الشاعر ولا الناقد ولا القارىء . ذلك ان موسيقى الشطر ترن في السمع لمجرد انها تتكرر دونما تغيير في كل شطر .

ولكن ماذا يكون حال الشاعر ، وهو يكتب قصيدة من بحر الرمل هذا ، على الوزن الحر ؟ ان الشطر هنا لم يعد يساوي الشطر في الطول وانما يضع الشاعر شطراً ذا تفعيلتين الى جوار آخر ذي اربع . ومن ثم فانه يحتاج الى مزيد من اليقظة والتنبه لكي يضبط الوزن ويسيطر على الموسيقى . ولذلك

يحتاج من يتصدى لنظم الشعر الحرّ الى ان يكون مرّنا تمرينا عظيما على استعمال الاوزان ذات الشطرين بكل تشكيلاتها بحيث يصبح استعمال التفعيلات لديه يسيرا ، وبحيث ترنّ الموسيقى في كيانه رنينا عفويا يميزه حق التمييز . وهذا ليس يسيرا . فليس كل شعرائنا موهوبين . ليسوا كلهم مرنين على النظم تمرينا يجعل دروب الاوزان واضحة في اذهانهم . ومن ثمّ فإن اسلوب الشطرين اهون على هؤلاء لو تأملوا . ان من لم يحسن اسلوب الشطرين ومجرى البحور فيه حق المعرفة لن يعرف كيف يخرج على عدد التفعيلات او لنقل ان من لم يعرف ان يكتب قصيدة كل اشطرها متساوية الطول لن يعرف ان يكتب قصيدة يكون شطر منها طويلا والثاني اقصر والثالث اطول . تلك مسألة بديهية .

(ثالثا) يقع جانب من اللوم ، في قضية الاخطاء العروضية الشائعة في الشعر الحرّ ، على عواقب النقاد العرب المعاصرين . ذلك انهم رفضوا ان يقوموا بواجبهم في نقد ذلك الشعر وغربلته ، وانما كان كل ما فعلوه انهم هاجموا بكلمات جارحة وسخروا من يكتبه . ولقد كتب كثير منهم باختصار واحتقار وهزل عن الحركة كلها . وكانت حدة اللهجة ، وعصبيّة العبارات ، ونبرة التحامل تشي بانهم غاضبون وان ما يقولونه - لذلك - بعيد عن الموضوعية . وكانت النتيجة المحتومة ان الشعراء الناشئين ، وبعضهم مصاب بصلف الجهل ، رفضوا ان يصغوا اليهم ، رزادوا بان قابلوهم بالسباب المقابل والهجوم والسخرية . ولم يقع الحيف في هذا الا على الشعر العربي نفسه .

ولعل اكثر اللوم في هذه المعركة اللفظية المزرية يقع على النقاد لا على الشعراء . ذلك لان الناقد الذي يسي نفسه ناقدا ثم يجهل ان الشعر الحرّ موزون جار على العروض العربي تمام الجريان ، بحيث يتعرّض للزحاف والعلل والتدوير ، ويرد على المشطور والمجزوء ، وتكون له ضروب ، هذا الناقد يحكم على نفسه بانّه ليس ناقدا ، وانما هو واحد من اولئك البسطاء الذين لا يتورعون من ان يدلوا بأرائهم في كل موضوع . بلى ، قد يكون

هذا الناقد كهوءاً في نقد موضوعات اخرى غير الشعر ، الا انه على كل ليس  
ناقدا للشعر ما دام لا يميز الموزون من غير الموزون .

ولقد كانت نتيجة هذه الاحكام السطحية المتسرعة من بعض الادباء ،  
ان الشاعر الناشئ الذي يكتب الشعر الحرّ ويدري انه شعر لا نثر ، وانه  
موزون بحيث يمكن ان يحاسب عليه ، هذا الشاعر فقد ثقتة بالناقد ، ومعه  
الحق . وقد جعله ذلك يتساذى ويبالغ فلا يتنزل الى الاصفاء الى تصحيح  
مصحح . فاذا نبهه ناقد مخلص الى خطأ عروضي ، اتهمه بانه ناقد رجعي  
يريد الاقتصاد على أسلوب الشطرين . وانهى الأمر الى ان يصبح هذا  
الشاعر فوضويا جامح الغرور ، يخرج على العروض وعلى الموسيقى وعلى  
الذوق باسم « الحرية » .

وهكذا انطلق الشعراء الناشئون يخطئون افطع الاخطاء وهم يحسبون  
انهم يأتون باعظم التجديد . ومضى الناقد يسب ويهاجم ويسخر دون ان  
يستطيع مساعدة هؤلاء الناشئين الذين يحتاجون الى التوجيه والرعاية  
والتشجيع . والحق ان بعضهم شعراء ذوو موهبة ، غير ان غرورهم وعنادهم  
وسوء فهمهم للحرية قد مسخ مواهبهم وتطع عليهم طريق النمو والتكامل .  
واليوم يكاد الشعر الحرّ يحتضر على أيديهم .

هذه مشكلة الغلط العروضي في الشعر الحرّ وسوف نورد الفصل التالي  
لاكثر اصناف هذا الغلط شيوعا .

## الفصل الثاني

### أصناف الأخطاء العروضية

نحاول في هذا الفصل أن نصنف الأخطاء العروضية التي يقع فيها الشعراء في شعرهم الحرّ وندرسها دراسة قصيرة بمقدار ما يتسع المقام ، مستعينين في ذلك بالأمثلة .

وقد رأيت ، بعد دراسة بطيئة متهلة لما يُنشر من الشعر الحرّ ، أن الأخطاء الشائعة فيه يمكن أن تصنف الى أربعة أصناف بارزة هي :

أ - الخلط بين التشكيلات

ب - الخلط بين الوحدات المتساوية شكلاً

ج - أخطاء التدوير

د - اللعب بالقافية وإهمالها .

وسوف نقف عند كل صنف من هذه الأصناف وقفة متهلة .

#### أ - الخلط بين التشكيلات

لعلنا جميعاً ، قرّاءٌ وقادراً ، وشعراء ، نتفق على أن الأبيات التي تخرج عن الوزن في قصيدة ما تجرح اسماعنا وتجعلنا نضيق بالقصيدة ونرفض أن

تمّ قراءتها . والواقع ان هذا هو السبب الذي يجعل الجمهور يقف من الشعر الحرّ موقف النفور والرفض . ان هذا الشعر ، يحتوي على نسبة عالية من النشاز الموسيقيّ واغلاط الوزن . ولذلك فان القارئ ، مهما كان ضعيف القدرة على تحسس الوزن ، يشعر بالضيق حين يقرأ القصائد الحرة التي يتعرّفها بالوزن .

ويكاد الخلط بين التشكيلات يكون أفتح أنواع الغلط وأكثرها شيوعاً في الشعر الحرّ . واسباب هذا الخطأ ان كثيراً من الشعراء والناظمين ، وأكثرهم ناشئون ، قد حسبوا ان مسألة ارتكاز الشعر الحرّ الى ( التفعيلة ) بدلاً من ( الشطر ) انما تعني ان في وسع الشاعر ان يورد أية تفعيلة في ضرب القصيدة ما دام يحفظ وحدة التفعيلة في الحشو . فاذا كان يكتب قصيدة من بحر الرجز تجري هكذا :

مستفعلن مستفعلن مفعولن

ظنّ أنّ من السائغ له ان يخرج عنه الي اية تشكيلة اخرى من تشكيلات الرجز المباحة مثل هذه :

مستفعلن مستفعلن فعلن

وهذا خطأ ، كما سبق ان اوضحنا . نعم ، ان التشكيلتين كليهما نسيان الى بحر الرجز ، ولكن العرب لم يستعملوا اكثر من تشكيلة واحدة في القصيدة الواحدة .

وكان منشأ هذه « الكبوة » التي وقع فيها شعراؤنا المعاصرون انهم ظنوا ان البحور الشعرية تصبح في الشعر الحرّ متجاوبة مع تشكيلاتها جميعاً بحيث يصحّ المزج بينها . وكذلك فسروا « الحرية » في هذا الشعر الجديد ، وكذلك خرجوا على الاذن العربية فكان لا بدّ للقراء المتذوقين ان ينصرفوا عن قراءة هذا الشعر .

والحق ان الشاعر الاصيل الذي أرهف سعه بالاغراق في قراءة الشعر العربي لا يمكن ان يقع في المزج بين التشكيلات في قصيدة واحدة ، وانما

وقع مثل ذلك لدى شعراء موهوبين لانهم ، فيما نظن ، اسكتوا صوت فطرتهم الشعرية وانساقوا مع تجديد حسبوه منطقيا . ولقد شجعت خطأ الواحد منهم اخطاء الآخرين ونصرها ، فكان الشاعر منهم يشيح عن صوت نفسه الموهبة التي تأبى عليه المزج بين المتنافر ، لجرد ان شاعراً آخر منهم قد ارتكب ذلك المزج .

وقد تكون اسباب الخلط غير هذه لدى شعراء آخرين . ان من الشعراء المعاصرين في وطننا العربي من ينقصهم التسرين ، ومنهم ناظمون لا يرتفعون الى مستوى الشعر ، وكلا الطائفتين معرضة الى ان ترتكب الاخطاء . ونحن في عصر بات ازدهاء العروض فيه يعتبر صفة ملازمة للشاعر الموهوب . وقد شاعت مثل هذه النظريات المضللة شيوعاً عظيماً بين الناس .

وكانت نتيجة هذا كله ان الشعر الحرّ غصّ بالخلط بين التشكيلات ، ووقع مثل ذلك حتى لدى شعراء مارسوا النظم بأسلوب الشطرين طويلاً مثل سليمان العيسى وفدوى طوقان ونزار قباني وهم جميعاً شعراء ذوو وزن . وهذه فدوى مثلاً في قصيدة لها وزنها الرجز افتتحتها قائلة :

تعبني صديقي المقرّب الأثير<sup>(١)</sup>  
مستعلن مستعلن مستعلن فعول

وقد كان ينبغي لها ، حسب قانون الاذن العريية ، ان تقصر حرية القصيدة على التلاعب بمدد تفعيلات الحشو الموحدة ( مستعلن ) ، مع اثبات التفعيلة الاخيرة الشاذة ( فعول ) بحيث ترد في آخر كل شطر من القصيدة .

على ان فدوى لم تفعل ذلك . وانا راحت تعبت بكل من الحشو والضرب ، خلافا للقاعدة العريية ، فضاع الوزن واصبحت القصيدة مجموعة من تشكيلات الرجز كما نرى من الفقرة التالية منها . وسوف نكتفي بان اثبت

(١) قصيدة (تاريخ كلمة) لفدوى طوقان . مجلة الاداب ايار ١٩٦١ .

تفعيلة الضرب ما دامت تفعيلة الحشو ثابتة لا تتغير وهي ( مستعملان ) :

( فعول° )	وكنت في يأسى أمدّ خلفها اليدين
( مستعملان )	أودّ لو بلغتّها ، لمستّها حقيقة
( مستعملان )	شيئا يمسّ صدقه بالراحتين
( مستعملان )	كانت سرايا في سراب
( فعول )	كانت بلا لون بلا مذاق
( فعّل° )	الجب عند الآخرين جفّ وانحصر
( مستعملان )	معناه في صدر وساق <sup>(١)</sup>

مامعنى هذا ؟ ان الشاعر قد جمعت بين اربع تشكيلات لم يجمع بينها العرب قط . وانما كانت القصيدة الواحدة تستعمل تشكيلة واحدة لاتتمدها وحين تقع علة في ضرب القصيدة ، سواء اكانت علة قصص ام علة زيادة ، فانها تتكرر بعد ذلك في كل شطر من اشطر القصيدة وتصبح قانونا . وعلى ذلك تبدو ابيات فدوى مصابة باختلال فطبع يصك السمع العربي ويعدّب حسّ الموسيقى لدى اي انسان مرهف السمع . وما من عروضي قط يستطيع ان يقبلها . لا بل ان فدوى نفسها ، بحسّها الشعري الرقيق ، لو اعطت فطرتها الحكم ، لشطبت هذا الخروج وأبت ان تقع فيه . والواقع اننا لا نجد له مثيلا في قصائدها ذات الشطرين او ذات الشطر الثابت الطول .

#### ب - الخلط بين الوحدات المتساوية شكلا

في ابيات فدوى التي نقلناها في الصفحات السابقة وهو الشطران المتجاوران التاليان :



كانت سرايا في سراب  
كانت بلا لون بلا مذاق

(١) سبق ان قلنا ، في بحث سابق ان «مستعملان» لا ترد في ضرب الرجز قط فاستعملها هنا خطأ عروضي .

وقد توهمت الشاعرة ان كلمة ( مذاق ) ، بصفتها مساوية لكلمة ( سراب ) في الطول ، تستطيع ان ترد جوابا لها في الشطر التالي على سبيل الايقاع والنغم وغير ذلك مما ارادت الشاعرة في هذه القصيدة ، ان تستعير به عن القافية . وهي قد التزمت هذا عبر القصيدة كلها فكانت قوافيها : ( اثير ، سنين ، عبور ، دروب ، قديم ، صغار ، شتاء ، فقير ، صغير ، ظمأ ، حياه ، نضير ، عبير .. الخ ) . غير ان الظرف العروضي الذي احاطت به الشاعرة هذه القوافي يجعلها غير متناسقة ولا متساوية . والواقع ان الكلمات التي تتساوى في طولها ، في واقعها اللغوي ، ليست بالضرورة متساوية في داخل القصيدة ، وذلك بسبب تحكم التفعيلات والانغام . وشطرا فدوى اللذان نسخناهما مثال على ذلك .

ان وزن الشطرين كما يلي :

كانت سرايا في سراب

مستفعلن مستفعلن

كانت بلا لون بلا مذاق

مستفعلن مستفعلن فعول

وعلى هذا فان قافية الشطر الاول ليست هي كلمة ( سراب ) كما توهم فدوى وانما هو قولها ( با في سراب ) التي تساوي التفعيلة ( مستفعلن ) واما قافية الشطر الثاني فهي كلمة ( مذاق ) وحدها لانها تفعيلة كاملة . ان مقع كلمة ( مذاق ) من التفعيلة ( فعول ) ليس هو موقع ( سراب ) من تفعيلتها ( مستفعلن ) وهذا يجعلها مختلفتين بحيث لا يصح ان تتجاورا هنا وليستا قافيتين . ولقد كررت فدوى هذا الخطأ مرارا في قصيدتها ففالت في اولها :

تجني سديقي المقرَّب الاثير

احبه يظل نسمة رخية - العبور

فكانت ( الاثير ) تفعيلة كاملة بينما بقيت ( العبور ) جزءاً من تفعيلة وجعلهما ذلك مختلفتين بحيث لم تشكلا رؤياً .

وهذا الخطأ ، كسابقه ، مألوف في الشعر الحرّ الذي يكتبه غير فدوى من الشعراء . ففي غير عدد « الآداب » الذي نشرت فيه قصيدة فدوى ، قصيدة مضطربة الوزن ، ركيكة الانغام عنوانها ( المثل ) كتبها مجاهد عبدالمنعم مجاهد ، وجاء فيها من نماذج الخلط بين الوحدات المتشابهة ظاهرياً كثير ، قال :

وعندما انتهيت من كتابته  
احسست انني أسوتُ في نهايته  
ووزن الشطرين كما يلي :  
مستفعلن مستفعلن مستفعلن  
مستفعلن مستفعلن مستفعلن فعل

ان قافية الشطر الاول هي كلمة ( كتابته ) كلها ، واما قافية الشطر الثاني فهي مقطع ( يته ) التي هي جزء من كلمة نهايته . وقد كان يستطيع ان يضع الكلمة الكاملة قافية او قال مثلاً :

احسستني قدُمتُ في نهايته

ومن يقلب قصائد الناشئين الحرّة يجد كثيراً من هذا الخلط المؤسف بين الوحدات ، وهو خلط ترفضه الاذن الشعرية المرهفة ، كما يرفضه الناظم العروضي المرصّن الذي أحسن درس العروض ، فلا الموهوب يقبله ولا العارف بالعروض .

والحقيقة التي لا ينبغي ان نفوتنا ان الخلط بين الوحدات المتساوية شكلاً ليس الا جزءاً من الخلط بين التشكيلات . ان شطري فدوى ينسي كل منها الى تشكيلة لان ( مستفعلن مستفعلن ) تختلف كل الاختلاف عن

( مستفعلن مستفعلن فعول ) كما سبق ان شرحنا في موضوع التشكيلات ، وكان على الشاعرة ، ومثلها الشاعر ، ان تختار احدى التشكيلتين وتجري عليها في القصيدة كلها وبذلك تكون الوجدتان (سراب) و (مذاق) المتساويتان في الشكل ، متساويتين عروضيا ايضا لوقوعهما في المكان عينه من التفعيلة .  
والامر كذلك بالنسبة للكلمتين ( كتابته ) و ( نهايته ) .

وفي ختام هذه الفقرة من بحثنا احسن القارىء يسألني : لماذا لم يقع اسلافنا الشعراء في مثل هذا الخلط بين الوجدات ؟ ولماذا عرف هذا الداء في عصرنا ؟ والجواب ان الشعر الحر اصعب من الشعر ذي الاشطر المتساوية .  
لان التساوي كان يضطر الشاعر الى ان يورد عين التفعيلات في كل شطر .  
فاذا بدأ القصيدة : مستفعلن مستفعلن فعول

فاذا هذا يبقى طولاً ثابتاً لكل شطر تال ، فلا يستطيع الشاعر ان يخطيء .  
واما الشاعر الحديث فان ظروفه صعبة لان من حقه ان يطيل الشطر ويقصره ، وهذا يجعله اكثر تعرضاً للمزلق .

### ج - اخطاء التدوير

ما زال الجمهور العربي يشكو من أن الشعر الحر يلوح له ثراً لا وزن له . واحسب ان كثرة التدوير في شعر الشعراء الناشئين تساهم ، بنسبة عالية ، في اشاعة هذا الاحساس في نفوس القراء . ويمكن سبب ذلك في جوهر التدوير نفسه . لأنه في حقيقته مدّ للعبارة واطالة للشطر ، فاذا كان الشاعر ضعيف السيطرة على قصيدته بالمعنى العروضي ، لاح وكان ما يقوله ثر خال من الموسيقى والايقاع .

ونحب ان نورد مثلاً . اني اسحب اول عدد اصادفه من مجلة (الآداب) فاقع فيه على قصيدة لخليل الخوري من دمشق يبدأها قائلاً من الكامل :

انا في انتظار المعجزه

من اين ؟  
لا ادري ! ولكني هنا ألتاث  
يوجعني انتظار المعجزه  
الصمت في الاغوار يزحف  
ياكل الابعاد يفترس الزمان  
اصفي اكاد أحس  
احدس ما تحيك<sup>(١)</sup> أنامل الصمت العميق<sup>(٢)</sup>

ان هذه الأشطر تزخر بالتدوير بشكل غير مقبول . هناك من  
الأشطر المدورة الثاني والثالث والخامس والسابع . وحيث ان الشعر الحرّ  
ذو شطر واحد كما سبق ان قررنا فان التدوير يصبح ممنوعاً كل الامتناع فيه،  
لان العرب لا تدور ضرب الشطر او البيت ، وانما يدور العروض وحسب .  
ثم ان الحاجة الى التدوير تنتهي اصلاً في كل شعر حرّ . ذلك لان طول  
الشطر غير معين بحيث يستطيع الشاعر ان يضع ما يشاء من تفعيلات مستغنياً  
عن التدوير . وعلى هذا الاساس كان ينبغي ان يجمع الشاعر كل شطرين  
مدورين معاً . وبذلك تصبح قصيدته كما يلي :

انا في انتظار المعجزه

من اين ؟ لا أدري ولكني هنا ألتاث يوجعني انتظار المعجزه  
الصمت في الاغوار يزحف ، ياكل الابعاد ، يفترس الزمان  
اصفي اكاد احس احدس ما تحوك انامل الصمت العميق

وعندما نكتبها هكذا ، كما ينبغي ان نكتب وكما تفرض قواعد العروض

- (١) الصواب «تحوك» . ويخطيء في هذا الفعل كثير من الناشئين ، لا ندري  
السبب .  
(٢) قصيدة «الروءيا المكبله» خليل الخورى . مجلة الادب . بيروت .  
اب ١٩٦١ .

العربي ، نلاحظ انها ركيكة التأليف ، باردة الوقع ، على الرغم من جريانها على قواعد عروض البحر الكامل . فما سر ذلك ؟

ان وجه الضعف في هذه الاشطر هو عدم التناسق بين طولها . فأين الشطر الاول المكوّن من تفعيلتين من الشطر الثاني المكوّن من ستّ ؟ او من الثالث والرابع وكل منهما ذو خمس تفعيلات ؟

ولا يقلّ سوء تأليف عن ذلك كون الشطر الثاني في حقيقته بيتاً ذا شطرين من البحر الكامل هذا وزنه :

من اين لا أدري ولكني هنا

ألتا يوجعني انتظار المعجزه

متفاعلن متفاعلن متفاعلن

متفاعلن متفاعلن متفاعلن

ومن هذا ندرك ان الاشطر الثلاثة ( ٢ و ٣ و ٤ ) في اصل الشاعر لم تكن في الحقيقة الا بيتاً واحداً ذا شطرين . فلماذا اذن كتبه الشاعر هكذا :

من اين ؟

لا ادري ولكني هنا ألتا<sup>١١</sup>

يوجعني انتظار المعجزه ؟

انه اولاً يقطع بيتاً تقطيعاً لا صلة له بالوزن ، وهذا غير مقبول ، فانما التقطيع صفة يفرضها الوزن ولا يتحكم فيها سواه ، ثم ان الشاعر بهذا التقطيع المتعسف يجعل أشطره مدوّرة في موضع لا يسوغ فيه التدوير . ذلك فضلاً عن ان قواعد البلاغة لا تبيح ان تفصل عبارة ( من اين ) عن عبارة ( لا ادري ) . وليس من غرض بيانيّ يسوّغ فصل الفعل ( ألتا ) عن الفعل

(١) يعرب «التا» خبراً للكن ، و (يوجعني) خبراً ثانياً ، وتعدد الخبر جائز في النحر ويصح ايضاً تقدير واو للمطف محذوفة .

(يوجعني) وهما في مرتبة نحوية واحدة ~~وهي~~ ومهما كان فإن فصل العبارات عن بعضها في الشعر ينبغي الا يكون الا اذا اقتضته وقفة عروضية ، فلا شيء سواها يستطيع تقرير فصل غير مباح . هذا مع العلم بان بعض الفصل لا يبيحه حتى وقفة عروضية وذلك مثل الفصل بين مضاف ومضاف اليه ونحوه .

ان هؤلاء الناشئين من الشعراء يرتكبون في الواقع اساءتين اولاهما انهم يقعون في التدوير في الشعر الحرّ مع انه مستنقح فيه لانه شعرٌ ذو شطر واحد، وثانيتها انهم ، بالاضافة الى خطيئة التدوير ، يقسمون الشطر الى اشطر على اساس المعنى ، مع ان الشطر في العروض وحدة موسيقية مستقلة وينبغي ان يتفصل بينها وبين اية وحدة اخرى فصلاً ملحوظاً بترك فراغ على الورق .

هذا وامثاله يشير الى ان القصيدة قد افلقت من سيطرة الشاعر الناشئ المعاصر ، فهي تقوده وتجري به حيث تشاء ، وهو لا يملك من عدّة اللغة ، وتحسس الوزن ، وفهم العروض ما يعينه عليها . انه غير شاعر بوحدة الشطر، فهو لا يعرف أين يبدأ واين ينتهي . تارة يبدأ شطراً بالنصف الاخير من الكلمة ، وتارة ينهي شطراً بالنصف الاول من الكلمة . واحياناً يورد بيتاً ذا شطرين متساويين على النمط الخليلي وهو يظن انه يكتب شعراً حرّاً تتعدد اطوال اشطره . وتراه يكتب ابياتاً مدوّرة وهو يحسب ان كل شطر فيها مستقلّ ، واحياناً يضع قافية في نهاية الشطر ويظن انها هي القافية ، مع ان شطره مدوّر بحيث يذهب نصف القافية الى الشطر التالي فلا تعود قافية . وكل هذه الفوضى تنشأ عن وقوع الشاعر في التدوير وهو غافل .

ليس التدوير مسألة عروضية بحتة مرتبطة بالمعنى وبالموسيقى ؟ ومن قال اننا احرار في استعماله حيث شئنا ومتى شئنا ؟ لناخذ هذه الاشطر من

آه متى يشتدّ عصف الريح ،

عصف الريح روح البحر ،

لولا الريح جفّ البحر ، آه

اربعة أشطر سطرها الشاعر وهو لا يدري انها في واقعها العروضي<sup>١</sup>  
شطر واحد لا يفصم نهايته كلمة ( السحاب ) . ولقد كان التدوير المنصل  
ثقيلا هنا لان المعنى كان يقتضي الوقوف بعد الاستفهام الأول ( آه متى يشتد<sup>٢</sup>  
عصف الريح ؟ ) وكان ينبغي ان ينتهي الشطر عند آخر هذا السؤال انتهاء  
عروضيا لينسجم الوزن والمعنى كما ينبغي لهما في كل شعر جيد . وأما عبارة  
( عصف الريح روح البحر ) فقد كان حقها ان تفصل فصلا كاملا عن سابقتها ،  
لأنها عبارة خبرية وما قبلها استفهام يختلف عنها بلاغيا .

وانما وجد التدوير لربط شطر أول لم ينته المعنى فيه بشطر تال له .  
وهذا هو القانون في كل تدوير . واذن فما الداعي الى ان يربط الشاعر  
العبارتين ( متى يشتد<sup>٣</sup> عصف الريح ؟ ) و ( عصف الريح روح البحر ) ؟ ما من  
جواب منطقي سوى انها « ضرورة » ، وليتها كانت كذلك . وانما احسبها ،  
والحق يقال ، تهاونا من الشاعر ، فان في الامة العربية اليوم جيلا من الابداء  
والشعراء الناشئين يحسبون هدم قواعد البلاغة والنحو والعروض مظهرا من  
مظاهر التجديد . ولذلك لا تجدهم يعنون بمراجعة قاموس او مرجع في  
القواعد ، لا بل انهم يستخفون بالناقد الذي يعاتبهم على اهمال قاعدة او  
استعمال لفظة على قياس فاسد .

وما نتيجة كل هذا التدوير بالنسبة للقارئ الذي ليس شاعرا ؟ انه  
يرتبك ولا يعرف حدود الوزن . يقرأ شطر الشاعر :

ياكل الابعاد يفترش الزمان

او شطره :

عصف الريح روح البحر

فلا يجد له وزنا معروفا ، ولا يجده منطبقا على اي بحر من بحور الشعر .  
فلا يكون منه الا ان يحكم بأن هذا ثر بلا وزن . وينبغي لنا الا نلومه .  
وهل الناس كلهم شعراء يعرفون حدود الاوزان ؟ لا بل ان كان الشاعر

نفسه لا يعرف حدود الشطر فكيف تنتظر ذلك من القارئ البسيط الذي يقرأ الشعر ليجد فيه لذة ونشوة وحسب ؟

#### د - اللعب بالقافية واهمائها

بدأ العرب يتخلصون من عبء القافية الموحدة ذات الرنين العالي منذ عصور بعيدة ، فنشأ الموشح والبند وفنون الشعر الشعبي ، ودرجت الاغاني التي تستعمل اكثر من قافية واحدة . وفي عصرنا هذا شاعت الرباعيات والثنائيات وخطط القوافي المعقدة ، غير ان القافية بقيت ملكة تتحكم في الشعر فلم يخرج عنها شاعر معروف . ومضى ذلك حتى السنوات الاخيرة ، بعد قيام حركة الشعر الحر واستسلام الشعراء الشباب لها بلا تراث ولا تمحيص . فلقد بدأنا مؤخراً نقرأ قصائد لا قافية لها على الاطلاق ، وارتفعت اصوات غير قليلة تنادي بنبذ القافية نبذا تاما . وكان هذا صدى للشعر الغربي وهو قد عرف الشعر المرسل الذي يخلو من القافية منذ مسرح شيكسبير ، فكان هذا الشاعر الانكليزي الكبير يكتب شعراً لا قافية له في الغالب فلا يأتي بقافية الا في خاتمة الفصل ايذاناً بانتهائه . والشعر العربي اليوم اقله بلا قافية ، ومن هناك جاءت الفكرة فاستجاب لها بعض الشباب ومضوا في تطبيقها . على انا لا نملك الا ان نلاحظ ان الذين ينادون اليوم بنبذ القافية هم غالباً الشعراء الذين يرتكبون الاخطاء النحوية واللغوية والعروضية الشنيعة ، ولذلك نخشى ان تكون مناداة بعضهم بها تهرباً الى السهولة وتخلصاً من العبء اللغوي الذي تلقيه القافية على الشاعر . وانا اؤمن بان الحرية ينبغي الاتسح الا لانسان قادر على ان يلتزم القيود والا أصبحت قيوداً .

على ان مسألة نبذ القافية ليست جديدة كل الجدة في الشعر الحديث ، ففي ديوان الزهاوي الذي توفي حين كنا نحن صغاراً قصيدة جارية على اسلوب الشطرين ، غير انها مرسله ارسالاً بلا قافية . قال من الطويل :

لموت الفتى خير له من معيشة  
يكون بها عبثاً ثقيلاً على الناس

يميش رخي العيش عشر من الوري  
وتسعة اعشار الانام مناكيد  
اما في بني الارض العريضة قادر  
يخفف ويلات الحياة قليلا  
افي الحق ان البعض يشبع بطنه  
وان بطون الاكثرين تجوع؟  
أسألتي عن غاية الخالق اسكتي  
فما لي على هذا السؤال جواب  
اذا جبي الانسان صادف منكرا  
وان مات لاقى منكرا ونكيرا  
اذا قلت حقا خفت لوم مخاطبي  
وان لم اقل حقا اخاف ضميري  
ارى الناس ، الا من توفر عقله  
من الناس ، أعداء لكل جديد (1)

ان هذا شعر بلا قافية ، وقد جمع فيه الشاعر كل تشكيلات البحر الطويل  
فكانت أبياته متنافرة . ولم تكن هذه من الزهاوي الا تجربة ، فلننا نراه سار  
عليها في سائر شعره . ولغير الزهاوي محاولات في هذا الباب . على ان المحاولة  
لم تنجح وبقيت نموذجا يشار اليه لغرابته .

على ان الشعراء ، ان كانوا لم ينجحوا في احداث الشعر المرسل ، فانهم  
نجحوا في الخروج على القافية الموحدة ، فشاع في الوطن العربي شعر الزركلي  
والمهجرين الذي جرى على تنويع القوافي باشكال الموشح و اشكال جديدة  
جميلة اضافوها هم . ومشى ذلك حتى في شعر شوقي والزهاوي والرصافي

(1) قصيدة « الشعر المرسل » اجميل صدقي الزهاوي . ديوان الزهاوي .  
المطبعة العربية . القاهرة ١٩٢٤ (ص ٢١) .

وبشارة الخوري وغيرهم كثير ، حتى اصبح تنويع القوافي مألوفاً وصدرت المطولات الشعرية والمسرحيات .

ومهما يكن من فكرة نبد القافية وارسال الشعر فان الشعر الحرّ بالذات يحتاج الى القافية احتياجاً خاصاً . وذلك لانه شعر يفقد بعض المزايا الموسيقية المتوفرة في شعر الشطرين الشائع . ان الطول الثابت للشطر العربي الخليلي يساعد السامع على التقاط النبرة الموسيقية ويعطي القصيدة ايقاعاً شديداً الوضوح بحيث يخفف ذلك من الحاجة الى القافية الصلدة الرنانة التي تصوت في آخر كل شطر فلا يغفل عنها انسان . واما الشعر الحرّ فانه ليس ثابت الطول وانما تتغير اطوال اشطره تغيراً متصلاً ، فمن ذي تفعيلة الى ثان ذي ثلاث الى ثالث ذي اثنتين وهكذا . وهذا التنوع في العدد، مهما قلنا فيه ، يصير الايقاع اقل وضوحاً ويجعل السامع اضعف قدرة على التقاط النغم فيه . ولذلك فان مجيء القافية في آخر كل شطر ، سواء اكانت موحدة ام منوعة يتكرر الى درجة مناسبة ، يعطي هذا الشعر الحرّ شعرية اعلى ويسكن الجمهور من تذوقه والاستجابة له .

ولنتقارن بين قصيدتين احدهما مرسله والاخرى ذات قافية ، ولنلاحظ الفرق في الموسيقى والشعرية . لصلاح عبدالصبور من ( الكامل ) : (١)

كنا على ظهر الطريق عصابة من أشقياء  
متعذيين كآله

بالكتب والأفكار والدخان والزمن المقيت  
طال الكلام ، مضى المساء لجانة ، طال الكلام  
وابتلّ وجه الليل بالانداء  
ومشت الى النفس الملاة والنعاس الى العيون

(١) قصيدة «السلام» لصلاح الدين عبد الصبور ديوان (الناس في بلادي) . بيروت ١٩٥٧ - ولاحظ ان القصيدة ، مثل كثير من الشعر الحرّ ، تجمع بين اكثر من تشكيكة خلاف العروض العربي .

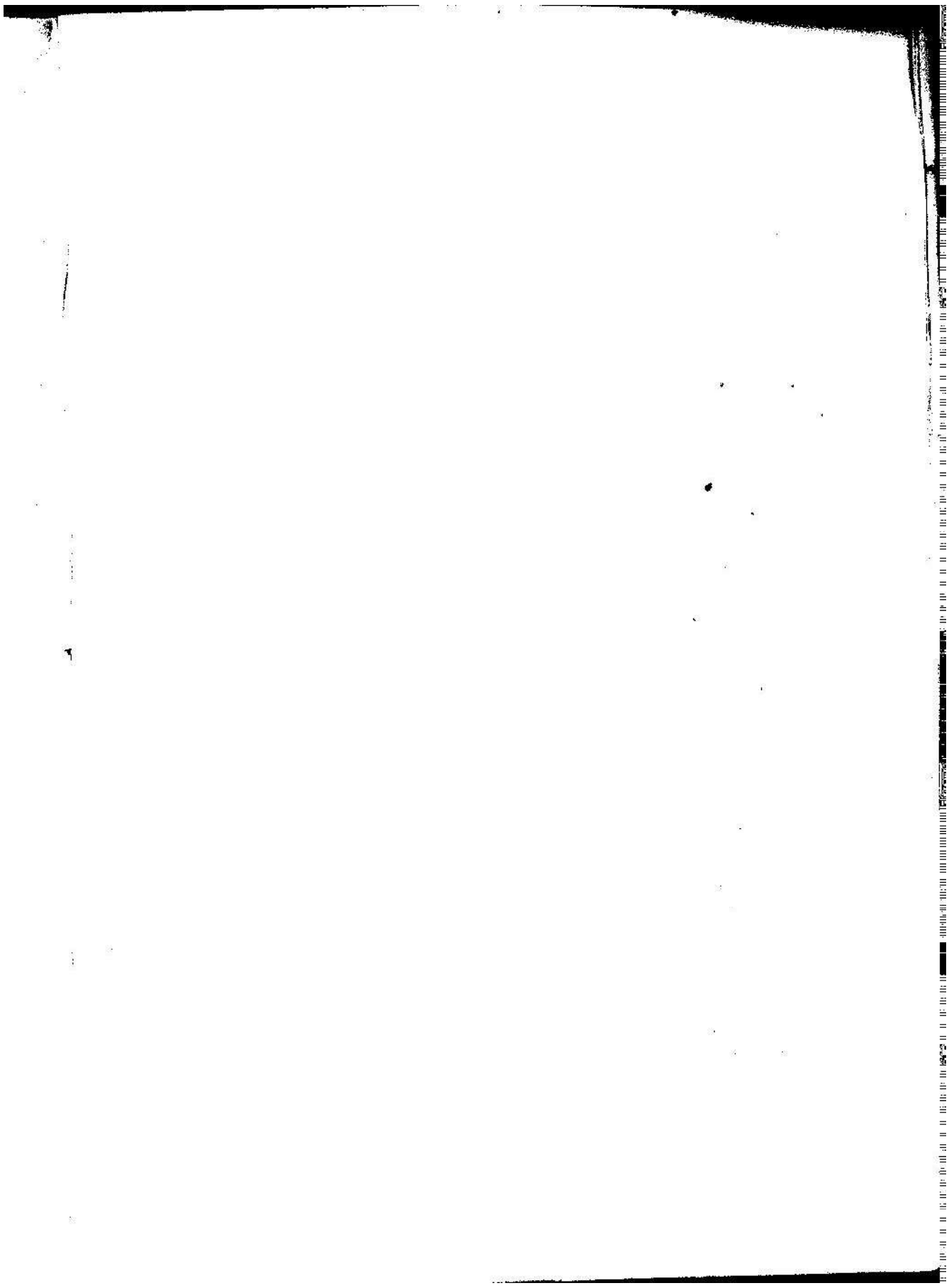
كانت هذه القصيدة مرسلة من دون قافية ، وقد أفقدها ذلك جمال الوقع  
وعلوّ النبرة . فإين هي من قصيدة نزار قباني من ( الكامل )<sup>(١)</sup>

ولمحت طوق الياسمين  
في الأرض مكتوم الانين  
كالجثة البيضاء تدفمه جموع الراقصين  
وبهم فارسك الجميل باخذه فتمانعين  
وتقهقهين

« لا شيء يستدعي انحناءك ، ذلك طوق الياسمين »

والحقيقة ان القافية ركن مهم في موسيقية الشعر الحرّ لأنها تحدث رنيناً  
وتشير في النفس انغاما واصداء . وهي ، فوق ذلك فاصلة قوية واضحة بين  
السطر والسطر ، والشعر الحرّ احوج ما يكون الى الفواصل خاصة بعد ان  
اغرقوه بالثرية الباردة . ولذلك يؤسفنا ان نرى الناشئين متجهين اليوم الى  
نبد القافية في شعرهم الحرّ . وذلك يضيف الى ثرية ما يكتبون وضعف  
الموسيقى فيه . فكأن لم يكفهم ان يوردوا في شعرهم تشكيلات متنافرة ، وان  
يخرجوا على الوزن ، وان يتنقلوا من بحر الى بحر ، وان يرتكبوا الاخطاء  
النحوية واللغوية . وان يأتوا بالعامي والسقط ، كأن لم يكفهم ذلك كله ،  
فأهملوا القافية وهي لو يدرون سند شعرهم وحليته المتبقية .

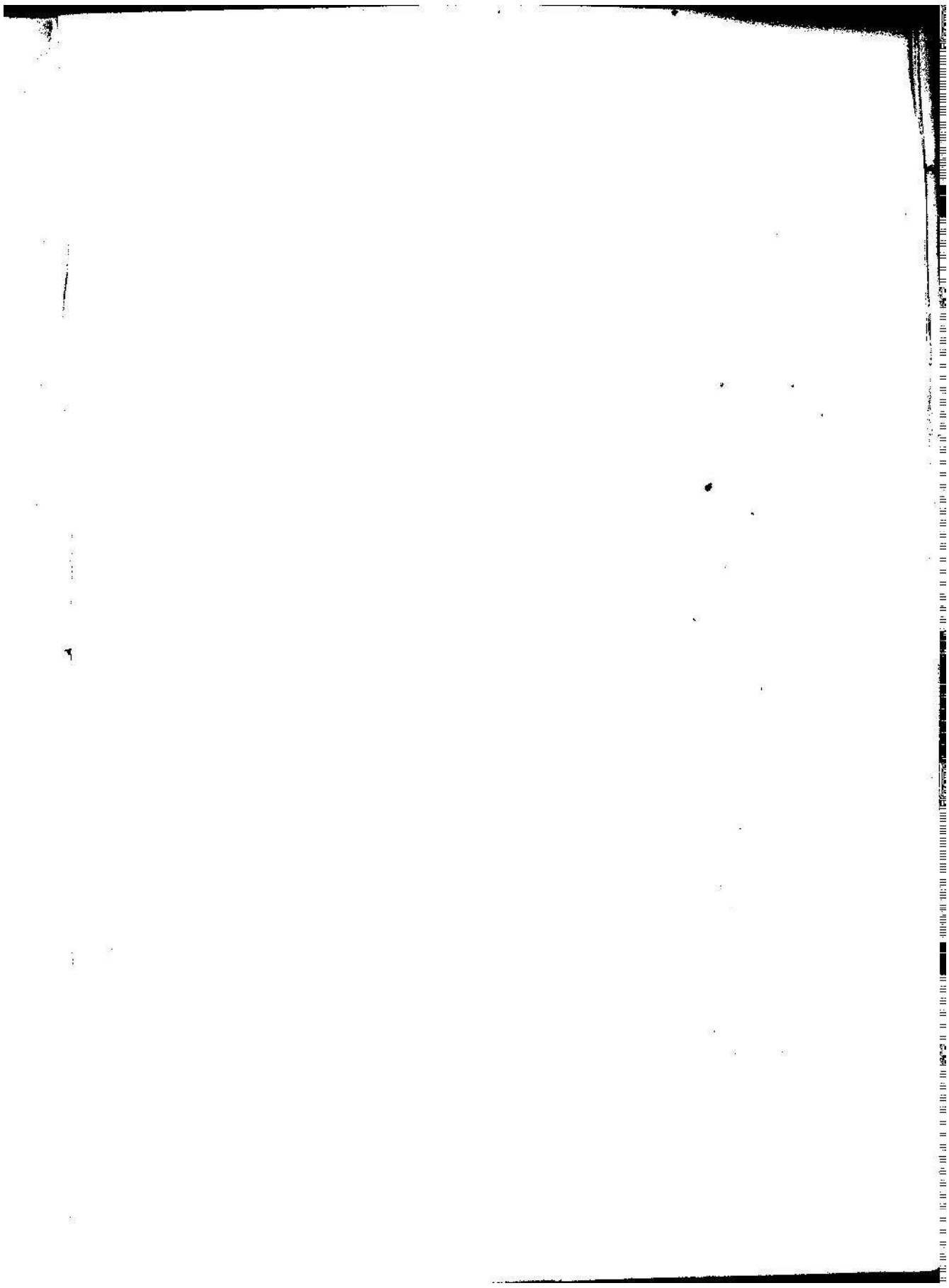
(١) قصيدة «طوق الياسمين» لنزار قباني . ديوان قصائد من نزار قباني .  
بيروت ١٩٥٦ ونعتذر الى الشاعر على اننا نسقتا له الاسطر تنسيقاً  
عروضياً على غير الطريقة المفلوطة التي كتبها بها في الديوان .



## الباب الرابع

### ما يحق بقضايا العمران

- البند
- قصيدة النثر



## الفصل الأول

### البند ومكانه من العروض العربيّة

لا ريب في ان البند هو أقرب اشكال الشعر العربي الى « الشعر الحر » .  
ذلك انه شعر يستند الى بحر الهزج<sup>(1)</sup> :

مفاعيلن مفاعيلن

فلا يتقيد بأسلوب الشطرين الذي تقيد به الشعراء العرب منذ اقدم العصور ، وانما يخرج عنه فيجيء هزجاً تختلف اطوال أشطره ، فيأتي شطر بتفعيلتين يليه شطر بخمس تفعيلات وثالث باثنتين ورابع بعشر وهكذا كما تملي على الشاعر احواله ومعانيه . ولقد الف الشعراء الذين ينظمون البند ان يكتبوه كما يكتبون النثر بحيث يبدو لنا حين ننظر اليه وكأنه نثر اعتيادي . وهذا نموذج من بند ابن الخلفة وهو أشهر البنود وأحسبه أظرفها وأحفلها بالعفوية والبساطة :

(1) هذا ما يجمعون عليه وانا اخالفهم كما سأذكر .

(أهل تعلم أم لا أنّ للحبّ لذاذات ، وقد يعذر لا يعذل من فيه غراماً وجوى مات ، فذا مذهب أرباب الكمالات ، فدع عنك من اللوم زخاريف المقالات ، فكم قد هذب الحبّ بليداً ، فغداً في مسلك الآداب والفضل رشيداً . صه فما بالك أصبحت غليظ الطبع لا تظهر شوقاً ، لا ولا تعرف توقاً ، لا ولا شمت بلحظيك سنا البرق اللموعي الذي أومض من جانب أطلال خليط عنك قد بان ، وقد عرّس في سفح ربي البان . )

ولنكتبه الآن بحسب وزنه بحيث تبرز القافية والتفعيلات بروزا طبيعياً .  
وسوف نشير إلى عدد التفعيلات في كل شطر بالرقم في آخره :

٤	أهل تعلم أم لا ان للحبّ لذاذات ؟
٥	وقد يعذر لا يعذل من فيه غراماً وجوى مات
٣	فذا مذهب أرباب الكمالات
٤	فدع عنك من اللوم زخاريف المقالات
٣	فكم قد هذب الحبّ بليداً
٤	فغداً في مسلك الآداب والفضل رشيداً
٥	صه فما بالك أصبحت غليظ الطبع لا تعرف شوقاً ؟
٢	لا ولا تظهر توقاً ؟
	لا ولا شمت بلحظيك سنا البرق اللموعي الذي
٩	أومض من جانب أطلال خليط عنك قد بان .
٣	وقد عرّس في سفح ربي البان .

من هذا نرى ان شطراً اذا تفعيلتين قد توسط بين شطر ذي خمس وآخر ذي تسع والرابط هو تفعيلة الهزج التي أشرنا إليها .

ولقد كان البند ولم يزل غامضاً كل الغموض في اذهان الشعراء والادباء والنقاد ، ولعل سبب ذلك يكمن في انه شكل من اشكال الشعر نشأ في

عصور متأخرة فلم يذكره عروض الخليل ولا عروض الذين تأخروا عنه .  
والواقع انه لم يذكر حتى في كتب العروض المتأخرة مع انها احصت اشكالا  
اقل منه طرافة واصالة مثل الزجل والمواليا ، وكان كان والقوما والدوييت .  
وكنت اؤمل - على الأقل - ان تشير كتب المعاصرين في العروض اليه ، وقد  
راجعت بضعة منها فخاب ظني ولم اجد فيه ولو اشارة الى هذا الاسلوب  
الشعري الطريف الذي اقام فيه الشاعر الوزن على اساس « التفعيلة » دون  
الشطر مخالفاً بذلك كل اساليب الوزن العربي السابقة . واحسب ان هؤلاء  
العروضيين المعاصرين الافاضل<sup>(١)</sup> ، مع تقديرنا لعلمهم وثنائنا على مجهودهم  
الطيب ، قد اخذوا الجذور الاساسية للعروض من الكتب القديمة ولم يروا  
داعياً الى ان يضيفوا فصولاً تدرس التطور الذي وقع في العصور المتأخرة .  
وقد يكون بينهم من لا يعرف البند اصلاً ، لانه فن شعري اقتصر عليه شعراء  
العراق ، وهذا عذر لا يشمل الرصافي . واما اذا كان هذا الاهمال مقصوداً ،  
تعمده المؤلفون الافاضل استهانة منهم بالبند ، فان ذلك لا ينبغي ان يعتقر لهم  
وهم نقاد عروضيون ذوو نظر . ذلك ان هذا البند قد لقي قبولا لدى كثير  
من الشعراء ، وذلك وحده ينبغي ان يكون كافياً لان يجعل من كتاب العروض  
الذي لا يدرسه كتاباً لا يستوفي مادته المفترضة ، فضلا عن كون البند لم يكن  
الا نمواً من بحور الشعر العربي يضيف اليها جديداً ولا يخرج عنها في شيء .

ولقد أدنى تغافل كتاب العروض قديماً وحديثاً ، عن البند الى ان يرقد  
تحت غبار الاهمال محوطاً بالابهام والشك ، لا يجروء ناقد على قبده او التحدث

(١) المؤلفون الذين راجعت كتبهم هم :

احمد الهاشمي في «ميزان الذهب»

معروف الرصافي في «الادب الرفيع» بغداد .

ممدوح حقي في «العروض الواضح» بيروت .

بدير متولي حميد في «ميزان الشعر» القاهرة .

محمود مصطفى في «الهدى سبيل الى علمي الخليل» القاهرة .

عنه ، وقد يتناول عليه جاهل بأنه نثر . وشاعت عنه في الدوائر الادبية الشائعات الضبابية التي لا يمكن ان نهدي عبرها الى حقيقة ثابتة له ، ومن ابرز هذه الشائعات قولهم بان البند ينتمي الى بحر الهزج :

مفاعيلن مفاعيلن

والواقع ان هذا حكم مغلوط وغلظه واضح كل الوضوح ، حسبنا لكي نردّ عليه ان نورد افتتاحية بند ابن الخلفة الذي اقتطفنا منه :

ايها اللائم في الحبّ ، دع اللوم عن الصبّ . . الخ  
فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

- فاذا كان وزن البند ، كل بند ، هو ( الهزج ) فلماذا كانت التفعيلات هنا ( فاعلاتن ) ؟ وهل تفعيلة الهزج الا ( مفاعيلن ) ؟ فإين هي اذن ؟

ومن الحق ان نقول ان الذين كتبوا عن البند قد اتبهبوا جميعا الى ان هذا الوزن ليس هو الهزج على الرغم من ان هناك في البند كلها اشطراً كثيرة من الهزج . وحيثهم ذلك فابتدعوا له تخريجاً غريباً في بابه فقالوا ان هذا الوزن هو الهزج بزيادة سبب خفيف في أوله كما يلي :

أي	يها اللاء	م في الحبّ	دع اللوم
مفاعيلن	مفاعيلن	مفاعيلن	مفاعيلن

وهذا شيء غير مسموع في العروض العربيّ ، فلسنا نعرف في الشعر حرفاً الا وهو داخل في وزن الشطر والبيت ، فبأي حق نفرد سبباً خفيفاً فلا نرتبه ؟ واذا كان في وزن البند زيادة غير موزونة فما سرّ الايقاع فيه اذن ؟ وعلى اي وجه تقبله الاذن العربية المرهفة ؟ والحق ان البند وزن حميل مرقص ، وهذا الجمال فيه لا يسكن ان يدلّ الا على شيء واحد هو ان كل حرف فيه جار على الوزن العربيّ ، دونما زيادة هنا او سبب خفيف هناك . وكل ما في الامر ان العروضيين والنقاد قد اخطأوا الحكم ، فليس الغلط في

البند وانما هو في مقاييسهم .

وحقيقة الأمر ان البند خلافا للشعر العربي كله يستعمل بحرين اثنين من بحور الشعر ، يجمع بينهما ويكرر الانتقال من احدهما الى الآخر عبر القصيدة كلها . والبحران الوحيدان المستعملان فيه هما الهزج والرمل . ونحسب ان تعسف النقاد في التماس التخريجات التي يمللون بها خروج البند عن الهزج يرجع ، في اساسه ، الى انهم يعتقدون استحالة الجمع بين بحرين من بحور الشعر في قصيدة متناسقة ، فكيف يصح ان تجتمع التفعيلة (فاعلاتن) مع التفعيلة (مفاعيلن) دون ان تتافرا ؟ والواقع انهما اجتماعان أجمل اجتماع اذا عرف الشاعر كيف يسيطر عليهما . والسراً في امكان ذلك ان بينهما علاقة خفية يمكن ان تبيينها بالتقطيع .

مفاعي لن      مفاعي لن      مفاعي لن      مفاعي لن  
لن مفاعي      لن مفاعي      لن مفاعي      لن مفاعي

ان ( ان مفاعي ) التي هي مقلوب ( مفاعيلن ) مساوية في حركاتها وسكناتها للتفعيلة ( فاعلاتن ) . ومثل ذلك كامن في ( فاعلاتن ) هذه ، فان مقلوبها ( فاعلاتن ) مساو ، في مسافاتهما ، لتفعيلة ( مفاعيلن ) .

وعلى ذلك فاننا اذا حللنا اي شطر من الرمل ( فاعلاتن فاعلاتن ) وجدناه يمكن ان يتحول الى الهزج بحذف سبب خفيف واحد من أوله . كما اننا نستطيع ان نحول اي شطر من الهزج ( مفاعيلن ) الى الرمل بان نزيد سببا في أوله . وهذه الخاصية هي التي لاحظها الخليل بن احمد حين رصّ الرمل والهزج في دائرة عروضية واحدة<sup>(1)</sup> . ولا شك عندنا في ان اول شاعر كتب البند كان على علم بهذه الخاصية العروضية ، ولقد كان فوق ذلك مرهف السمع ، مبدعا ، فعرف كيف يستطيع ان يجمع الرمل والهزج في قصيدة واحدة . وليس ذلك امراً هيناً كما قد يظن ، لان معرفة الصلة بين ( مفاعيلن ) و

(1) هي دائرة «المجتلب» ومنها الرجز ايضا .

(فاعلاتن) لا تكفي لابداع البند وانما ينبغي الى جانبها تحسس " مرهف  
للايقاع والوزن ، بحيث يدرك الشاعر الوسيلة الموسيقية الفذة التي يسكن بها  
ان تجتمع التفعيلتان دون ان يحس " القارىء بفرابة الانتقال . وسوف ندرس  
هذه الوسيلة فيما يلي :

ان الاشطر الاربعة الاولى مما اخترناه من بند ابن الخلفة كانت من بحر  
الهمز ذي التفعيلة (مفاعيلن)

مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن °

اهل تعلم ام لا أنّ للحب لذادات

وقد يعذر لا يعذل من فيه غراماً وجوى مات °

فذا مذهب أرباب الكمالات °

فدع عنك من اللوم زخاريف المقالات °

وفجأة ، بعد تواتر ( مفاعيلن ) في هذه الاشطر كلها دون شذوذ ، يأتينا  
شطر تشذّ تفعيلته الاخيرة فلا تكون ( مفاعيلن ° ) وانما ( فعولن ) قال .

فكم قد هذب الحب بليدا

مفاعيلن مفاعيلن فعولن

كيف حدث هذا ؟ ولماذا ؟ في الواقع ان الضرب ( فعولن ) وارد في  
تشكيلات بحر الهمز التي يذكرها العروضيون ، فالشاعر اذن ما زال جارياً  
على الهمز لم يخرج عنه . وانما تكمن المفاجأة الجميلة في ان ( فعولن ) هذه  
مساوية للمقطع ( علاتن ) الذي هو الجزء الاخير من تفعيلة الرمل (فاعلاتن) .  
فكان الشاعر قد جاءنا فجأة بتفعيلة يشترك في قبولها البحران كلاهما (الهمز)  
و (الرمل) . وكان ذلك خير تمهيد شعري " للانتقال من الهمز الى الرمل في  
الاشطر التالية :

فعدا في مسلك الآداب والفضل رشيدا

صه فما بالك اصبحت غليظ الطبع لا تعرف شوقا

لا ولا تظهر توقا •

فاعلاتن فاعلاتن

وقد كانت كل تفعيلة من هذه الاشطر هي (فاعلاتن) بلا شذوذ • ولكن،  
فجأة ايضا، وكما حدث سابقا في اشطر الهزج، يأتي الشاعر بشطر تشدّ  
تفعلته الاخيرة فلا تكون (فاعلاتن) وانما تصبح (فاعلاتان) قال، وهو  
شطر طويل ذو تسع تفعيلات كما مرّ (من الرمل) :-

لا ولا شمت بلحظيك سنا البرق اللموعي  
الذي أومض من جانب أطلال خليط عنك قد بان  
فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتان

وثانية نسأل أنفسنا كيف حدث هذا؟ ولماذا؟ كانت الاشطر كلها موحدة  
التفعيلة (فاعلاتن) لا تخرج عليها فجاء الشاعر فجأة بـ «فاعلاتان» هذه؟  
لو رجعنا الى كتب العروض لوجدنا ان الضرب (فاعلاتان) وارد في تفعيلات  
بحر الرمل • فالشاعر اذن لم يخرج على الرمل • وانما جاء بهذه التفعيلة لان  
جزءها (فاعلاتان) مساو تماما لتفعيلة الهزج (مفاعيل°) • وبهذا اورد الشاعر  
تفعيلة يشترك فيها الرمل والهزج معا وبذلك مهد السبيل للانتقال ثانية من  
الرمل الى الهزج فقال فجأة:

مفاعيلن مفاعيلن  
وقد عرس في سفح ربي البان

### ٩) قياس العروضي للبند

من ذلك كله، يبدو لي، ان القاعدة العروضية للبند هي انه شعر حرّ  
تنوع أطوال أشطره ويرتكز الى دائرة (المجتلب) مستعملا منها الرمل والهزج  
معا • وهذه فيما يلي، خطة عامة للتفعيلات في البند، تثبتها مساعدة لمن يرغب

في نظم البند من القرآء :

مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن<sup>٢</sup>  
مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن  
مفاعيلن مفاعيلن<sup>٢</sup>  
مفاعيلن مفاعيلن فعولن

•  
فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن  
فاعلاتن فاعلاتن  
فاعلاتن  
فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

•  
مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن  
مفاعيلن مفاعيلن  
مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن  
مفاعيلن فعولن

•  
فاعلاتن فاعلاتن  
فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن  
فاعلاتن فاعلاتن

•  
مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن  
مفاعيلن مفاعيلن ( الخ )

من هذه الخطة ، يتجلى مدى المهارة والدقة في نسج البند ، ويبدو لنا مدى الخطأ الذي يقع فيه اولئك الذين يحسبونه تراثاً لا موسيقى له ، ولا جهد فيه . وانا لنعتقد ان الشاعر الذي اخترع البند اول مرة من دونما نموذج ينهج عليه لا بد ان يكون قد مارس نظم الشعر خيراً ممارسة بحيث تفتحت له هذه الالتفاتة الرائعة الى العلاقة بين الرمل والهزج . ولسنا نقصد بهذا علاقة البحور داخل دائرة ( المجتلب ) ، فان دوائر البحور قد انكشفت منذ الخليل ، وانا نريد مسألة الشهيد من بحر لبحر بقافية معينة لها خصائص موسيقية تجعلها تبعث في الذهن امواج البحر الثاني . واكاد اكون على يقين من ان الشاعر الذي بدأ البند لم يكن يصل الى القوافي الممهدة بحسب نموذج عروضي واع وضعه لنفسه ، وانا كان يكتب باندفاع سلقني متحسناً فذلك هو السبيل الحق في كل اكتشاف شعري أصيل . وانا يأتي العروضيون بعد ذلك ، فيجدون النموذج مكتسلاً بين ايديهم فلا يزيدون على استخلاص المقياس منه . وذلك ما صنعنا في هذا الفصل .

ولقد ادى التعقيد في خطة الوزن التي يتبعها البند الى شيء من الصعوبة في نظمه ، فكثر الغلط فيه الى درجة اننا قلنا نجد بنداً مطبوعاً يخلو من الغلط . يغلط الناظم من جهة ، ويغلط الناسخ من جهة اخرى ، ويغلط الطابع من جهة ثالثة . واحياناً ينبري شعراء الى نشر بند ما فينشرونه مغلوطين دون ان يشخصوا مواضع الخطأ فيه . وزاد في خلط الشعراء ان كتب العروض لم تدرس البند، مع انها درست اشكالا اقل منه قيمة شعرية ، فلم يجد الشاعر الذي يكتبه قانوناً عروضياً يستند اليه . والواقع ان بحثنا هذا اول محاولة لاستقراء مقياس عروضي للبند ، فان كانت ناجحة ، كما نرجو لها ، اثبتناها فصلاً في العروض العربي .

وكان من نتائج الضباب القائم الذي احاط بوزن البند في اذهان الادباء

والناظمين ، أن كثيرا من الذين مارسوا نظمه ، لم يعرفوا الأساس فيه ، فظنوه شعرا من بحر الهزج لا يتخطاه ، ويكتب على اسطر متتالية كما يكتب النثر . وحزرا غير قليل من الشعراء ان الهزج يتحول الى الرمل احيانا ، غير انهم لم ينتبهوا الى ضرورة التمهيد للانتقال ، وحسبوا ان ذلك يمكن ان يتم بقفزة من الهزج الى الرمل وبالعكس ، دون ان يفتنوا الى ان هناك خطة محكمة للوزن يتبعها البند ، وبها يصل الى تلك الموسيقى العذبة التي يمتلكها ومن هؤلاء الشعراء طائفة لم تلاحظ على الاطلاق ان البند يقوم على اساس « التفعيلة » ، وان ذلك فيه هو الذي يبرر تنوع اطوال الاشطر ، وهي الميزة التي اقتصرت بها دون الشعر العربي السابق كله . وكان من هؤلاء ناظمون يكتبون بندا ذا اشطر متساوية الطول تمام التساوي ، تكسبه اشطره الرتيبة املا وثقلا . هذا نموذج لناظم اسمه الشيخ حسين العشاري<sup>(١)</sup>

فعدا في رمضان الخير كالغيث المريع  
فرعينا في شتاء الجذب أزهار الريح

كم اياد وعطايا رشف الناس لها  
ومزايا وسجايا حسد العرش سماها

فادام الله ذخره واعز الله سعده  
واطال الرب عمره وادام الحق مجده

(١) مجلة اليقين . بغداد . الجزء الخامس . السنة الاولى ص ١٤٤ - وفي اعداد المجلة أيضا بند محمد بن الخليفة الحلبي الذي تحدثنا عنه .

مدى الايام والدهر وما درّ لنا الرزق  
وما انهلّ لنا القطر وما بان لنا الفجر

وما عاد لنا العيد وعنا رحل الصوم  
وما اشرفت اليد بنور السادة القوم

هل في هذا شيء، من خصائص البند؟ انما هذا شعر ذو شطرين متساويين  
تساهل الشاعر في قوافيه، وسكح نفسه، بلا اي مبرّر، ان يقفز من بحر  
الرملة الى بحر الهزج، فكانت القفزة صدمة للاذن الشعرية لانها لم تجيء  
مقبولة، ولم يهد لها شيء.

وخلاصة الموضوع ان على الناظم الذي يتصدى للبند ان يتذكر ان له  
خاصتين واضحتين لا بد من توافرها فيه :

١ - انه شعر" ذو اشطر غير متساوية الطول . وكلما كان تنوع الاطوال  
اوضح كان البند اكثر موسيقية واصالة .

٢ - انه شعر" ذو وزنين هما الرمل والهزج ، يتداخلان تداخلا فنيا مستندا  
الى قواعد العروض العربيّ، فلا تختتم اشطر الرمل الا بالضرب  
(فاعلاتان) الذي يهد لبحر الهزج فيصح ان يليه . وعندما يبدأ الهزج  
يستمر الشاعر عليه حتى يورد في آخر أحد الاشطر الضرب (فعولن)  
الذي يهد لبحر الرمل فيصح ان يعود ثانية . وهكذا .

واذا اختلف ايّ من هذين الشطين كانت النتيجة نظما آخر لا صلة له  
بالبند، سواء اكتبناه على اسطر كالنثر، ام اقردنا له فراغا كافيا كما فعلنا في  
« ابيات » حسين العشاري .

## البند والشعر الحر

لا ريب في أن الشعر الحرّ اقرب في خطة وزنه الى البند منه الى اسلوب الشطرين ، ذلك انهما كليهما يقومان على اساس « التفعيلة » لا « الشطر » وتباح في كل منهما الحرية في عدد التفعيلات فيجاء الشطر طويلا او قصيرا بحسب رغبة الشاعر وحلية معانيه .

على ان الشعر الحرّ اسهل من البند في خطته وذلك لانه يقوم على بحر واحد من البحور الثمانية التي تصلح له ، فيختار الشاعر احد هذه البحور ويكتب منه القصيدة مقتصرا على تشكيلة واحدة منه لا يتخطاها شأنه في ذلك شأن الشاعر العربي في اسلوب الشطرين . مثال ذلك ان شاعر الشعر الحرّ لا يستطيع ان يجمع بين التشكيلتين التاليتين مثلا :

مفاعيلن مفاعيلن

مفاعيلن فعولن

وذلك لما سبق ان لاحظناه من ان العرب لم يجمعوا تشكيلتين في قصيدة واحدة . وانما نجد قصائد تنفرد باحدى التشكيلتين هذه او تلك .

واما في البند فان هاتين التشكيلتين تجتمعان وليس في اجتماعهما محدود كما رأينا في النموذج الذي درسناه ، ثم ان اجتماع بحرین اثنين من بحور الشعر ليس مستساغا في البند وحسب ، وانما هو مطلوب وهو السرّ في حلاوة البند وموسيقيته . وذلك هو الفرق الوحيد بين الشعر الحرّ والبند ، وهو فرق لا يطفى على أوجه الشبه التي ذكرناها .

والحقيقة ان الشبه بين الشعر الحرّ والبند يبلغ من القوة الى درجة ان بعض الناشئين من الشعراء يخلطون بينهما دون ان يدروا ، ومنهم نذير عطية الذي قرأ له هذه الاشطر على انها من الشعر الحرّ :

قد عرفت الآن بوزيد عرفت الصيد والكهف

ولم كان اذا ما كحل العينين بازي الليل بوزيد

واما يرمّ الشارب بوزيد°  
انا عنترة الحي°  
هلموا أيها الابطال ان الصيد بالنار ضئيل  
لم تقاسمنا أبو زيد حجلا (١)°

ان هذا ، دون ان يدري الناظم ، بند . غير انه بند ضعيف تنقصه  
الموسيقى ، وله وقع ثريّ رغم وزنه الظاهر . وعيب الوزن فيه ان الشاعر  
اورد الضرب (فاعلاتان) في الشطر الاول دون ان يورد بعده بحر الهزج كما  
ينبغي في البند ، وانما عاد فكرر بعده بحر الرمل وختمه ايضا بـ (فاعلاتان)  
وهنا انتقل الى الهزج كما ينبغي له . اما فيما عدا هذا فان وزن البند جار ،  
وقد جاءت (فعولن) في ضرب الهزج في الشطر الخامس وانتقل بعدها الناظم  
الى الرمل .

ومن المؤلف ان ناظم هذا الشعر لا يدري انه يكتب بندا لا شعرا حرّا ،  
فلعله لو درى لكان يعود الى قراءة بعض البنود الجميلة الحافلة بالنغم ، وبذلك  
ينقذ نفسه وينقذ القارىء من هذه النثرية المملة التي غلبت على قصيدته هذه  
— وعلى سائر شعره الحرّ — والواقع ان اغلب الشعر الحرّ الذي يكتبونه  
يبدو رتيبا مملّ الوقع وكان الموسيقى قد اصبحت صفة يفر منها الشاعر  
الجديد ، بدلا من ان يلتصقها ويحشد لها قواه الشعرية بكاملها . .

(١) قصيدة «الفانوس» لتذير عظمة . مجلة شعر . بيروت . العدد التاسع  
شباط ١٩٥٩ .

## الفصل الثاني

### قصيدة النثر

شاعت في الجو الادبي في لبنان بدعة غريبة في السنوات العشر الماضية ، فأصبحت بعض المطابع تصدر كتباً تضم بين دفتها نثراً طبعياً مثل أي نثر آخر، غير أنها تكتب على أغلفتها كلمة ( شعر ) . ويفتح القارئ تلك الكتب متوهماً أنه سيجد فيها قصائد مثل القصائد ، فيها الوزن والإيقاع والقافية ، غير أنه لا يجد من ذلك شيئاً وإنما يطالع في الكتاب نثر اعتيادي مما يقرأ في كتب النثر . وسرعان ما يلاحظ أن الكتاب خلواً من أي أثر للشعر ، فليس فيه لا بيت ولا شطر ، واذن فلماذا كتبوا على الغلاف أنه شعر ؟ تراهم يجهلون حدود الشعر ؟ أم أنهم يحدثون بدعة لا مسوغ لها ؟ وإذا كانوا يملكون المسوغ فلماذا لا يصدرون كتب النثر هذه بفدلكة يبينون فيها للقارئ الوجه الذي ساغ لهم

به ان يصدروا كتاب ثر لا يختلف اثنان في انه ثر ثم يكتبون عليه انه «شعر»؟ لماذا لا ينحون القارئ ، على الاقل ، فرصة يتخذ فيها موقفا من هذه البدعة فأما ان يرى وجه تسويقاتهم فيقرهم عليها او ان يخالفهم فيرفضها ؟ وانما الخطأ ان يمضي المرء فيسمى النشر شعرا دون اي تبرير وكأن ذلك أمر بديهي يتفق الناس كلهم عليه منذ أقدم العصور .

والحقيقة التي يعرفها المختصون والمتتبعون ، أن طائفة من أدباء لبنان يدعون اليوم الى تسمية النشر شعرا . وقد تبنت مجلة ( شعر ) هذه الدعوة الريكية الفارغة من المعنى ، وحدثت حولها ضجيجا مستمرا لم تكن فيه مصلحة لا للادب العربي ولا للغة العربية ولا للامة العربية نفسها . وكان مضمون هذه الدعوة ما جاء في مقال كتبه السيدة الاديبة خزامي صبري عن كتاب ثر فيه تأملات وخواطر لاديب لبناني ناشئ . قالت عن ذلك الكتاب :

(مجموعة شعرية لم تعتمد الوزن والقافية التقليديتين . وغالبية القراء في البلاد العربية لا تسمي ما جاء في هذه المجموعة شعرا باللفظ الصريح . ولكنها تدور حول الاسم فتقول انه ( شعر منشور ) او ( ثر فني ) وهي مع ذلك تعجب به وتقبل على قراءته ، ليس على اساس انه ثر يعالج موضوعات او يروي قصة او حديثا ، بل على اساس انه مادة شعرية . لكنها ترفض ان تمنحه اسم الشعر

وهذا طبيعي ، من وجهة نظر تاريخية ، بالنسبة للقراء العاديين . اما النقد فيجب ان يكون اكثر جرأة - أن يسمي الاشياء بأسمائها الحقيقية . وانا اعتبر هذا « النشر الشعري » شعرا . ( ١ )

وقبل ان نلخص مضمون كلام الكاتبة نحب ان نشتط للقراء نموذجاً من

(١) الكتاب المقصود هو كتاب (حزن في ضوء القمر) للاديب محمد الماغوط وفيه نشر اعتيادي لا اثر فيه للوزن او القافية . وقد نشر تعليق خزامي صبري في مجلة شعر . بيروت . العدد ١١ صيف ١٩٥٩ .

خواطر محمد الماغوط مؤلف الكتاب الذي تتحدث عنه ، ليلاحظ القارئ انه نثر طبيعي كالنثر ، على الرغم من أن كاتبه ينشره على اسطر كما لو انه كان شعرا حرا . ولسوف نكتب هذا النثر كما ينبغي ان يكتب النثر ، راجين ان يعذرنا كاتبه . قال الكاتب ( وهو يملك ذوقا ادبيا جيلا واصالة تسيء اليها الروح الاوروبية المصطنعة التي يدخلها قسرا على عباراته وخواتمه ) قال من خاطرة سماها ( المسافر ) :

( بلا أمل . بقلبي الذي يخفق كوردة حمراء صغيرة ، سأودع اشيائي الحزينة في ليلة ما : بقع الحبر وآثار الخمرة الباردة على المشمع اللزج ، وصمت الشهور الطويلة . والناموس الذي يمص دمي هي اشيائي الحزينة ، وسأرحل عنها بعيدا بعيدا ، وراء المدينة الفارقة في مجاري السل والدخان بعيدا عن المرأة العاهرة التي تغسل ثيابي بماء النهر وآلاف العيون في الظلمة تحديق في ساقها الهزيلين ، وسعالها البارد يأتي ذليلا يأتسا عبر النافذة المحطمة . والزقاق الملتوي كحبل من جثث العبيد ) .

على هذا النمط جرت الخواطر في هذا الكتاب ، فيها صورة غريبة وتخير للالفاظ وتلوين ، غير انها مكتوبة نثرا اعتياديا كالنثر في كل مكان وزمان . ولذلك يلوح غريبا ان دار مجلة شعر التي طبعت الكتاب قد اباحت لنفسها ان تضع عنوان الكتاب على غلافه بهذا الشكل :

حزن في ضوء القمر

شعر

وكان تسمية النثر شعرا مسألة بديهية مفروغ منها . ولعله لا يخفى على اصحاب الدار ان مئات القراء لا يملكون حاسة الوزن ليدركوا ان هذا نثر لا شعر حر ، ومن ثم فقد كان عليها - على الاقل - ان تصدر الكتاب بمقدمة

تضع فيها تبريرا يسوغ تسمية النثر شعرا ، فان ذلك يمنح القارىء حريته ،  
فأما ان يقبل او ان يرفض .  
ومهما يكن من امر فان كلام خزامى صبرى الذي اقتطفناه يتضمن : في  
مفهوم النقد الموضوعي ، الحقائق التالية :

(أولا) تميز خزامى صبرى بين شيئين هما :

أ - الوزن التقليدي وهو الوزن مطلقا .

ب - الوزن غير التقليدي وهو النثر .

(ثانيا) تقول خزامى صبرى ان الشعر شيء لا صلة له بالوزن والقافية .  
وانما الوزن صفة عارضة يمكن ان يقوم الشعر من دونها ، ولذلك يتحدث  
اصحاب هذه الدعوة باحتقار عن الشعر (الموزون)<sup>(١)</sup> وبذلك لا يكتفون برفع  
النثر الى جوار الشعر ومساواته به وانما يزيدون فيزدرون الموزون ويعطون  
لنثرهم الفضل كله . قال احد دعاة هذه الفكرة الهجين : (٢)

( ولذلك فان شعر توفيق صائغ لا يخسر شيئا بأطراحه شكل القصيدة  
التقليدي ، بل يحقق الطريقة الوحيدة التي تمكنه من قضيته ) . (٣)

هذه هي خلاصة دعوة مجلة ( شعر ) وهي تصدر في بيروت بلغة عربية  
وروح اوروية . وقد دعت اليها في عنف وآثارت حولها ضجيجا متصلا خلال  
السنين الماضية ، وتطرف حاملو الدعوة الى أن المستقبل الاوحد انما هو لهذا  
( الوزن غير التقليدي ) كما يسمونه ، او ( الوزن غير الموزون ) كما اقترحت

(١) اعتذر الى القارىء عن قولى «شعر موزون» فليس هناك في رايى شعر  
الا وهو موزون وانما اتحدث بلغة البدعة .

(٢) هو جبرا ابراهيم جبرا ، مجلة شعر العدد ١٥ .

(٣) يشير جبرا ابراهيم جبرا بهذا الى كتاب عنوانه «في جب الاسود» وهو  
كتاب نثر وبلاخط ان توفيق صائغ مؤلف هذا الكتاب لم يكتب في  
حياته بيت شعر واحدا فيما اعلم . ان كل ما يكتبه نثر مثل النثر . فلا  
ندري كيف يرضى جبرا ابراهيم جبرا ان يسميه «شعرا» .

عليهم ، على سبيل الدعاية ، ان يسموه . كُتبت مجلة « شعر » ان شعراء معروفين يذهبون الى « أن المستقبل انما هو لهذا الشعر الحديث الذي يتعد في شكله ومضمونه عن الفترة السابقة وما قبلها » (1) وكتب جبرا ابراهيم جبرا ان السنين القادمة « ستري ولا شك تغلب الشعر الحر » . ولنلاحظ انه اخذ ، دون مبالاة ، اصطلاحنا ( الشعر الحر ) الذي هو عنوان حركة عروضية تستند الى بحور الشعر العربي وتفعيلاتها ، اخذ اصطلاحنا هذا والصقه بشر اعتيادي له كل صفات النثر المثق عليها ، وليس فيه أي شيء يخرج عن النثر في المصطلح العربي . وليته على الاقل ترك اصطلاحنا ووضع غيره حرصا على وضوح الاصطلاحات في اذهان جماهيرنا العربية المتعطشة للمعرفة . وانما سمينا شعرنا الجديد ( بالشعر الحر ) لاننا قصد كل كلمة في هذا الاصطلاح فهو ( شعر ) لانه موزون يخضع لعروض الخليل ويجري على ثمانية من اوزانه ، وهو ( حر ) لانه ينوع عدد تفعيلات الحشو في الشطر ، خالصا من قيود العدد الثابت في شطر الخليل . فعلى اي وجه تريد دعوة النثر ان تسمى النثر شعرا ؟ وما هذه القوضى في المصطلح والتفكير لدى الجيل الذي يقلد اوروبا في كل شيء تاركا تراث العرب الغني المكتنز ؟

ان المضمون الواضح لهذه الحماسة من اصحاب الدعوة هو ان النثر سائر ، في رأيهم ، الى ان يقتل الشعر ، وان دولة الوزن ستدول فيكتب شعراء الامة العربية ثرا وتنتهي من الوزن . وهكذا يذهب هؤلاء المتحمسون الخياليون الى ان الشعر شيء عتيق ينبغي أن يزول ويحل محله النثر ، على أن . . . اتبه ايها القارئ ، فانهم يشترطون شروطا - على ان يحتفظوا بالكلمات ( شعر ) و ( شاعر ) و ( وزن ) لانهم يرويدونها لتسمية النثر والنثر وما يكتب . وهذا يبدو لنا من أعجب المفارقات ، والحق يقال .

والاساس النفسي في هذه الدعوة ان هؤلاء الكتاب الافاضل ، الذين

يحسنون ابداع نثر جميل احيانا ، يزدرون ما يمتلكون من موهبة وينظلمون الى ما لا يملكون . انهم ، باختصار ، لا يحترمون النثر ، وذلك هو اساس الاشكال الذي وقعوا فيه . انهم مهما ابدعوا من صور وافكار في قالب نثري ، يصون انهم ما زالوا اقل ابداعا من شاعر يخلق هذا الجمال نفسه ، ولكن بكلام موزون . ولذلك تراهم يعبرون عن ازدرائهم لموهبتهم باطلاق كلمة ( شعر ) على ما يكتبون وكانوا في السنين الخالية يقولون ( شعر منشور ) مشيرين بكلمة ( منشور ) على الاقل الى انه ( نثر ) فأصبحوا اليوم من الاستهانة بالمقاييس الموضوعية ، بحيث يجروؤون على ان يسموه شعرا على الاطلاق . لا بل انهم اصبحوا يحتقرون الشعر ويسمونه ( تقليديا ) لكي يجعلوا الابداع والتجديد قاصرا على نثرهم المبتكر ، فهو الشعر الاوحد برغم المقاييس كلها .

ولعله واضح ان دواء هذا الاشكال ان يتلك هؤلاء الكتاب الثقة بالنثر . فمن قال لهم ان النثر ضيق او انه لا يمنح قائله صفة الابداع ؟ ولماذا يحسبون ان نثرهم لا يكتسب الاعجاب الا اذا هو مسخ ذاته وسمى نفسه ( شعرا ) ؟ ولنفرض اننا وافقناهم وسمينا نثرهم شعرا ، فهل ترى الاسم يغير من حقيقته شيئا ؟ او يزيده تغيير الاسم شرفا او جمالا ؟

والذي يعرفه الملايين ان كثيرين من كتاب العربية قد كتبوا النثر «الشعري» ولنا في العصر الحديث منهم طائفة مرموقة مثل اديب العربية الفذ مصطفى صادق الرافعي والكاتب المراهف جبران خليل جبران وغيرهما كثير ، وليس ينقص من قيمة ما كتبوا انه نثر لا شعر . ولقد كانوا يسمون نثرهم نثرا دون ان يسيئوا اليه في شيء . وبعد فهل أجمل من القرآن في اللغة العربية؟ والقرآن نثر لا شعر ، وفيه ، مع ذلك ، كل ما في الشعر من ايحائية وخيال وثاب وصور معبرة والفاظ مختارة اختيارا معجزا ، فهل ينقص من قيمة القرآن الجمالية انه نثر لا شعر ؟ وأي شعر في الدنيا أروع وأحب من هذا النثر القرآني المسكر ؟

وخلاصة الرأي أن للنثر قيمته الذاتية التي تميز عن قيمة الشعر ، ولا

يعني نثر عن شعر ولا شعر عن نثر ، لكل حقيقته ومعناه ومكانه . فلماذا جاء هذا الناثر المعاصر ليزدري النثر ويحاول رفعه بتسميته شعرا ؟ هذا هو السؤال . ونحن نوجهه الى انصار هذه الدعوة لعل له عندهم ، من جواب .

وخلال ذلك ، نحب أن تفرغ لمناقشة هذه الدعوة وسوف تكون مناقشتنا في اتجاهين : احدهما على اساس اللغة والآخر على اساس النقد الادبي .

### المنافشة اللغوية

تقع دعوة « قصيدة النثر » في خطأ كبير هو أنها تطلق كلمة ( شعر ) على الشعر والنثر معا ، فاذا كتب قصيدة من البحر المنسرح ذات شطرين وقافية موحدة ، كانت لديهم شعرا ، واذا كتب ناثر فقرة ثرية خالية من الوزن والقافية تمام الخلو كان ذلك ، في حسابهم ، شعرا ايضا . فلا فرق اذن بين الشعر والنثر لانهما كليهما يسميان في عرفهم شعرا ، وعلى هذا يكون كتاب الرافعي ( رسائل الاحزان ) شعرا مثل معلقة امرئ القيس تماما ، لا فرق بينهما . وما ذلك الا لان الدعوة لا تؤمن بوجود صلة بين الوزن والشعر فالكلام يكون شعرا سواء اكان موزونا أم لم يكن . لا بل ان النثر - لديهم - أكثر شعرية من الشعر ، لان وزن الشعر تقليدي كما سبق ان رأينا من احكام خزامى صبرى وجبرا ابراهيم جبرا .

وهكذا نجد انصار هذه الدعوة يلفون الفرق بين الموزون وغير الموزون الغاء تاما ، ومن ثم يحق لنا ان نسألهم : لماذا اذن ميزت لغات العالم كلها بين الشعر والنثر؟ وما الفرق بين الشعر والنثر ان لم يكن الوزن هو العنصر المميز؟

ان هذا يسوقنا الى ان نرجع بأذهانتنا الى الاصل الفكري للتسميات اللغوية . وسوف نلاحظ ان التسمية تقصد في الاصل تشخيص نواحي الخلاف بين الاشياء لا نواحي الشبه . فاذا قلنا « الليل والنهار » او « الشعر والنثر »

فان أحد الاسمين في كل فريق يشخص الناحية الكبرى التي يختلف بها عن  
قرينه . ان الليل والنهار يتشابهان في انهما كليهما يحتويان ، في المتوسط ، على  
اثنتي عشرة ساعة ، كما ان الشعر والنثر يتشابهان في ان كلا منهما يحترق على  
عواطف انسانية وصور معبرة في المتوسط . غير أن قولنا الليل والنهار لا يشير  
في اذهانتنا مسألة عدد الساعات هذه كما أن قولنا الشعر والنثر لا يشير لدينا  
مسألة المحتوى العاطفي والجمالي ، وانما تشخص التسميات الاربع خصائص  
أكبر من هذه وأوضح ، تشخص الغلام في الليل والضياء في النهار ، كما  
تشخص الوزن في الشعر وعدم الوزن في النثر . ومن ثم فاذا نحن سمينا كل  
كلام شعرا بعزل عن فكرة الوزن ، فسوف نكون كمن يسمي الحياة كلها نهارا  
سواء أكان فيها ضياء أم لا . وانه لو اوضح انها تسمية مفتعلة . ان الليل ليل ،  
والنثر نثر . وواجبنا نحو اللغة والذهن الانساني ان نسميها ليلا ونثرا دون  
ان نتحل لهما تسميات مضللة لا تشخص شيئا . وما الذي نستفيد من تسمية  
النثر شعرا والليل نهارا يا ترى ؟ او ليس تشخيص الفروق احسن من ذلك  
واجدى ؟

ان اللغة ، التي هي محصول الذهن الانساني عبر عشرات القرون ، لا  
تضع الاسماء اعتباطا ولا عبثا ، وانما هناك مفهوم فلسفي عام يكمن وراء كل  
تعريف وتسمية ، في كل لغة . تحاول اللغة ان تشخص الملامح البارزة وترمي  
بذلك الى تصنيف الاشياء تصنيفا سهل على العقل مهمة التفكير ، ويعطي  
الانسانية مجالا للتعبير عن منطقتها وفكرها . فما نكاد نلفظ كلمة النهار في اية  
لغة حتى يشرق الضوء في الذهن الانساني وتبسط فكرة النور ، وما نكاد  
نلفظ كلمة الشعر حتى ترن في ذاكرة البشرية موسيقى الالوزان وقرقعة التفعيلات  
ورنين القوافي . واليوم جاءوا في عالمنا العربي ليلعبوا لا بالشعر وحسب وانما  
باللغة ايضا وبالفكر الانساني نفسه . ومنذ اليوم ينبغي لنا ، على رأيهم ، ان  
نسمي النثر شعرا والليل نهارا لمجرد هوى طارىء في قلوب بعض أبناء الجيل  
الحائرين الذين لا يعرفون ما يفعلون بانفسهم .

ولست اظنني ابالغ حين احكم بأن هذه المحاولة تكاد تكون تحقيرا للذهن الانساني الذي يجب بطبعه تصنيف الاشياء وترتيبها . فاذا اطلقنا اسما واحدا على شيئين مختلفين تمام الاختلاف فما وظيفة الذهن الانساني ؟ واذن فلماذا لا نرتد الى فترات الجاهلية اللغوية ، يوم لم تكن هناك اسماء للاصناف؟ وانما التصنيف وتسمية الاصناف تناج الحياة الفكرية للامم ، كلما كانت الامة اعرق في الفكر والحضارة ، كانت تفاصيل التسميات أكثر وأدق . وعلى هذا لا تكون تسمية النثر شعرا أكثر من نكسة فكرية وحضارية يرجع بها الفكر العربي الى الوراء قرونا كثيرة .

ولا يقف الامر عند هذا الحد وحسب ، وانما نجد له جذورا تنس الجانب الاجتماعي للغة . فلعلنا نستطيع ان نلاحظ كلنا ان تسميتنا للنثر « شعرا » هي ، في حقيقة الامر ، كذبة لها كل ما للكذب من زيف وشناعة ، وعليها ان تجابه كل ما يجابهه الكذب من نتائج . والكذبة اللغوية لا تختلف عن الكذبة الاخلاقية الا في المظهر . ان كل كذبة سائرة الى ان تكشف امام عيون الطبيعة الصادقة التي لا تنطق الا بالحق وبلاستقامة . واللغة الانسانية ، كل لغة ، هي الصدق في أسمى معانيه واسماها . انها واقعية لانها تسمى الاشياء بأسمائها الحققة ، فلا تخون ولا تكذب ولا تزيف . وهكذا نجد الكرسي يسمى كرسي لان هذا الاسم يعطينا صفته في الاحوال كلها ولا يكذبنا قط . والنثر يسمى في اللغة نثرا لان اسمه هذا يعطينا صفة النثر ، كما أن الشعر يسمى شعرا ليعطينا صفة الشعر . وهذا الصدق المطلق في اللغة يكسبها ثقنا واجلالنا . وهو ، ايضا ، يحينا نحن الذين نتكلم هذه اللغة من أن نكذب، فنحن نشدها لينا ونلوذ بصدقها في ساعات الضيق . فاذا هوجم شاعر بانه يكتب نثرا لا شعرا ، وجد أمامه هذه اللغة الصادقة ذات التعابير المحددة الصريحة المستعدة لحمايته فيلوذ بها ويقول لمن يتهمه ان اتاجه شعر لا نثر . وهو في هذه الحالة يستعمل رصيد « الشعرية » الذي تملكه لفظة ( شعر ) في اذهان الناس . وهم ينسبون الى ما يكتب كل صفات الشعر فورا بمجرد ان يقول لهم ذلك .

والحق ان لغتنا العربية لن تحيينا بعد اليوم . ذلك ان هنالك اليوم اناسا يكتبون النثر ويسمونهم ، في جرأة عجيبة ، شعرا ، حتى فقدت كلمة شعر صراحتها ونصاعتها . ولسوف يتشكك الجمهور في أي شعر تقدمه له باسم ( الشعر ) لان لفظ شعر قد تبيل معناه واختلط وضاع . والواقع ان هذا الكذبة ، وكل كذبة مثلها ، خيانة للغة العربية والمغرب انفسهم بالتالي . ان اللغة التي يستعملها اناس غير صادقين سرعان ما تلوث بالكذب وتفسد . وعندما تكشف الحياة ، او الضمير اللغوي العام الكامن في النفس البشرية - ان كلمة ( شاعر ) قد اصبحت نعتا للناثر ، فانها ستضطر الى الشك في كلمة ( شاعر ) وكلمة ( شعر ) . فمهما أكد الناس انهم يكتبون شعرا فلن يصدقهم احد قبل الثبوت الاكيد .

وما معنى هذه النتيجة ؟ معناها اننا لن نزيد على ان نخسر كلمة مهمة من كلمات اللغة فتموت كلمة ( شعر ) . ومن الطبيعي الا يعني ذلك ان الشعر نفسه سيموت . فلو زالت الكلمة من القاموس العربي لبقى الناس ينظفون الشعر مع ذلك . فانما اللغة رموز تذهب وتجيء . واما الحقائق التي تكمن وراء تلك الرموز فانها لا تموت على الاطلاق . ان الحقيقة لا تزيف مهما تلاعبنا باسمها . بلى نستطيع ان نزيّف كلمة ناصعة بأن نطلقها على ما لا تمثله في الاصل ، ولكننا بذلك سنقتل الكلمة نفسها ، وأما الحقيقة فسوف تبقى ناصعة . وسرعان ما ستجد تلك الحقيقة لنفسها اسما آخر جديدا فيه النصاعة اللازمة . وبهذا تخلد الحقيقة وتسقط الكلمة .

ولسوف يجد دعاة « قصيدة النثر » انفسهم حيث بدأوا ، فلقد استحال معنى كلمة ( شعر ) الى التعبير عن النثر كما أرادوا ، غير ان الشعر وجد لنفسه اسما آخر صادقا ينص على الوزن الذي حاولوا قتله . ولسوف يبقى الناثرون حيث كانوا مع الناثرين .

## المنافشة على اساس النقد الادبي

يبدو لنا ان دعوة النثر ، في احكامها على الشعر ، تستند الى تعريف له يضع الالاحاح كله على المحتوى او (المضمون) . فالشعر ، في نظر اصحاب هذه الدعوة ليس الا معاني من صنف معين ، فيها خيال وعاطفة وصور ، وسواء بعد ذلك ان يكون موزونا او غير موزون ، لان الوزن ، في رأيهم ، ليس شرطا في الشعر . وعلى هذا الاساس يكون للشعر في نظرهم عنصر واحد هو المضمون . فاذا اردنا ان نستخلص للشعر تعريفا مشتقا من آرائهم هذه قلنا انه « تجمع معان جميلة موحية فيها الاحساس والصور » .

ومن الواضح ان مفهومهم هذا للشعر يقف في الطريق الاقصى المواجه للتعريف العربي القديم الذي كان يحدد الشعر بانه « الكلام الموزون المقفى » وهو تعريف يجعل الوزن الاساس الاعظم للشعر دون اعتراف بالمضمون . والحقيقة ان كلا التعريفين قاصر ناقص : التعريف الجديد يهمل الشكل والتعريف القديم يهمل المضمون . فكان هؤلاء المعاصرين ارادوا تصحيح مفهوم مغلوط قديم فوقعوا في مفهوم مغلوط جديد . ولا يخفى علينا ان غلط التعريف الجديد اشد واكبر من غلط تعريف اسلافنا .

واما اذا اردنا ان نرجع الى صوت الواقع في افسنا ، وان نحكم عقولنا فلسوف تنتهي الى أن للشعر ركنين ضروريين لا بد منهما في كل شعر وهما :

١ - النظم الجيد ( الشكل ) او ( الوزن ) .

٢ - المحتوى الجميل الموحى ، المتسوج بالظلال الخافتة والاشعاع الغامض الذي تنتشي له النفس دون ان تشخص سر النشوة .

وانه لمن المؤسف ان كلمة « نظم » قد اصبحت تزدرى في عصرنا وكأنها اهانة يسب بها الشاعر . ذلك انها كلمة جلية ، لا بد لكل شاعر من ان يملك ناصيتها . ذلك ان الشاعر المبدع لا بد ان ينطوي على ناظم متمكن بارع والا لم يكن شاعرا . والنظم هو المرحلة الاولى في كل شعر . واما ان هناك اناسا

ينظمون شعرا موزونا يخلو من عبقرية الابداع ورعشة الموسيقى فأن ذلك لا يمين كلمة « النظم » . ان كل شاعر ناظم بالضرورة ، وليس كل ناظم شاعرا ، وذلك لان الشعر أهم من النظم ، فهو يحتويه دون ان يقتصر عليه . وواقع الامر ان الناس ، بالنسبة للشعر ، ثلاثة :

- ١ - انسان يتذوق الشعر ويطرب له الا انه لا يميز الموزون من المختل وقد يمر على غلط عروضي فلا يدركه . ومن هذا الصنف كثير من الناس .
- ٢ - انسان ينظم الموزون نظما متقنا جاريا على قواعد العروض ، دون ان تنبض منظوماته بالجمال او تتفجر بدفء الابداع . وهذا هو الناظم .
- ٣ - انسان يحسن النظم ويتقنه حتى ليوجع الشاز سعه وروحه وهو فوق ذلك يمتلك موهبة تفجير الموسيقى والسحر فيما يكتب . وهذا هو الشاعر . وهو في هذا الباب في المرتبة الاولى من اصناف الناس .

والذي لا ريب فيه أن الناظمين أناس ذوو موهبة وان لم تكن موهبتهم كاملة ، ولذلك ينبغي لنا ان نحترم موهبتهم ، وان نشي عليهم بما يستحقون . نقول هذا ونحن نرى الاتجاه لدى طائفة من الشعراء اليوم الى احتقار الناظمين والتشنيع عليهم . وانا الحق ان ينظر هؤلاء الشعراء الى انفسهم ليكسلوا ما يقصهم من عدة الناظم ومقدرته . فما قيمة شعر جليل الصور ولكن اوزانه تشر بالسقطات ؟ ان الناظم الذي يحسن النظم اجدر باعجابنا ، لو انصفنا من شاعر لا يحسن النظم . ذلك ان الاول ، بصفة كونه ناظما ، قد استكس عدة فنه حين اتقن النظم وضبط اصوله . واما الشاعر فانه ، وهو يجهل قواعد النظم ، انما يفتقد جزءا مهما من عدة الشاعر ، لان الوزن هو الروح التي تكهرب المادة الادبية وتصيرها شعرا ، فلا شعر من دونه مهما حشد الشاعر من صور وعواطف ، لا بل ان الصور والعواطف لا تصبح شعرية ، بالمعنى الحق ، الا اذا لمستها اصابع الموسيقى ، ونبض في عروقهها الوزن .

هذا مجمل رأينا ، والواضح ان أنصار ( قصيدة النثر ) يخالفوننا فيه .  
وانما الوزن ، في عرفهم ، مجرد شكل خارجي عارض اصطلاح الاقدمون عليه ،  
قلو حذفناه وكتبنا الشعر من دونه لاقصدنا شعرنا من التقليد وحنا بشيء  
طريف .

واننا لنحب ان نسألهم ، على ذلك ، سؤالا لعل له عندهم جوابا : ترى  
اذا استطاع ناثر وشاعر ان يعبرا ، كل بأسلوبه الشخصي ، عن عين الكنية  
من الصور والعواطف والاخيلة ، فأيهما سيهز السامعين هزا شديدا ؟ أيهما  
سيبعث فيهم مقدارا من النشوة أكبر ؟ والى أيهما سيستجيب الذوق الانساني  
استجابة أرهف وأحر ؟ اما في رأينا فان الجواب واضح وبديهي . ان الموزون  
الطافح بالصور والاخيلة والعواطف سيملك قلوبنا ويهزنا ويثيرنا اكثر من  
النثري الطافح بنفس المقدار من الجزئيات . وذلك لان عنصرنا جماليا جديدا  
قد أضيف اليه هو الموسيقى والايقاع .

والسبب المنطقي في فضيلة الوزن ، هو انه ، بطبعه ، يزيد الصور حدة ،  
ويعمق المشاعر ويلهب الاخيلة . لا بل انه يعطي الشاعر نفسه ، خلال عملية  
النظم نشوة تجعله يتدفق بالصور الحارة والتعابير المتكررة الملهمة . ان الوزن  
هزة كالسحر تسري في مقاطع العبارات وتكهربها بتيار خفي من الموسيقى  
الملهمة . وهو لا يعطي الشعر الايقاع وحسب وانما يجعل كل نبرة فيه أعمق  
وأكثر اثارة وفتنة . ولذلك كان الشعر مؤثرا بحيث كان القدماء يعدونه ضربا  
من السحر يسيطر به الشاعر على الجماهير . وقديما كان الشعر قرين اصحاب  
الرؤى والكهان وحتى الانبياء الى درجة جعلت القرآن الكريم يبرىء الرسول  
في الآية « وما علنناه الشعر وما ينبغي له » .

ولا ريب في أن النثر ، بافتقاره لهذه الموسيقى المؤثرة ، يفقد خاصية  
يتفوق بها الشعر عليه في اثارة المشاعر ولمس القلوب . ولذلك كان النثر ، في

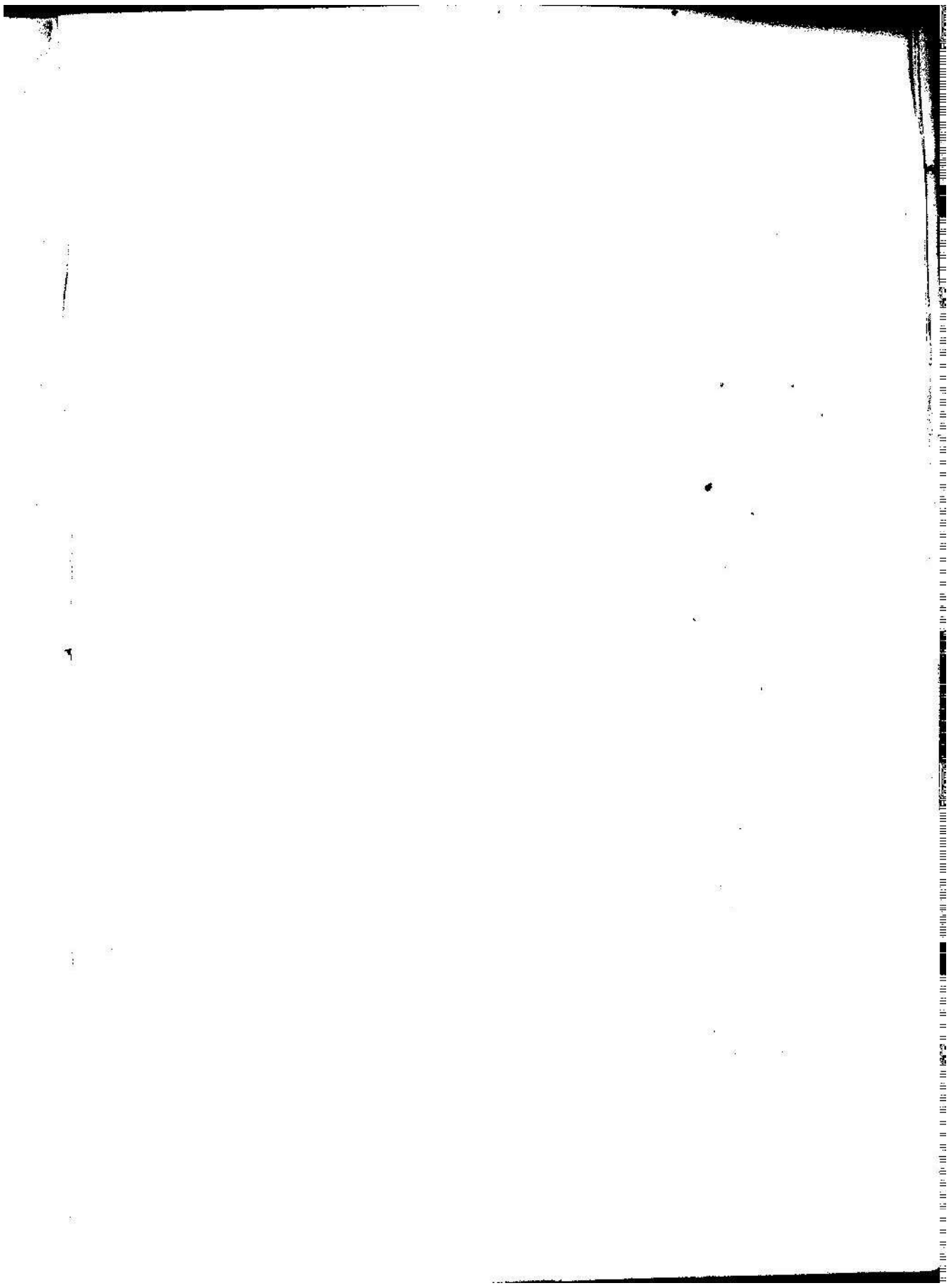
الغالب ، قرين البحث العلمي والدراسة الموضوعية، حتى اصبحنا نصف الشعر الذي لا يطربنا بانه « نثري » . والحقيقة التي لا مفر لنا من مواجهتها ان الناثر ، مهما جهد في خلق نثر تحتشد فيه الصور والمعاني ، يبقى قاصرا في اللحاق بشاعر يبدع ذلك الجمال نفسه ولكن بكلام موزون . فالوزن في يد الشاعر قمقم سحري يرش منه الالوان والصور على الايات المنغومة ؟ وهيهات للناثر ان يستطيع ذلك بنثره . اترى دعاة قصيدة النثر ينكرون ان خواطر محمد الماغوط التي اخترناها تكون اجمل لسو كتبت شعرا لا نثرا ؟ قول ذلك لا لنتنقص من تلك الخواطر وانما لمجرد انها كتبت نثرا وتناولت الى ان تسمي نفسها شعرا . وانما النثوة والموسيقى والدفء من مصاحبات الوزن ، فمن رغب فيها فليكن شاعرا وليعرف كيف يرقق معانيه في قصائد متدفقة . وبعد ، فليس يعيب النثر انه ليس شعرا ، وأن الموسيقى ملازمة للشعر لا له . ان تلك هي طبيعة الاشياء وكل لما خلق له .

وفي وسعنا ، ختاماً ، ان نلخص تعريف الشعر انه ليس عاطفة وحسب ، وانما هو عاطفة ووزنها وموسيقاها . وعلى ذلك فان قدرة الناثرين على حشد العواطف والصور في نثرهم لا يقرب ما يكتبون من الشعر اي تقريبا . وانما جمال ما يكتبون مرتبط بكونه نثرا، ولن يكون شعرا الا اذا نجحوا في صياغته شعرا . وتلك موهبة الشاعر دون الناثر، وهو أمر يترك النثر خارجا مهما قالوا ومهما جهدوا .

واحب أن أذكر اصحاب الدعوة اخيرا بانهم ، بعد كل ما قالوا وكتبوا وضجّوا ، ما زالوا هم انفسهم مضطرين الى التمييز بين الشعر والنثر . وهذه خزامي صبرى نفسها ، في فقرتها التي اقتسبناها ، تتحدث عما تسميه ( وزنا تقليديا ) - تقصد الشعر - ووزنا غير تقليدي - تقصد النثر . فلا نراها فعلت اكثر من استبدال الكلمتين العربييتين الدالتين : ( شعر ونثر ) باصطلاحات معقدة جديدة فيها عموم وغوض . وهل حقا ان قولهم (وزن تقليدي) احسن

من قولنا ( شعر ) ؟ ام ترى قولهم ( وزن غير تقليدي ) يصلح اسما للنثر ؟  
ولماذا اضطروا الى التمييز بين الاثنيين ؟ والواقع الذي لا جدال فيه ، أنهم اذا  
لم يعترفوا بأن الشعر شعر ، والنثر نثر ، فلا بد ان يعترفوا بان بينهما فرقا  
واضحا . وهذا يدحر كل مناقشة قد يوردونها . ان هناك شيئا اسمه الورد ،  
وهو يفرض عليهم نفسه مهما تجاهلوه .

## القِسْمُ الثَّانِي

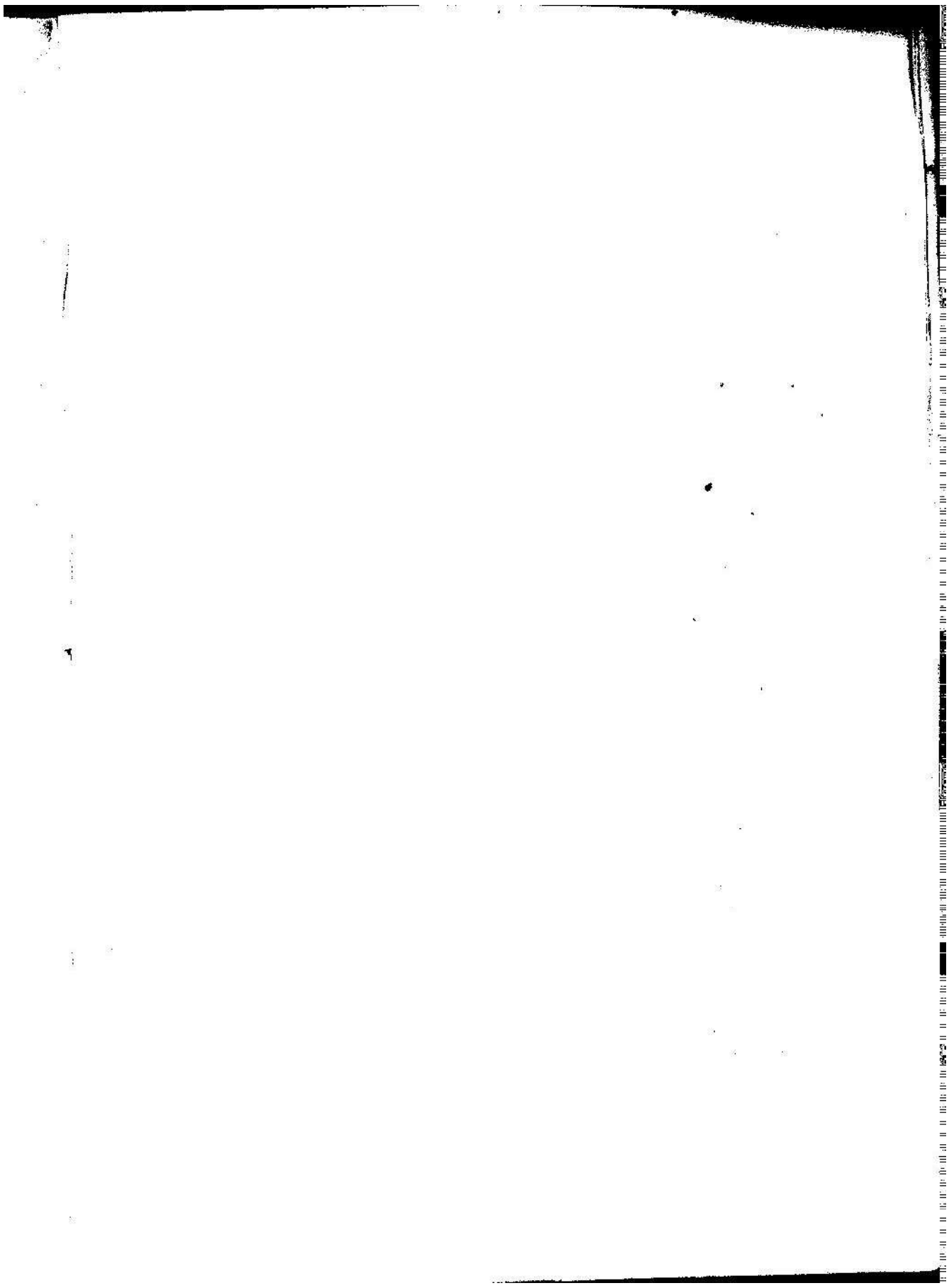


# في فنّ الشعر

## الباب الأول

— هيكل القصيدة —

— اسباب التكرار ودلالته —



## هيكل القصيدة

إذا كانت مفاهيم النقد الأدبي الحديث ترفض التمييز بين شيئين مثل (المضون) و ( الصورة ) في الشعر ، وتأبى إلا أن تعدّهما شيئاً واحداً لا يمكن تجزئته إلى اثنين ، فإنا في بحثنا هذا مضطرون - ولو ظاهرياً - إلى أن نعود إلى المفهوم القديم فنجزىء القصيدة إلى عناصرها الخارجية ، لندرس العلاقات الخفية التي تربط هذه العناصر ببعضها حتى تجعل منها ذلك النسيج الحي المتكامل الذي هو القصيدة . ولعلنا نحتاج إلى أن نذهب أبعد حتى من النظرة الدارجة فلا نكتفي بالتمييز بين المضون والصورة ، وإنما نميز أيضاً بين الصورة الوزنية الموسيقية التي تقوم على الأبيات والأشطر والتفعيلات ، و الصورة البنائية التي تستند إلى موضوع القصيدة . ومن دون هذا التمييز المبدئي الذي نريده في بداية بحثنا هذا لن نستطيع أن نشخص الأسس النظرية التي يطبعها الشاعر - غير واع - وهو يكتب قصيدته .

وهكذا نجدنا نبدأ بتكسير القصيدة الى عناصرها الرئيسية التي لا تزيد ، في نظرنا ، على اربعة :

- ١ - الموضوع ، وهو المادة الخام التي تقدمها القصيدة .
- ٢ - الهيكل ، وهو الاسلوب الذي يختاره الشاعر لعرض الموضوع
- ٣ - التفاصيل ، وهي الاساليب التعبيرية التي يبدأ بها الشاعر الفجوات في أضلع الهيكل .
- ٤ - الوزن ، وهو الشكل الموسيقي الذي يختاره الشاعر لعرض الهيكل .

وسوف يلوح لنا ، كلما أمعنا في دراسة هذه العناصر مجزأة ، ان بينها ترابطا خفيا لا يمكن فصله ، وان القصيدة ليست الا هي كلها مجموعة . ومع اننا سنحرص على ان نقول كلمة عابرة عن الموضوع والتفاصيل والوزن ، الا ان هذا البحث مكرس لدراسة الهيكل وحده ، والحق انه أهم عناصر القصيدة ، فهو العمود الذي ترتكز اليه العناصر الاخرى كلها .

### الموضوع

اما الموضوع فهو ، من وجهة نظر الفن ، ألقه عناصر القصيدة ، لانه ، في ذاته ، قاصر عن ان يصنع قصيدة ، مهما تناول من شؤون الحياة . انه مجرد موضوع خام ، فليست فيه خصائص تدل الشاعر على طريقة يعالجه بها . وانما هو اشته بطينة في يد نحات ، يستطيع ان يصنع منها ما يشاء . ان القصيدة ليست كامنة في الموضوع ، وان كان هذا لا ينفي ان من الممكن ان نصوغ ، من اي موضوع ، عددا لا نهاية له من القصائد . وهذا يجعل من الضروري ان نقرر ان الموضوع شيء غير القصيدة ولا دخل له في تكوينها .

ان نظرنا هذه الى الموضوع تجعل الدعوة الاجتماعية - او دعوة

الالتزام - التي تضج بها الصحافة منذ سنين - ذعرة غير منطقية بالنسبة للشعر . ذلك أنها تطالب بتحديد ما لا صلة له بالقصيدة ، وهو الموضوع ، وبذلك تقحم على الشعر عنصرا غريبا عنه . والواقع ان قيام القصيدة على موضوع اجتماعي شيء لا غبار عليه اطلاقا ، بشرط الا نعد هذه الاجتماعية فضيلة فنية مميزة تعطي الموضوع شعرية خاصة غير عادية .

وانما يصبح الموضوع هاما ، ويستحق الالتفات ، في اللحظة التي يقرر فيها الشاعر ان يختاره لقصيدته ، فهو اذ ذلك يوجه الهيكل ويمشي معه . وأول شرط في الموضوع ان يكون واضحا محددًا ، لا كموضوعات تلك القصائد التي تدور وتدور فلا يخرج منها القارىء بطائل . ومن هذا الصنف تلك القصائد التي يكون موضوعها عاما يشمل جوانب واسعة لا حدود لها من الافكار والتصورات وهو صنف يتخلص منه الشاعر عندما يضع له عناوين عامة مثل ( خواطر ) او ( تأملات ) او ( رباعيات ) ونحو هذا . مثل هذه القصائد تستند ، في واقع الامر ، الى عقيدة واهمة من الشاعر في ان الموضوع وحده يكفي لانشاء قصيدة ، وما دامت القصيدة تعالج افكارا مفيدة ذات طلاوة وبصيرة فهي تبرر وجودها تبريرا تاما . وليس هذا مقبولا من وجهة نظر الشعر . وانما ينبغي ان تكون القصيدة موحدة ، مبنية ، لا ان تمليء بمادة تكفي لانشاء عشرين قصيدة .

وخلاصة ما يمكن ان نقول في الموضوع ان القصيدة ليست موضوعا وحسب وانما هي موضوع مبنية في هيكل .

الهيكل الجيد وصفاته

لا ريب في ان الهيكل هو أهم عناصر القصيدة واكثرها تأثيرا فيها . ووظيفته الكبرى ان يوحدنا ويمنحنا من الانتشار والاقناعات ويلتصنا داخل حاشية متميزة . ولا بد من الاشارة الى ان الموضوع الواحد لا يفترض

هيكلا معيناً وأنا يحتفل ان يصاغ في مئات من الهياكل بحسب اتجاه الشاعر  
وقدرته الفنية والتعبيرية . ومهما يكن فلا بد لكل هيكل جديد من ان يمتلك  
أربع صفات عامة هي التناسك والصلابة والكفاءة والتعادل<sup>(١)</sup>

أما التناسك فنقصد به ان تكون النسب بين القيم العاطفية والفكرية  
متوازنة متناسقة ، فلا يتناول الشاعر لفظة في الاطار ويفصلها تفصيلاً يجعل  
اللفظة التالية تبدو ضئيلة القيمة او خارجة عن نطاق الاطار . ومثال هذا  
الخروج على التناسك قصيدة لبدر شاكر السياب عنوانها «حفار القبور»<sup>(٢)</sup>  
تقع في أربعة مشاهد واضحة كان ينبغي ان ينال كل منها من عناية الشاعر ما  
يساوى عنايته بغيره ، ولكن الشاعر ، لسبب ما ، تلكأ طويلاً في المشهد الاول  
وحل قسمة الحفار في بطن شديد . ثم تقدم في عجلة ، الى المشاهد الثلاثة  
الباقية فأجهز عليها في غير عناية . ذلك مع ان القصيدة لم تبلغ قمتها العاطفية  
ومن ثم قمتها الدراماتيكية ، الا في المشهد الرابع . وهذا كله قد أدخل  
بتناسك الهيكل وضعفه فتفكك وأساء الى هذه القصيدة التي تمتاز بما  
فيها من صور واقعاات وحركة ملبوسة يحسها القارئ عبر المشاهد  
المتلاحقة .

وثاني صفات الهيكل الجيد الصلابة ، ونقصد بها ان يكون هيكل  
القصيدة العام متميزاً عن التفاصيل التي يستعملها الشاعر للتلوين العاطفي  
والتشبيات الفكرية . وتكبر قيمة هذه الصفة في الهيكل الهرمي كما سيأتي .  
والتشبيات والاحاسيس ينبغي ان تكون تفاصيل سياقية عارضة يحرض  
الشاعر على كبح جماحها بحيث لا تضيع فيها حدود الخط الاساسي في  
الهيكل . ويتضمن هذا ان الصور والعواطف ينبغي الا تزيد عما يحتاج

(١) اصطلاحات وضعتها انا . ولا بد من الوضع اذا نحن اردنا ان نبني اسماً  
ثابتة لنقد عربي حديث يرتكز الى انتاجنا وحياتنا الفكرية المعاصرة .

(٢) حفار القبور . مطبعة الزهراء . بغداد ١٩٥٢ .

اليه الهيكل ، فقد ثبت في حالات عديدة ان هذه الزيادة المعرقله تفقد القصيدة كثيرا من قيمتها الجمالية . ومن نماذج الاطار الرخو الذي لا يسلك مزية الصلابه قصيدة محمود حسن اسماعيل ( انتظار )<sup>(١)</sup> التي ضاع اطارها العام في كثير من الصور الجميلة والتفاصيل ، وقد تصيدها الشاعر تصيدا ناسيا الخطة العامة لقصيدته حتى طغت على الهيكل وطمست معالمه .

لما الكفاءة فنعني بها ان يحتوى الهيكل على كل ما يحتاج اليه لتكوين وحدة كاملة تتضمن في داخلها تفاصيلها الضرورية جميعا دون ان يحتاج قارئها الى معلومات خارجية تساعده على الفهم . ويتضمن هذا معنيين :

أولهما ، ان لغة القصيدة تكون عنصرا اساسيا في كفاءة الهيكل ، فهي اداته الوحيدة ، ولذلك ينبغي ان تحتوى على كل ما تحتاج اليه لكي تكون مفهومة ، وهذا هو السبب في تفورنا اليوم من استعمال الالفاظ القاموسية غير المألوفة في لغة العصر . ذلك ان هذا يحتفظ بجزء من معنى القصيدة في خارجها ، في القاموس . وهذا ، في صميمه ، يتعارض مع التعبير ومع لحظة الابداع عند الشاعر .

وثانيهما ، ان التفاصيل ونعني بها التشبيهات والاستعارات والصور - التي يستعملها الشاعر في القصيدة ينبغي ان تكون واضحة في حدود القصيدة ، لا ان تكون قيمتها ذاتية بحيث تأتي أهميتها من مجرد تعلق ذكريات الشاعر الشخصية بها . وانما ينبغي ان يعتمد المعنى الكامل للقصيدة على القصيدة نفسها لا على شيء في نفس الشاعر . ولعل ممترضا ان يحتج علينا لاننا نستبعد عن سياق القصيدة كل ما له قيمة ذاتية عند الشاعر . وجوابنا على ذلك اننا لا نمانع في ان يدخل الشاعر ما يشاء من تفاصيله الشخصية الاثيرة لديه ، ولكن على ان ينح هذه التفاصيل قيمة فنية تتبع من الهيكل نفسه . والقانون في هذا ان على الشاعر ان يحترس من الخلط بين ما له قيمة في

(١) ديوان «ابن المفر» القاهرة ١٩٤٧ .

القصيدة وما له قيمة في نفسه . فللقصيدة عالمها الخاص المنفصل عن عالم الشاعر . انها كيان حيّ ينمزل عن مبدعه منذ اللحظة الاولى التي يخط فيها على الورق . وذلك هو الذي يجعل الشاعر مضطرا الى ان يكف عن اعتبار تجاربه كافية في ذاتها لابداع قصائد ، فالشعر لا يعترف بأية قيم عاطفية او جمالية في خارجه ، ولا بدّ لمن يريد ان يتغنى بمكان يحبه او شخص يعزه ان يجعل هذا الشخص وذلك المكان حيبا في داخل القصيدة نفسها بمختلف وسائل الفن المشروعة .

ولا بد لنا ان نشير هنا الى فشل تلك المحاولات التي يلجأ اليها الشعراء حين يضيفون الى قصائدهم حواشي وشروحا عن تاريخ الاماكن التي يتغنون بها في قصيدة ما ، فليس أبعد عن روح الشعر من مثل هذا . وذلك ، ولا ريب ، يجعل اكادسا كثيرة من الشعر الوطني الذي يكتب اليوم عاطلا من القيمة الفنية ، لان الشاعر يعتمد فيه على المعرفة السابقة التي يملكها الجمهور المعاصر عن الاشخاص والاماكن والاحداث ، فلا تكون قصيدته الا هامشا او تعليقا على الاشياء ، دون ان تملك في ذاتها المستلزمات الكافية لقصيدة حول تلك الاشياء . واما حين ستتطور حياتنا وتصبح تلك الاحداث معلومات تاريخية لا يحتاج اليها جمهور عربي متأخر ، فان نقص تلك القصائد سيظهر وسيفقدها مكائنها الفنية . ولذلك ينبغي للشاعر ان يتطلع الى قصيدته وينسى الجمهور . فانما التعبير المكتمل ارضاء للحس الفني المتعطش في نفس الشاعر مهما كان الجمهور قائما ومستعدا للسامحة ومد يد المساعدة . والقصيدة التي تحوجنا الى ان نقرأ عنها حاشية او شرحا ثريا ليست قصيدة جيدة ، ولعلها - من وجهة نظر الفن - فشل يعترف به الشاعر نفسه حين يرضى ان يضع لقصيدته حواشي وهوامش .

واما التعادل ، الذي هو آخر صفات الهيكل الجيد فنقصد به حصول التوازن بين مختلف جهات الهيكل وقيام نسبة منطقية بين النقطة العليا فيه والنقطة الختامية . وانما يحصل التعادل على أساس خاتمة القصيدة ، حيث

يقوم توازن خفي ثابت بينها وبين سياق القصيدة. فإذا كانت القصيدة تتناول موضوعا ساكنا كالنهر مثلا فتصفه كما يلوح للشاعر في لحظة معينة ، جاءت القصيدة تعاقب صور وانفعالات وافكار متتالية ذات قيمة متساوية . وفي هذه الحالة تكون خاتمة القصيدة اقوى من سائرهما حيث يقوم نوع من التعارض الخفي بين البيت الاخير وبقية الابيات . اما حين تتناول القصيدة حادثا ( او امتدادا زمنيا ، بكلمة أخرى ) فان الحركة تأتي من تعاقب الزمن الذي يستغرقه الحادث ويسرّ عبر القصيدة امامنا . وفي هذه الحالة تكون الخاتمة متميزة عن سائر القصيدة بان توقف هذه الحركة عند نقطة منطقية . وهي حالة يقوم فيها التعارض بين الحركة الزمنية في القصيدة والسكون في ختامها .

ومن الاساليب التي قد يختتم بها الشاعر قصيدته ما يقوم على أساس الايقاع والموسيقى كأن تكون القصيدة ذات مقطوعات متساوية الطول رباعية او أكثر ، فيجعل المقطوعة الاخيرة ذات طول مختلف . والقصر اكثر تأثيرا في هذه الحالة ، ومنه قصيدة جميلة لمحمود حسن اسماعيل عنوانها ( فاتنتي مع النهر) <sup>(1)</sup> ختم فيها قصيدته بيتين ، بعد مقطوعات اطول بكثير ، فكانت خاتمة مؤثرة من أجل ما يقرأ للشعر من خواتم . وهذا هو المقطع الثالث منها والخاتمة :

سألكه : يا ابن الاسى رحمة	فالنوح لا يطرب سمع الصباح
فجرتك رفراف السنا والمنى	فوقك طير عبقرى الجناح
ما لك لا تلهم غير الاسى	ولا تغني غير نار الجراح ؟
فقال : يوما ، ستلاقي هنا	عذراء من حور السماء الملاح
تبحث عني ، فأجبتها مضي	صبك في الدنيا شريد النواح
انت التي اسلمته زورقا	في لجة الدنيا لهوج الرياح

(1) نشرت في مجلة الرسالة . المجلد الاول . السنة السابعة من ٨٣ .

فمرّ كالنسيان بي وانطوى صباحه عني شقيا وراح

فاتنتي ، سرّ الهوى سايح" في نور عينيكِ فلا تسألني  
في زهوهِ المرج شدى نائمٍ اخشى عليه يقظة المنجل

ولعلّ في وسعنا ان نتخلص قانونا عاما يشمل الحالات التي يستعملها  
الشاعر في اختتام قصيدته ، ومضمون القانون ان القصيدة تميل الى الاتهاء  
اذا استطاع الشاعر ان يحدث تعارضا واضحا بين السياق والخاتمة . فاذا  
كان السياق هادئا جعل الخاتمة جهورية مجلجلة واذا كان السياق متحركا  
مال بالخاتمة الى السكون وهكذا . واحسبنا لا نحتاج الى ان نقول ان  
الشاعر الحق ، كل شاعر ، يعرف هذا القانون بفطرته الفنية فلا يحتاج الى  
ان يتعلمه او يفكر فيه وهو يكتب . وقد كتب الشعراء في العصور كلها  
قصائد ذات خواتم ناجحة ، دون ان يحتاجوا الى ان اجيء اليوم لاستخلص  
لهم هذه القاعدة . ولكن مهمة النقد تبقى مع ذلك قائمة ، والعالم ملوئ  
دائما بالنظامين ومحتري الشعر ، وهؤلاء قلما يعرفون متى ينبغي ان يسكتوا .  
والمشاهد اليوم ان مئات من القصائد التي تنشرها الصحف تنقصها لمسة  
الختام وهي تترك في النفس أثرا يشبه العطش . ذلك انها تثير في اقسنا  
توترا ثم تتركنا لمخالبه دون ان تزيله او تنهيه .

والحقيقة ان قراءتنا للقصيدة ليست أقلّ من معاناة فعلية للتجربة التي  
مرّ بها الشاعر ، فاذا لم يحسن ذلك الشاعر ان يختمها ذلك الختام الطبيعي  
كان يخوتنا ويلعب بنا ولو دون ان يقصد . وهو في ذلك كمن يسير بنا خطوة  
خطوة في طريق صاعد المفروض انه يؤدي بنا الى غاية ، حتى اذا بلغنا  
نصف الطريق تركنا ونكص راجعا . ان القصيدة غير الكاملة اساءة الى  
القارئ وايلام لا يبرره شيء ، والشاعر ، بهذا المعنى ، مسؤول عن جماعة

القرّاء الذين يلقون اليه قياد انفسهم ، يزرع فيها افكاره ومشاعره فأقل ما عليه ان يخرجهم من التوتر العاطفي الذي يوقعهم فيه . وبذلك تكتسب الفعالية التي يربّها الشاعر والقارىء ، يدا بيد ، عبر القصيدة .

### ثلاثة اصناف من الهياكل

لم تزل هناك ملاحظات عن الملامح العامة للهيكلي ، غير انني اؤثر ان يرد ذكرها عبر دراستنا التالية لاصناف الهيكلي ، لكي تتحاشى التكرار . ولقد استخلصت من مراجعة مئات من القصائد العربية قديها وحديثها ان هيكل القصيدة يقوم على ثلاثة اصناف عامة لكل منها خصائص مميزة ثابتة . ولقد رأيت ان اطلق على هذه الاصناف أسماء ، تسهلا لمهمة النقد الادبي والبلاغة فكانت كما يلي :

- ١ - الهيكل المسطح وهو الذي يخلو من الحركة والزمن
- ٢ - الهيكل الهرمي وهو الذي يستند الى الحركة والزمن .
- ٣ - الهيكل الذهني وهو الذي يشتغل على حركة لا تقترن بزمن .

ولسوف يتضح سبب اختياري لهذه التسميات حين ندرس هذه الهياكل بالتفصيل .

### ١ - الهيكل المسطح

أبسط تعريف لقصائد هذا الهيكل انها تدور حول موضوعات ساكنة مجردة من الزمن ، وانما ينظر اليها الشاعر في لحظة معينة ويصف مظهرها الخارجي في تلك اللحظة وما يتركه من أثر في نفسه . مثال ذلك ان تدور القصيدة حول تمثال او سفينة او بركة فلا تصف احداثا تعاقبت على هذه الموصوفات ، ولا تغييرات جدّت عليها خلال زمن ما ، وانما ترسمها كما كانت في تلك اللحظة التي رآها الشاعر فيها : جامدة ثابتة في المكان . وفي

وسعنا ان نقول ان نظرة الهيكل المسطح هي نظرة ذات ثلاثة أبعاد ، على حدّ  
تعبير الرياضيين ينقصها البعد الرابع الذي تنشأ عنه الحركة الزمنية . على  
ان القصيدة التي تخلو من الحركة بشكلها الزمني لا تستطيع ان تستغني  
عن شكل آخر من اشكال الحركة يعوّض لها ويبنّي كيانها . ومن ثم فإن  
شاعر الهيكل المسطح يلجأ عادة الى اساليب اخرى يخلق بها الحركة فيسدّ  
الفراغ . وهو يصل الى ذلك التعويض بأستعمال الصور والتشبيهات  
والعواطف ، وبذلك يسدّ الموضوع الساكن بلون ما من ألوان الحركة .  
وهكذا نجد ان الشاعر - حين يجد بين يديه موضوعا جامدا مغلقا بلحظة  
واحدة من لحظات الزمن - يلجأ الى التفجر عاطفيا ويحيط موضوعه بشحنة  
مشاعر قوية تعطي القصيدة نوعا من الحكمة المعوّضة . ومن هذا التعويض  
نشأ الشعر الغنائي الذي اهتمت به الادب القديم . انها حالة يؤدي فيها  
سكون الاطار وتسطحه الى الارتكاز على محور القصيدة او الموصوف فيها ،  
وحوله يجمع الشاعر سلسلة من الافكار والعواطف والصور .

ولكي نمثل لهذا الهيكل المسطح نستشهد بقصيدة لنزار قباني عنوانها

« شباك » (١) :

حيّت يا شباكها الملقوف بالبنفسج  
أصبحت ديرا للشحارير وماوى العوسج  
لسورك الرحيم أسراب السنونو تلتجي  
يا جنة على السحاب غضة التارّج  
يا ضاحك الاستار ذات اللين والترجج  
يا راية للحب لم تخطر ببال منسج  
انا لديك، هل تعي همسي وحدو هودجي

(١) أنت لي ، الطبعة الاولى لدمشق ١٩٥٠ ص ٣٢ .

بي لهفة تحصد أصباغ الستار الاهوج  
الا أنفتحت لي فان الشمس في توهج  
هل أقرع البلور دون حلما المتوج  
أم أسبق الشمس الى غطائها المضرج  
أردّه على ذراع طفلة التبرج  
وأجمع الشعر الذي مات من التموج  
يحرسك العبير يا شباكها البنفسجي

ان الشباك ، في هذه القصيدة الجميلة ، ساكن ، وقد وقف الشاعر أمامه في لحظة معيئة ، ذات صباح وراح يصفه ، وقد جاء الامتداد على حساب أفكار الشاعر وتخيلاته عما وراء الشباك من اصباغ الستائر ولين قماشها وشعر الفتاة النائمة ونحو ذلك . ان تعاقب هذه التصورات غير مرتبط ارتباطا عضويا ، وانما تقف كل صورة معزولة عن الصور الاخرى حتى نستطيع ، اذا اردنا ، ان نقدم بيتا على بيت وان نحذف بيتا هنا وبيتا هناك دون أن تنقص القصيدة تقضا مخلا . وذلك يرجع الى كون الهيكل مسطحا . انه يتركب من جزئيات مرصوصة لا من وحدة كاملة مشدودة . ولو اردنا ان نضع هذا المضمون في صيغة اخرى لقلنا ان القصيدة مستوية ، سائبة ، غير مشدودة ذلك الشد المحكم الذي نجده في القصائد التي تصف احداثا . انها قصيدة تقوم على خيط من الابيات الجميلة ، كل بيت فيها منفصل عما حوله ، قائم بذاته . ومن مجموعة الابيات لا تنشأ فكرة عامة غير الفكرة التي وردت في كل بيت ، ولا يصعد الشعور الى قمة . ان العاطفة في القصيدة موزعة بالتساوي على الابيات ، كل بيت ، يضيف لمسة شعورية جديدة ، والاحساس لا يتكاثف في موضع دون موضع . كما ان القوى لا تتجمع لتلتقى في ذروة متشابكة ، وانما تحرى عناصر الموضوع مستقلة مجزأة كما يجري جدول في أرض منبسطة لا تعلو ولا تنخفض ولا تتخللها غابات كثيفة ممرقة . ولهذا نستطيع ان نحذف ما نشاء من ابيات ونقدمه ومؤخر دونما

## حرج .

على ان ابرز خاصية لقصائد الهيكل المسطح انها مسلووة بالفجوات ، فمن السهل ان نضيف اليها ما شئنا من الايات دون ان تفقدها وحدة او سيء الى رابطة فيها . وهذا لانها في الاصل أشبه بأرض فضاء مستدة لا بداية لها ولا نهاية ، ولا تختلف جهة فيها عن جهة ، ان في وسع الشاعر ان يوصلها الى ما شاء من الايات ، والشروط الوحيد ان يشدّها شدّا ما ويحدث فيها رابطة ولو شكلية . ولعل خير رابطة يلجأ اليها الشاعر في القصيدة المسطحة هي استعمال القافية الموحدة ، كما يصنع نزار قباني في شعره دائما . وذلك لان هذه القافية تصبح أشبه بسياج متين يشدّ الايات المفككة في داخله . والقافية الموحدة عظيمة القوة في القصيدة فهي تلمّها وتمنعها من الاقلاات منعا صارما . ولعل هذا هو السبب في ان اغلب الشعر العربي كان مسطحا . فقد كانت القافية الموحدة من القوة بحيث اغتت الشاعر عن التماس هيكل معقد يقوم الترابط فيه على ما هو أعمق من القافية الموحدة .

وبسبب هذا التفكك الطبيعي في القصائد المسطحة تحتاج القصيدة الى خاتمة شامخة تكون هي الاخرى أشبه بسياج عال يحدّ البقعة الصغيرة الممتدة وينهيها . ان ترك القصيدة المسطحة غير كاملة يضجر القارئ المرهف ويشعره بأنه لم يخرج بشيء ، وهذا لانه يوحي بان الامتداد لاينتهي ، والذهن الانساني لا يستريح الى الامتداد المطلق ويفضل ان ينتهي كل شيء نهاية ما . والواقع ان خاتمة القصيدة تخرجنا من هذا التماذي غير المريح ، ومن هذا الاستواء ، وتشعرنا بأن التيه قد انتهى الى حدود ما . وما دامت القصيدة المسطحة - بطبعها مستوية ، تتساوى فيها القيم الشعرية والفكرية للايات ، فان الخاتمة ينبغي ان تكون جمهورية مجلجلة قاطعة بحيث تبرز على سائر الايات وتشعرنا بالانتهاء . ومعنى الجمهورية ان يحتوى البيت الاخير على حكم قاطع قوي او عبارة بتارة تصلح لاختتام القصيدة . ومن ذلك ، الدعاء

اللطيف الذي ختم به نزار قباني قصيدته ، فقد ألفاد بلهجة قاطعة وكأنه عبر  
به عن اعشق اعماق احساسه نحو الشباك . ومهما يكن فان البيت الاخير  
ينبغي ان يكون بارزا شيرا ليختم القصيدة .

وختام ما ينبغي ان نقوله حول الهيكل المسطح انه لا يتيح فرصا لقصيدة  
طويلة . ذلك ان الامتداد المنبسط يضائق ، والاصناف المتتالية تصبح ملة  
متعبة حين لا تتخللها ذروة عاطفية تثير حساسة القاريء . وذلك هو السبب  
في الرتابة التي نلسمها في بعض قصائد أنور العطار وهي لا تخلو من ابيات  
مفردة جميلة ، غير ان طولها واستواء المستوى العاطفي والتعبيري في  
الابيات كلها يجعل النغم مسطوطا دون داع . وخير وسيلة للنجاة من مثل هذا  
المزلق ان تكون القصائد المسطحة قصيرة ، وتلك لفظة أدركها نزار قباني  
بفطرته ، فهي تكاد تكون القانون في شعره كله ، لا يخرج اليه الا حين يكتب  
قصيدة هرمية الهيكل مثل القصيدة الرائعة الجمال « طوق الياسمين »<sup>(١)</sup>

### القوى الحركية في القصيدة

رأينا ونحن ندرس « الهيكل المسطح » ان الموضوع الساكن لا يستطيع  
ان يمد قصيدة بكيان غني مقبول ، وانه ينبغي ، في الغالب ، أن يقوم على  
عناصر اخرى خارجية كالعواطف والصور لتتجه القصيدة ، والواقع ان هذه  
الشحنة من الصور والمشاعر التي يلتسمها الهيكل الساكن انما هي ، في حقيقة  
الامر ، صورة من صور الحركة يحاول بها الشاعر - وهو غير واع - ان  
يدخل عنصر الحركة الى هيكله لينقذه من الجمود .

ان كل قصيدة جيدة لا بد ان تحتوى على عنصر الحركة على صورة  
ما ، والا كانت قصيدة رديئة . والشاعر يدرك هذا بأحاسسه ويحاول ، غير  
واع ، أن يضفي هذا العنصر على قصيدته من احدى جهاتها . فاذا كانت نقطة

(١) ديوان قصائد من نزار قباني . بيروت ١٩٥٦ .

الارتكاز في القصيدة ساكنة كشباك نزار قباني . امتد الهيكل عاطفياً وصورياً ، وكان الشاعر - وهو يرى موضوعه ساكناً - يدرك انه لا يستطيع ان يصوغ من سكوله شيئاً نابضاً بالحياة ، ما لم يضيف اليه امتداداً من نوع ما ، فيبدأ بالاقرب وهو الصور والمشاعر التي توسع نقطة الارتكاز وتجعل نطاقها أكبر .

ولو راجعنا قصيدة « شباك » لرأينا ان هذا الشباك - وهو ساكن - قد اكتسب امتدادات رائعة الحسن بما اضفاه عليه الشاعر من نعوت . انه يتسع عندما يصفه الشاعر بانه « ملفوف بالبنفسج » ويتسع ثانية عندما يسميه الشاعر « ديراً للشحارير » وهي صورة تمنح الذهن فرصة لتخيل مجموعة من الشحارير تتطاير وتحط عند الشباك وبذلك اتسع افق الشباك مكانياً حتى شمل المنطقة التي تحيط به وسرعان ما تتدخل « الستائر » التي تمد الشباك الى داخل الغرفة وتصله بكل ما فيها من حياة ، وهكذا نرى الشاعر قد جعل الشباك ينبض بالحركة ووصله بأعمق أعماق الحياة المتدفقة حوله .

#### ب - الهيكل الهرمي

الفرق الاساسي بين قصائد هذا الهيكل ، وقصائد الهيكل المسطح ، ان الشاعر هنا يسنح الأشياء بعدها الرابع . بدلاً من ان توصف الأشياء وهي ساكنة ، ذات ثلاثة أبعاد ، في لحظة واحدة من لحظاتها - كما في الصور - يبدو وكأن الشاعر قد تجرد من الزمن فراح الماضي والحاضر والمستقبل تبدو له كلها واحداً ، ومن خلالها يبدو الموصوف متحركاً ، متغيراً ، مؤثراً فيما حوله متأثراً به . وهو عين ما يحدث في الحياة الواقعية حين نسمح للزمن ان يمر على الأشياء . فما من شيء الا ويتحرك ويتغير وتحول عليه الاحوال . ومن هذا يبدو ان نقطة الارتكاز في القصائد الهرمية لا بد ان تتضمن « فعلاً » او « حادثة » لا مجرد شيء جامد يحتل حيزاً من المكان وحسب .

وفي نطاق هذا النعل يتحرك الأشخاص والأشياء ويسرّ الزمن . فالأشخاص مثلا يتبدلون وتقلب عليهم الاحداث بحيث نجدهم في اول القصيدة يختلفون عنهم في آخرها على وجه ما . والأشياء تتغير قيسها ومدلولاتها واماكنها . والزمن ينصرم : فاذا بدأت القصيدة في طفولة بطلها انتهت وهو شيخ ، وان رأيناها ، في بدايتها ، صباح الثلاثاء ختمت القصيدة وهو قد عانى متاعب الاربعاء ، وهكذا . وخلال ذلك تتغير المشاعر فتتبدل وتضيق وتتسع كما يرسم لها الشاعر ، ولذلك يغلب أن نجد فوارق عاطفية وزمنية بين بداية القصيدة ونهايتها . وذلك ما يميز الهيكل الهرمي عن سواه .

وفي مثل هذه القصائد ، قصائد « الفعل » و « الحادثة » التي تميز عن قصائد « الأشياء » نجد ان الاحداث تسيل الى ان تتكاثف في مكان من القصيدة دون مكان . فهي تبدأ عادة هادئة العواطف ، غير ثائرة ، والأشخاص يتحركون بتؤدة ، وكأن الشاعر يسرّ بفترة « العرض » التي يسر بها القصاص ، وهمه الاول ان يقدم أطراف الموضوع لقارئه . ثم تأتي لحظة تدفع خلالها المشاعر والاحداث الى قمة شعورية ، « قصة الهرم » فتتجمع القوى التي بدأت فعلها في المرحلة السابقة تجعبا عنيقا وتبلغ القصيدة أعلى مراتب التوتر ويحسّ القارئ انه ازاء مشكلة فنية انسانية . وسرعان ما تبدأ النهاية بعد ذلك حين يبدأ الشاعر بفكّ المشكلة وحل العقدة وتشتت القوى المتجمعة . ولا بدّ لنا ان نلاحظ هنا ان خاتمة القصائد الهرمية ، تمتلك قابلية الانتهاء بسكون . وهو أمر غير مسكن في قصائد الهياكل المسطحة حيث ينبغي ان تكون الخاتمة جمهورية على شيء من العلو ، وكان هذه « الجهارة » نوع من الحركة التي تجيء بعد السكون الطويل فتوحي بالانتهاء .

#### نموذج للهيكل الهرمي

تصلح قصيدة علي محمود طه ( التمثال ) (١) ان تكون نموذجا مستازا

(١) ديوان ليالي الملاح الثالثه ، لعلي محمود طه . القاهرة .

للهيكل الهرمي لما تحتوي عليه من بناء مكتمل وصور جميلة ورموز وعاطفة .  
انها تكاد تكون أجمل واكمل قصيدة كتبها هذا الشاعر على الاطلاق ، وهي  
بلا ريب قمة من قمم الشعر العربي الحديث كله . ولذلك سنقف عندها وقفة  
تحليلية مريثة لندرس ما فيها من أصالة وقوة بناء وجمال . يقول الشاعر في  
تقديم قصيدته انها « قصة الامل الانساني » وهو بهذا يخبر القارىء ان  
« التمثال » ليس حقيقيا ، وانما هو رمز للامل الذي بناه الشاعر ، أو تبيينه  
الانسانية كلها ، فما يلبث الزمن حتى يحطه تحطيا . على ان هذا التعريف  
لا يضيف الى القصيدة شيئا ، فلو لم يصرح به الشاعر لما فقدت القصيدة اي  
شيء . سواء اكان هذا التمثال هو الحب ام الفن ام الجمال ام السعادة ،  
كانت القصيدة كاملة . وذلك لان نقطة الارتكاز هنا هي التمثال وما يحدث  
لهذا التمثال متضمن في داخل الهيكل ، بحيث تكون القصيدة كاملة حتى  
ولو كان التمثال تمثالا حقيقيا . المهم هو ان الزمن قد تعاقب على هذا التمثال  
في القصيدة ، من الليل ، الى الضحى ، الى آفاق الليالي والاضاحي ابتداء  
من شباب الشاعر حتى شيخوخته . ولقد وصلت هذه الحركة الزمانية تمثال  
الشاعر باحياة كلها فكأنه عاد ينبض نبضا .

والقصيدة تبدأ في شباب الشاعر فنراه يمضي كل صباح ليصطاد غرائب  
البر والبحر ، فلا يعود الا مع المساء حاملا صيده ليلقيه «على قدمي» تمثاله .  
وهو ، في نشوة هذا الشباب المتفجر بالحياة ، يصعد الى النجوم ويهبط الى  
اعماق البحر ، ويجوب البراري ، ويفتحم الصحى في آسيا وافريقيا ، ويجوب  
عصور التاريخ . كل ذلك بحثا عن الحلي التي يريد أن يتوج بها تمثاله  
الجميل . ولكن القصيدة لا تنتهي الا بعد أن يشيب الشاعر فلا يعود يقوى  
على دفع عادية العواصف والسيول عن تمثاله ، ويصبح لا مفر له من أن يقف  
جامدا مغلوبا ليراه يتحطم وتجرفه الامواج . وبهذا نجد الزمن قد تحرك  
خلال أبيات القصيدة حركة سريعة مدهشة افتن الشاعر في أساليب تصويرها  
وابرازها . وسوف ندرس فيما يلي القصيدة بالتفصيل لنلاحظ وسائل الشاعر

في صياغتها وهنائها .

لنلاحظ اولا الحركة في الايات الافتتاحية من القصيدة :

اقبل الليل واتخذت طريقي لك  
والنجم مؤنسي ورفيقي  
وتواري النهار  
خلف ستار شفقي من الغمام رقيق  
مدّ طير المساء فيه جناحا  
كشراع في لجه من عقيق

نلاحظ اولا الحركة في الفعل « آقبل » وفي ما توحيه عبارة « واتخذت طريقي لك » حيث نرى الشاعر يسير في طريقه نحو التمثال . ويؤكد الشاعر هذه الصورة بقوله « تواري النهار » فالفعل « تواري » بطبعه مبطوط ، فيه بظء وانسحاب متريث ، وتلك خاصية الافعال المقيسة على « تفاعل » مثل تلاشى وتهادى وتمادى ، فهي توحى بحركة مرتخية متمهلة . ومن المؤكد ان الشاعر لو استعمل كلمة ( غاب ) في مكان « تواري » لما استطاع ان يعطي هذا الاثر .

وينتقل المشهد الغروبي الى الليل الكامل فنرى الشاعر قد انتهى من اجتياز الطريق وبلغ موضع التمثال وراح يخاطبه :

أيهذا التمثال ، ها أنذا جئت لالقاك ،  
في السكون العميق  
حاملا من غرائب البر والبحر ،  
ومن كل محدث وعريق  
ذاك صيدي الذي اعود به ليلا  
وأمضي اليه عند الشروق

وابرز ما يلفت النظر هنا عبارة « أعود به ليلا » التي كان الفعل فيها مضارعا ، وهو اول مضارع استعمله الشاعر ، بعد سلسلة الافعال الماضية « اقبل ، تواري ، مدّ ، جئت » .

والسبب في استعمال المضارع هنا ان الشاعر يريد ان يوحي بالاستمرارية في حركة هذه « العودة » . فهو يخرج كل صباح ويعود كل مساء ليصطاد الكنوز ويلقيها على قدمي تمثاله . وفائدة هذه الاستمرارية انها تمدّ الزمن وتطيله حتى يشيب الشاعر في القسم الثاني من القصيدة ، وهي فترة عانى الشاعر كثيرا قبل أن يبلغها كما يتضح من الايات التالية يخاطب بها الشاعر تمثاله :

بيدي هذه جبلتك ، من قلبي  
ومن رونق الشباب الانيق  
كلما شمتُ بارقا من جمال  
طرتُ في اثره أشقّ طريقي  
شهد النجم كم اخذت من الروعة عنه  
ومن صفاء البريق  
شهد الطير كم سكبت أغانيه  
على مسميك سكب الرحيق  
شهد الكرم كم عصرت جناه  
وملأت الكؤوس من ابريقي  
شهد البرّ ما تركت من الغار  
على معطف الريح الوريقي  
شهد البحر

لم ادع فيه من درّ جدير بفرقيك خليق

ان هذه الايات تقدم حركة واسعة ، لا في الزمان وحسب ، ولكن في

المكان أيضا ، في عرض العالم وطوله : الى النجوم لاقتباس بريقها وروعنها  
والى الكروم لملء الكؤوس بالعصير لشفتيه ، والى البحر اصطيادا للؤلؤ والمرجان  
وكل ما يليق بمفرقه . ومما لا شك فيه ان هذه الحركة المكانية قد استغرقت  
زمانا طويلا ، وقد قصد الشاعر ان يرينا كيف استنزف شيابه وسعادته في  
تنسيق تمثاله وتزيينه ومنحه العنق والجمال . وقد افادت كلمة « كم » اذ  
أوحى بتعدد « الحدث » مما يقتضى زمانا أطول وابطأ . ثم تأتي ، بعد ذلك ،  
الطبيعة بغاباتها وجبالها ووديانها وممالكها وقاراتها وتواريخها فيمضي الشاعر  
يلفها حول تمثاله المعجيب :

ولقد حيرَ الطبيعة اسرائي لها  
كلّ ليلة وطروقي  
واقنحامي الضحى عليها  
كراع أسويّ او صائد افريقي

او اله مجنح يتراءى  
في خيالات شاعر اغريقي

في هذه الايات نجد الشاعر ما زال ينزع العالم والزمن من اجل تمثاله ،  
وقد استعمل لفظي « الاسراء » و « الطروق » وهما فعلان يدلان على  
الزمن . وجعل الشاعر اسراءه « كل ليلة » وجعل اقتحامه الضحى تارة على  
صورة راع من رعاة آسيا وتارة على صورة صياد من افريقيا ، ثم رجع  
بالزمن الى الوراء اكثر من عشرين قرنا فاتخذ هيئة شاعر اغريقي تتراءى له  
خيالات الآلهة القدماء .

الى هنا انتهى الشاعر من مرحلة « العرض » فأحاط القارىء بظروف  
تجربته الانسانية . وقد رأينا ان العاطفة كانت متكافئة في الايات فلم تتركز  
في مكان خاص ، وانما تحركت في الزمن في خطوات دائبة مستمرة متشابهة  
في سرعتها وسعتها . وكان المقصد في كل بيت ان يضي الشاعر صورة جديدة

من جهده ومناعبه ، في خلق هذا النشال وتزيينه ونخليده . وفجأة يبدأ الشعور  
بالتعقد والاندفاع نحو قمة عاطفة يوحى بها جوّ القصيدة وكأنه ينذر بعاطفة  
رهيبية . وتظهر بوادر هذا في خطاب يوجهه الشاعر المجهد الى « الطبيعة » :

قلت : لا تمجبي ! فما أنا الا  
شبح لجّ في الخفاء الوثيق  
أنا ، يا أمّ ، صانع الامل الضاحك  
في صورة الغد المرموق  
صغته صوغ خالق بعشق الفنّ  
ويسسو لكل معنى دقيق  
وتنظرته حياة ،  
فأعياني ديبّ الحياة في مخلوقي  
كلّ يوم اقول : في الغد . لكن  
استّ القاه في غد بالمفيع  
ضاع عمري ، وما بلغت طريقي  
وشكا القلب من عذاب وضيق

الفعل « تنظر » اكتف من الفعل « انتظر » ويوحى بفترة انتظار أطول  
وأمرّ ، وهذه هي حالة الشاعر الذي أضاع عمره في خلق تمثاله الغد أملا  
بأن تدبّ فيه الحياة ، وقد طال به انتظاره ، وعبث به الامل ، وبدأ يتقل  
عليه . وقد راحت طلائع اليأس الاخير تلوح اذ اقترب الشاعر من الشيخوخة .  
ولذلك يبعث صرخته الدامية :

ضاع عمري ... وما بلغت طريقي ...

ولا بد لنا ان ننتبه الى الفرق الواضح في كثافة الشعور بين الايات الثلاثة  
الاولى ، والثلاثة الاخيرة ، فهي وسعنا ان نجزم بأنه اكتف في الاخيرة . الا

اننا لو اردنا الدقة لقلنا ان هذه الكثافة تزداد نسبة شبه ثابتة كلما تقدمنا في  
الايات . ففي البيت الاول يصف الشاعر نفسه بأنه شبح وثيق الخفاء  
وهذا يكاد يخلو من الافعال وكأن الشاعر يحس ان عليه ان يقدم نفسه  
لأمة الطبيعة بهدوء . الا انه في البيت الثاني يبدأ بتفصيل أمره قائلا انه  
« صانع الامل الضاحك » ويعرضه هذا الى بداية الافعال فيصرخ في  
البيت الثالث :

صغته صوغ خالق يعشق الفنّ  
ويسو لكل معنىً دقيق

وفي هذا اول بوادر الشكوى ، فهو يذكر الطبيعة بأنه قد « جهد »  
في خلق تساله كما يجهد فنان اصيل . ولهذا التذكير دلالة النفسية التي  
تندّر بما بعدها . وسرعان ما يشتدّ افعال الشاعر فيبرز بوضوح في  
الايات الثلاثة التالية حيث يشكو طول انتظاره وعدم ديب الحياة في ذلك  
التصال ، ويبلغ الشعور درجة المرارة في قوله :

كل يوم اقول : في الغد .  
لكن لست ألقاه في غدٍ بالمقيم  
ويصل الى درجة اليأس حين ينادي :  
ضاع عمري ، وما بلغت طريقى .  
وشكا القلب من عذابٍ وضيق

وبعد هذه الصرخة اليائسة تبدأ « قمة » القصيدة فيتركز الشعور في  
مشهد العاصفة التي يرمز بها الشاعر الى فترة الشيخوخة في حياة الفنان .  
وستكتفي هنا بنسخ الايات التي تنوب عنا في الحديث عن نفسها :

معبدي ، معبدي ، دجا الليل الا  
رعشة الضوء في السراج الخفوق  
زأرت حولك العواصف لما  
قهقه الرعد لالتماع البروق

لطت في الدجى نوافذك الضم  
ودقت بكل سيلٍ دقوق  
يا لتثالي الجنيل احتواه  
سارب الماء كالشهد الغريق  
لم أعد ذلك القوي فأحيه  
من الويل والبلاء المحيق  
ليلتي ، ليلتي ، جنيت من الآثام  
حتى حسلت ما لم تطقي  
فاطربي واشربي صباة كأس  
خبرها سال من صميم عروقي

هنا تبلغ المأساة قمتها ، فبعد أن شاركنا الشاعر في صنع تمثاله وجبنا معه  
العالم لتزيينه ، وقفنا معه نشهد تحطه ، في سورة العاصفة الرهيبية ، والجرافه  
في تيارات الماء السارية . وتبعث صرخة « الخالق » المدحور أحد وأمر من  
آية صرخة سابقة :

لم أعد ذلك القوي فأحيه  
من الويل والبلاء المحيق

ونحس أنا هنا بازاء القمة نفسها ، وقد تجبعت قوى الشعور والحياة  
لتخلق هذه القمة ، فلا بد أن تبدأ القوى بالانخفاض بعدها . ويجيء البيتان  
التاليان مصداقا فالفنان قد استسلم وانهمزم وهو يدعو ليلته المخيفة الى أن  
تسكر من دمه .

وتسرع القوى العاطفية بعد ذلك الى الانحلال والتشتت ، وتبدأ النهاية ،  
وقد أتتها الشاعر في سبعة أبيات بديعة الجمال :

مر نور الضحى على آدمي مطرق  
في اختلاجة المصعوق

في يديه حطامة الأمل الذاهب  
في ميعة الصبا الموموق  
واجما ، أطبق الأسى شفتيه  
غير صوت ، عبر الحياة ، طليق  
صاح بالشمس : لا يرُعك عذابي  
فاسكبي النار في دمي وأريقي  
نارك المشتهاة أندی على القلب  
وأحني من الفؤاد الشفيق  
فخذي الجسم حفنة من رمادٍ  
وخذي الروح شعلة من حريق  
جن قلبي فسا يرى دمه القاني  
على خنجر القضاء الرقيق

ان هذا المشهد يمتلك كل خصائص النهاية الجيدة لهيكل هرمي ، فبعد الحركة العنيفة التي دار بنا الشاعر خلالها في رحاب القرون ومجاهل العالم ، وبعد مشهد العاصفة الجنونية وهي تزار وتلطم النوافذ وتندفق سيولها محطمة مدمرة حارقة ، بعد تلك الحركة وهذه الضجة ، يهدأ كل شيء فجأة ، ويطلع الضحى .. وفي الضوء يبرز المشهد الاليم فنرى الشاعر مختلجا ، مصعوقا ، واجما ، صامتا ، وبين يديه بقايا تشاله المحطم . وتتلاشى القصيدة شيئا فشيئا حتى تخبو في آخر تأوهات الفنان وهو يتوسل الى الشمس ان تسكب نارها في دمه دونما رأفة ولا شفقة .

هذا التلاشي والوجوم والضت هو عنصر السكون في خاتمة هذه القصيدة الحركية المفدّة ذات الهيكل الهرمي المحكم .  
ولا بد لنا ، قبل ان تنتهي من دراسة الهيكل في هذه القصيدة ، أن نشير الى أسلوب لفظي استعمله الشاعر في ربط القصيدة وشدّها الى بعضها داخل

اطار ، ذلك ان القصيدة تقع في قسمين رئيسيين ، ينتهي أولهما بهذا البيت :  
ضاع عبري وما بلغت طريقي  
وشكا القلب من عذاب وضيق

وما بعده هو القسم الثاني . ولو دققنا النظر لوجدنا ان الشاعر قد استعمل في القسم الاول لفظتين كررهما في القسم الثاني ، وهما «الليل» و «الضحى» . وقد كان هذا التكرار نافعاً في المقارنة بين حالتين : ففي القسم الاول كان الليل هو الوقت الذي يلتقي فيه الشاعر بشاله ، منتصراً ، حاملاً اليه غرائب البر والبحر . وكان الضحى مغلوباً ، فالشاعر - كما يخبرنا - «يفتحم الضحى» أما في القسم الثاني فقد انعكست الحالة انعكاساً مؤلماً فإيكاد الليل يهبط حتى تزار العاصفة وتلطم النوافذ وتحطم التمثال . ونسح الشاعر المدحور ينادي صارخاً :

ليلتي ، ليلتي ، جنيت من الآثام  
حتى حلت ما لم تطيقي  
فاطربي ، واشربي صبابة كأس  
خبرها سال من حسيم عروقي

اما «الضحى» فهو هذه المرة ، يبرّ على انسان محطم انقطعت علاقته بذلك «المفتحم» القديم الغلاب بزهو وشبابه وانتصاره . وهكذا استعان الشاعر بالليل والضحى في خلق هذا التضاد الفني الذي يستر المقارنة وكثف جو القصيدة واحكم بناءها .

وقد جاءت في القصيدة صور أخرى من المقارنة غير المباشرة ، فالشاعر ، في القسم الاول ، قد سسى نفسه «خالقاً» . اما في القسم الثاني فهو ليس الا «آدمياً» وقد ساعد ذلك في تكثيف الجو النفسي لهذه القصيدة الرائعة .

### ج - الهيكل الذهني

رأينا ان هيكل القصيدة ليس الا الاسلوب الذي يدخل به الشاعر الحركة

في قصيدته فعندما كان الهيكل مسطحا والارتكاز ساكنا عوض الشاعر بالعواطف  
والصور عن هذا السكون . وعندما كان الهيكل هرميا والارتكاز متحركا لم  
يحتج الشاعر الى اي تمويض ونحن الآن بازاء النوع الثالث وهو الذي سسميه  
بالاطار الذهني . ونحن نغزله عن النوعين الاخرين لانه يقدم عنصر الحركة  
على اسلوب فكري . فبدلا من ان يستغرق التحرك زمانا ، كما في قصيدة  
« التمثال » نجد الحركة لا تستغرق أي زمن لانها حركة في الذهن يقصد بها  
بناء هيكل فكري لا وصف حدث يستغرق زمانا . واكثر ما ينجح هذا  
الهيكل في القصائد التي تحتوي على فكرة يناقشها الشاعر بالامثلة المتلاحقة .  
وهذا نوع من الشعر يكثر في شعر شعراء المهجر جبران ونعيسة وابو ماضي .  
ونموذج هذا الهيكل قصيدة العنقاء<sup>(1)</sup> لايلى ابو ماضي . وقد رمز الشاعر  
بالعنقاء الى السعادة - كما يلوح - ومن ثم بقي يسأل عنها ويبحث لعله يعثر  
عليها . التمسها أولا في الطبيعة ، ثم في القصور ، ثم في الزهد ، ثم في  
الاحلام ، ولكنه لم يصادفها . وبعد فوات الاوان ادرك انها كانت معه طيلة  
الوقت وهو لا يدري . وتتجلى الحركة الذهنية في الانتقال من الطبيعة الى  
القصور ، الى الزهد ، وهكذا . ذلك ان هذه ليست حركة في الزمن ، ولا  
هي حركة في المكان . وانما قصد الشاعر ان يوازن بين مختلف منابع السعادة  
موازنة ذهنية فيمر بكل منها ويستعرض الامكانيات لينتهي الى ان السعادة  
انما تنبع من نفس الانسان لا من خارجها . وهكذا نرى ان التتابع الزمني  
ليس مقصودا هنا ، والدليل اننا نستطيع ان تقدم البحث في الاحلام ، على  
البحث في القصور او الصوامع دون ان تضطرب القصيدة او يتغير مدلولها  
العام . وهذا ما لا يمكن ان نصنعه في قصيدة ( التمثال ) حيث كان الاحاح  
على التسلسل الزمني جزءا ضروريا من كيان القصيدة ومدلولها . ولذلك  
نميز بين الهيكلين هذا التمييز التام : فالهيكل الهرمي يدخل الزمن في كيان  
القصيدة ، بينما لا يحتاج الهيكل الذهني الى ان يحيا في زمان .

(1) الجداول ، لايلى ابو ماضي

مثال عليه : ومع ذلك فالهيكل الذهبي ليس ساكنا وانما هو هيكل حركي ،  
ينتقل فيه الذهن من فكرة الى فكرة خارج حدود الزمن . لناخذ مثلا قصيدة  
« انت وانا »<sup>(١)</sup> لامجد الطرابلسي وهي نموذج جيد للهيكل الذهني يقول  
الشاعر :

اما رأيتِ الليلةَ الحالكه  
تجلو دجاها البرقة الساطعه  
والطفلة المشرقة الضاحكه  
تحننها لعبتها الضائمه  
فانتي الليلة يا برقتي  
وانتي الطفلة يا لعبتي  
يا فرحتي انتِ ويا دمعتي

ان تجدي الناسك في ديره  
تهزّه نعمة أرغته  
والفاجر العرييد في سكره  
ترعشه النظرة من دته  
فانتي الناسك يا نعمتي  
وانتي السكران يا خمرتي  
يا سقري أنتِ ويا جنتي

اما رأيتِ الشعرا السادرا  
يقدّس الحسن على سبخته

(١) نشرت في مجلة الرسالة ربما في سنة ١٩٤١ .

والاهوج المضطرم الفائرا  
تهيج الاجساد من نهمته  
فاتي الشاعر يا سبحتي  
واتي الاهوج يا نهمتي  
يا جسدي انت ويا فكرتي

ان تجدي المبتهل المؤمنا  
يصبوا الى الحورية الطاهره  
والماجن المستهر الارغنا  
يستعذب السم من العاهره  
فاتي المبتهل المؤمن  
واتي المستهر الارغن  
دليلتي انت وهوريتي

الفكرة الاساسية في هذه القصيدة ان الشاعر يرى في حبيته الحياة كلها على اختلاف أحاسيسها وتقلب أهوائها . وقد عبّر الشاعر عن هذه الفكرة بان ادخل حركة ذهنية في القصيدة ، فراح ينقل ذهن القارئ بين المظاهر المتعددة للفكرة دون ان يحتاج الى استعمال الزمن . فقال في المقطوعة الاولى ان احساسه تجاه هذه الفتاة يتضمن المتعاكسين من العواطف : الفرح والحزن . وفي المقطوعة الثانية تحدث عن عنصر الخير والشر في هذا الحب . وفي المقطوعة الثالثة ركز الفكرة حول الجسد والجمال الفكري . وكانت المقطوعة الاخيرة شبه ختام اذ قال للحبيبة انها في الوقت نفسه « دليلته » <sup>(1)</sup> وهوريته فهي

(1) يبدو من السياق هنا ان الاشارة الى قصة «شمشون ودليلة» .

تجمع في ذاتها الايمان والمجون معا .

ان الهيكل هنا غير هرمي ، فسن المسكن ان ننقل مقطوعة مكان اخرى دون أن نَسَّ القصيد ، وهذا لان الحركة كانت ذهنية خارجية ، ولم يتدخل فيها الزمن لتكون هناك عقدة ذات سياق تسلسلي يمنع من التقديم والتأخير .

والخاتمة في الهيكل الذهني تستدعي شيئا من البروز والجهورية ، فقلما تتلاشى هذه الهياكل في سكون ، لخلوها من عنصر الزمن . ولكن جهورية الختام في الهيكل الذهني نوع خاص يختلف عن جهورته في الهيكل المسطح . فبينما يستطيع الشاعر هناك ان يختم القصيدة بأية عبارة قاطعة حادة قوية المعنى ، تجده في الهيكل الذهني يحتاج الى أن يختمها بحكم عام ينهي المشكلة الفكرية التي أثارها ، وذلك باحداث موازنة بين نقط الحركة الذهنية كما . وهكذا وجدنا ايليا ابو ماضي ، بعد البحث عن عنقائه في الطبيعة والقصور والصوامع والاحلام ، يختم القصيدة بموازنة عامة يخبر فيها القارئ ان السعادة تتبع من نفس الانسان لا ما حوله . ومن دون هذه الموازنة تبقى قضايد هذا النوع من الهيكل ناقصة بحيث تترك في نفس القارئ احساسا بما يسئ في علم النفس بالفعالية الناقصة . ولعل قصيدة أمجد الطرابلسي تفتقد مقطعا ختاميا ينتهي بالقارئ الى فكرة أعم تخرج القصيدة من صيغتها الغنائية الحالية ، فهي تكاد تكون - بقاطعها كلها - صورة لفكرة واحدة هي اجتماع المتعارضات كلها في هذه الفتاة التي يحبها الشاعر . وقد يكون الشاعر تعمّد التخلص من مآزق الختام بتغييره الصيغة اللفظية التي ختم بها المقاطع الثلاثة السابقة :

يا فرحتي انت ويا دمعتي  
يا سقري انت ويا جنتي  
يا جسدي انت ويا فكرتي

فقد خرج عنها الى هذا :  
دليلتي انت و حوريتي

غير ان هذا ، في الواقع ، ليس من القوة بحيث يختم قصيدة ذات هيكل ذهني . الا اذا اردنا ان نعتبرها اغنية حلوة تحاول التعبير عن المعنى الواحد في مقاطع متتالية ، وليس لنا ان نطلب الفكرة فيها .

## الفصل الثاني

# امايب التكرار في الشعر

على الرغم من أن التكرار كان معروفا للعرب منذ ايام الجاهلية الاولى ، وقد ورد في الشعر العربي بين العيين والحين ، الا انه في الواقع لم يتخذ شكله الواضح الا في عصرنا . وقد جاءت على ابناء هذا القرن فترة من الزمن ، عدوا خلالها التكرار ، في بعض صورته ، لونا من الوان التجديد في الشعر . ومن المؤكد ان الاتجاه نحو هذا الاسلوب التعبيري ما زال في اطراد بحيث يصح أن نرقبه ، وقف منه موقفا يقظا . أقول هذا ، لالاني أعدته اسلوبا ردينا ، فهذا بعيد عن رأيي ، وانما لانه - حين يعد اسلوبا سهلا - يستطيع ان يردي شعر اي شاعر الى هاوية .

ذلك ان اسلوب التكرار يحتوي على كل ما يتضمنه اي اسلوب آخر من امكانيات تعبيرية . انه في الشعر مثله في لغة الكلام ، يستطيع ان يفني المعنى ويرفعه الى مرتبة الاصاله ، ذلك ان استطاع الشاعر ان يسيطر عليه سيطرة

كاملة ، ويستخدمه في موضعه ، والا فليس أيسر من ان يتحول هذا التكرار نفسه بالشعر الى اللفظية المتبدلة التي يمكن ان يقع فيها أولئك الشعراء الذين ينقصهم الحسن اللغوي والموهبة والاصالة .

والقاعدة الاولية في التكرار ، أن اللفظ المكرر ينبغي أن يكون وثيق الارتباط بالمعنى العام ، والا كان لفظية متكلفة لا سبيل الى قبولها . كما انه لا بد ان يخضع لكل ما يخضع له الشعر عسوما من قواعد ذوقية وجبالية وبيانية . فليس من المقبول مثلا ، ان يكرر الشاعر افظا ضعيف الارتباط بما حوله ، او لفظا ينفر منه السمع ، الا اذا كان الغرض من ذلك « دراميا » ، يتعلق بهيكل القصيدة العام . وستوضح ناذج الشعر التي اخترتها ما اقصد بهذا . كما ان البحث لن يخلو من ناذج للتكرار الرديء الذي يصدم الحسن الجمالي ويخرج عن الغرض الذي ينبغي ان يقصد اليه أي تكرار .

ولعل ابسط ألوان التكرار ، تكرار كلمة واحدة في اول كل بيت من مجموعة أبيات متتالية في قصيدة ، وهو لون شائع في شعرنا المعاصر ، يتكئ اليه احيانا صغار الشعراء في محاولتهم تهيئة الجو الموسيقي لقصائدهم الرديئة ، حتى كثرت القصائد التي يبدأ كل بيت فيها بألفاظ مثل « انت » و « تعالي » و « هنا » ونحوها . ولا ترتفع ناذج هذا اللون من التكرار الى مرتبة الاصاله والجمال الا على يدي شاعر موهوب يدرك ان المعول في مثله ، لا على التكرار نفسه ، وانما على ما بعد الكلمة المكررة ، فان كان مبتدلا ، رديئا ، سقطت القصيدة ، والا فهي في مستوى قصيدة الهشري « الى جنة الفاتنة » وهذا نموذج منها :

أنت كوخٌ معشوشبٌ في ربّابةٍ  
مقبرٌ الصتِ ، سرمديّ الخيالِ  
نعمتٌ روعيّ الكليله تشوي  
فيه ، ترعى فجريّ هذا الجمالِ

أنتِ صمتٌ مخيمٌ قفصاءُ  
فظلامٌ مكوكبٌ فنهارةُ  
فهمودٌ تدبُّ فيه حياةُ  
ويغني في فجرها النوبهارُ

أنتِ كلُّ الحياة ، أنتِ كياني  
أنتِ روعي أبصرتها في سباتي  
أنتِ وحيي مجسداً ، أنتِ لحيي  
يا ساءاً على ساء حياتي<sup>(١)</sup>

والملاحظ ان كثيرا ما كتب المعاصرون من هذا اللون رديء تغلب عليه  
اللفظية ، وعلّة هذه الرداءة أن طائفة من الشعراء تضيق بهم سبل التعبير  
فيلجأون الى التكرار ، التماسا لموسيقى يحسبون انه يضيفها أو تشبها بشاعر  
كبير ، او ملأ الفراغ . ومن النماذج المبتكرة تكرار كلمة « نسيت » في  
قصيدة « نهر النسيان » لمحمود حسن اسماعيل ، فهذا تكرار يتعلق نعلقا  
مباشرا ببناء القصيدة العام ، وهو احد الاسباب التي جعلتنا نعدّه تكرارا  
ناحجا غير انظي ، كما نعد القصيدة نفسها واحدة من اجبل ما كتب شعراؤنا  
المعاصرون . ولعل من المناسب ان أقتطف نموذجا من القصيدة ليلاحظ  
القارئ العناية الكبيرة التي صبها الشاعر على ما يلي لفظة « نسيت » في كل  
بيت ، وهو سر جمال التكرار ونجاحه :

من « نهر النسيان »<sup>(١)</sup>

ونسيت الانسام تنقل في المرج صلاة الطيور للغدران

- (١) الروائع لشعراء الجيل . مطبعة الشيكشي بالازهر . القاهرة .  
(٢) ديوان ابن المفر . محمود حسن اسماعيل . القاهرة ١٩٤٧ .

ونسيت النجوم وهي على الافق نشيد مبعر الاوزان  
ونسيت الربيع وهو نديم الشعر والطيور والهوى والاماني  
ونسيت الخريف وهو صبا مات فسجته شية الاغصان  
ونسيت الظلام وهو اسي الارض وتابوت شجوها الحيران  
ونسيت الاكواخ وهي قلوب داميات تلفعت بالدخان  
ونسيت القصور وهي قبور ضاحكات البلى من البهتان

هذا نموذج يتوفر فيه الشرطان ، فاللفظ المكرر متين الارتباط بالسياق :  
وما بعده قد لقي عناية الشاعر الكاملة .

يلي تكرار الكلمة تكرار العبارة ، وهو أقل في شعرنا المعاصر ، وتكثر  
نماذجه في الشعر الجاهلي ومنه في شعر المهلهل :

ذهب الصلح او تردوا كلييا او تحلوا على الحكومة حلا  
ذهب الصلح او تردوا كلييا أو أذيق الغداة شيان ثكلا  
ذهب الصلح او تردوا كلييا أو تنال العداة هونا وذلا

وقد كرر المهلهل عبارة « على ان ليس عدلا من كليب » في قصيدة اخرى  
اكثر من عشرين مرة على رواية ابي الهلال العسكري . وأشهر من هذا  
تكراره لعبارة « قرّبا مربط المشهر مني » ويقصد بالمشهر فرسه وهو  
يستدعيه بذلك ايذانا بعزمه على الحرب ، وردّ منه على قصيدة الحارث بن  
عباد التي استدعي فيها فرسه « النعام » مكرّرا عبارة :  
قرّبا مربط النعام مني

ولا يخفى أن للتكرار في هذه المواضع كلها علاقة كبيرة بطروف الشاعر  
النفسية ، وطبيعة حياته البدوية . ولا شك في انه كان يلاحظ ان التكرار  
يشير الحماسة في صدور المحيطين به ويستفزهم للقتال . ومن ثم استعمله .

وأحد النماذج المألوفة لهذا التكرار في عصرنا ، تكرار بيت كامل من الشعر ، في ختام المقطوعة ، وقصيدة ميخائيل نعيمة « الطمأنينة » مثال ناجح له :

سقف ييتي حديد°	ركن ييتي حجر
فاعصفي يا رياح	واتحب يا شجر
واسبحي يا غيوم	واهطلي بالمطر
واقصفي يا رعود	لست أخشى خطر
سقف ييتي حديد	ركن ييتي حجر

من سراجي الضئيل	استمد البصر°
كلما الليل جاء	والظلام اتشر
وإذا الفجر مات	والنهار اتحمر
فاختفي يا نجوم	وانظفىء يا قمر
من سراجي الضئيل	استمد البصر (١)

ولنلاحظ ان هذا اللون من التكرار لا ينجح في القصائد التي تقدم فكرة عامة لا يمكن تقطيعها ، لأن البيت المكرر يقوم بما يشبه عمل النقطة في ختام عبارة تم معناها ، ومن ثم فانه يوقف التسلسل وقفة قصيرة ويهيء لمقطع جديد . وقد رأينا ان قصيدة نعيمة تقدم نماذج فرعية لمعنى الطمأنينة العام ، وقد وقفت كل مقطوعة نفسها على نموذج فرعي واحد انتهت عنده ، وهذا هو سر نجاح التكرار في القصيدة . ويفشل هذا التكرار في القصائد التي تتسلسل معانيها تسلسلا لا داعي فيه للتقطع . ومن نماذجه قصيدة عنوانها « سجين » لبدر

(١) ديوان همس الجفون لميخائيل نعيمة .

شاكر السياب ، يبدو التكرار في ختام كل مقطع منها صادما يعوق التسلسل ،  
ويوقفه دون داع ، وهذان مقطعان منها :

ذراعا أبي تلقيان الظلال°  
ذراعا أبي والسراج الحزين  
وحفّت بي الاوجه الجائعات  
ذراعا أبي تلقيان الظلال  
على روجي المستهام الغريب  
يطاردني في ارتعاش رتيب  
حيارى فيا للجدار الرهيب  
على روجي المستهام الغريب

لكن  
نفس الردى

وطال انتظاري .. كأن الزمان  
وعيناي ملء الشمال البعيد  
وأنت النقاء الثرى بالسما  
وطال انتظاري كأن الزمان  
تلاشى فلم يبق الا انتظار !  
فيا ليتي أستطيع الفرار  
على الآل في نائيات القفار  
تلاشى فلم يبق الا انتظار (١)

التكرار هنا يبدو تلونا مجردا ليس له داع ، وهو يوقف الانسياب  
الشعوري للقصيد التي تملك كسائر قصائد هذا الشاعر وحدة محبة يؤسفنا  
ان نتعثر لاهثة في ختام كل مقطع . وقد كان موضع التكرار هنا - رغم  
تسلسل القصيدة وطبيعتها التي لا تقبل التقطيع - يمكن ان يتحسن لو عني  
الشاعر بأن يجعل البيت الثالث في المقطوعة يفضي بعناه الى البيت الرابع  
المكرر ، كما في مقطوعات ميخائيل نعيمة ، فاذ ذلك يمتلك التكرار سببا واحدا  
يرر وجوده في قصيدة لا تحتاج اليه اطلاقا .

ومن هذا اللون من التكرار ، ما يكرر الشاعر فيه كلمة او عبارة معينة في  
ختام مقطوعات القصيدة جميعا ، وهو لون شائع مثاله تكرار ايليا ابو ماضي  
لعبارة « لست ادري » في قصيدة الطلاس المشهورة ، وتكرار علي محسود

(١) ديوان أساطير لبدر شاكر السياب . النجف . ١٩٥٠ .

طه لعبارة « اسقنا من خمرة الرين اسقنا » في قصيدة « خمره نهر الرين » .  
وشرط هذا النوع من التكرار ان يوحد القصيدة في اتجاه يقصده الشاعر ،  
والا كان زيادة لا غرض لها .

ثم تنتقل الى تكرار المقطع كاملا ، وهو تكرار يخضع لشروط تكرار  
البيت عينها ، أعني ايقاف المعنى لبدء معنى جديد . ومن امثله قصيدة  
« الصباح الجديد » لابي القاسم الشابي وقد كرر المقطع التالي اكثر من مرة .

أسكتي يا رياح      واسكني يا شجون  
مات عهد النواح      وزمان الجنون  
وأطل الصباح      من وراء القرون (١)

ومع ان هذا التكرار لم يضر بالقصيدة ، الا انه لم يفدها كثيرا . وربما  
كان اجمل لو حذفه الشاعر ، فالقصيدة ، من دونه ، لا تخسر شيئا .  
ويلاحظ ان هذا التكرار المقطعي يحتاج الى وعي كبير من الشاعر ، بطبيعة  
كونه تكرارا طويلا يمتد الى مقطع كامل . وأضن سبيل الى نجاحه ان يعدد  
الشاعر الى ادخال تغيير طفيف على المقطع المكرر . والتفسير السايكولوجي  
لجبال هذا التغيير ، أن القارئ ، وقد مرّ به هذا المقطع ، يتذكره حين  
يعود اليه مكررا في مكان آخر من القصيدة ، وهو ، بطبيعة الحال ، يتوقع  
توقعا غير واع ان يجده كما مر به تماما . ولذلك يحس برعشة من السرور حين  
يلاحظ فجأة ان الطريق قد اختلف ، وان الشاعر يقدم له ، في حدود ما سبق  
ان قرأه ، لونا جديدا . ولا أجد في ما بين يدي من الدواوين نموذجاً لهذا  
التكرار باستثناء قصيدتي « الجرح الغاضب » التي نشرت في مجموعتي

(١) الشابي حياته وشعره لابي القاسم محمد كرو .

« شظايا ورماد » فإنّ المقطع الأخير من هذه القصيدة تكرر " لمقطع سابق .  
ويهمني أن أشير الى أن التكرار في قصيدة « الجرح الغاضب » على الرغم  
من ألوانه المختلفة عن الوان المقطع الاصيلي ، لا يدخل على هيكل القصيدة  
المعنوي " تغييرا ، وانما يؤكد لا اكثر - فهو تكرر بياني ( كما سنشرح في  
البحث التالي ) . والخطوة التالية التي يمكن ان يخطوها الشاعر في هذا  
التكرار المقطعي ، ان يقيم هيكل المعنى في القصيدة على التلوين الذي يدخله ،  
بالصورة التي ينتها ، على المقطع الاصيلي الذي يكرره ، والنموذج الذي  
أحبّه وأريد تقديمه للقارىء ، قصيدة بديعة لامجد الطرابلسي قرأتها في مجلة  
« الرسالة » منذ سنين وعنوانها « احترق .. احترق » اقلها هنا كاملة :

لا تقف يا قطار لا تهن يا خفق  
نخلات الديار من وراء البحار  
لمعت في الافق  
وبك لا تحترق  
قد بلغنا الفناء بعد كدّ المسير  
ليس دون اللقاء بعد هذا المساء  
غير بعض العصور  
وبحارّ تسور  
سر بنا سر بنا في الدجى يا أمل  
الهوى نائنا والمدى غائنا  
يا هنا من وصل  
بعد فوت الاجل  
قف بنا يا قطار واسترح يا خفق  
بيننا والديار غرات البحار  
وظلام الافق  
احترق .. احترق ..

ألا يتعلق التكرار هنا تعلقاً قوياً ببناء القصيدة العام بحيث يستحيل حذفه دون أن تنهار القصيدة؟ ذلك أن القصيدة - وهي غامضة، صوفية الاحساس، عني الشاعر فيها برسم الجوّ، أكثر مما عني بتقديم المعنى مفروزا، مرتبطاً، متسلسلاً - تبدأ بالامل في العودة الى الديار، ذلك الامل الذي يغذيه لمعان نخيل الديار من وراء البحار، ثم يتذكر الشاعر الزمن والموت وطبيعة الامل الزئبقية. ويتسع في ذهنه مدلول الديار فيتحول الى ما هو أعمق من الارض وأبعد، واذ ذلك يرسل صرخته الاخيرة: «قف بنا يا قطار» . وبالتلون اللفظي الذي أدخله الشاعر في المقطع المكرر تغير اتجاه المعنى في القصيدة كلياً، فاستحالت «لا تحترق» التي جاءت في أول القصيدة الى «احترق»، التي ختمتها. وكانت هذه مقارنة صامتة بين حس الامل في المقطع الاصلي، وحس اليأس في المقطع المكرر. وقد كان الشاعر فنانياً وهو يختار «احترق احترق» عنواناً، لانها، كما رأينا، ملخص الصراع كله، واليهما ترتكز القصيدة.

وتجرتني هذه القصيدة التي اختسها الشاعر بالتكرار الى الوقوف لحظة عند قضية اختتام القصائد بتكرار مقاطع سابقة منها، وهو اسلوب غير نادر في شعرنا اليوم. في الواقع أن كثيراً من هذه الخواتيم تجيء غاية في الرداءة، والسبب ان بعض الشعراء الضعفاء يلجأون الى التكرار تهرباً من اختتام القصيدة اختتاماً طبيعياً، ومن طبيعة التكرار انه يوحى بانتهاء القصيدة وبذلك يستطيع ان يخدع القارئ العادي. على أن العيب الفني لا يفوت على قارئ متذوق يتحسس جمال التكرار ويدرك سر البلاغة فيه. وسأختار لهذا التكرار المضلل نموذجاً لشاعر تؤمن بشاعريته - فلا خير في أمثلة تقتطفها من شعراء لا قيسة لهم - قصيدة «الكوخ» من ديوان «اغاني الكوخ» الصادر سنة ١٩٣٤ لمحمود حسن اسماعيل، وهي قصيدة طويلة ضغطت فيها القافية الموحدة على الشاعر حتى أبرمته، وجعلته يتهرب من الخاتمة فأجهز على القصيدة بتكرار المطلع الذي كان، لسوء الحظ، مطلعاً رديئاً: (١)

بشر عليه الدمع ما صفتت  
في قلبك الالخان يا شاعر  
وأحرق له الاجفان ما متها  
برح الاسى والحزن يا ساهر

بقي من أنواع التكرار نوع دقيق يكثر استعماله في شعرنا الحديث .  
وهو تكرار الحرف ، وامثلته كثيرة منها هذان البيتان العذبان من قصيدة  
مشهورة لابي القاسم الشابي : (٢)

عذبة أنت كالطفولة ، كالأحلام ، كاللحن ، كالصباح الجديد  
كالساء الضحوك ، كالليلة القراء ، كالورد ، كالتسام الويد

فالشاعر يكرر الكاف هنا ويؤثرها على واو العطف لأنها تجدد التشبيه  
وتقوية محتفظة له بيقظة القارىء كاملة ، ولا شك في ان المعنى يفقد كثيرا او  
كان الشاعر قال :

« عذبة أنت كالطفولة والاحلام واللحن » ..  
وهذا نموذج ثان من قصيدة رائعة الجمال لبدر شاكر السياب عنوانها  
« أهواء » :

وهيمات ان الهوى لن يسوت      ولكن بعض الهوى يأفل  
كما تأفل الانجم الخافقات      كما يغرب الناظر المسبل  
كما تستجم البحار الفساح      مليا ، كما يرقد الجدول

(١) ديوان أغاني الكوخ لمحمود حسن اسماعيل . القاهرة ١٩٣٥ .  
(٢) كتاب الشابي حياته وشعره ، لابي القاسم محمد كرو .

كنوم اللظى، كانطواء الجناح، كما يصمت الناي والشمال<sup>(١)</sup>  
ويلاحظ ان التكرار هنا لو حذف لفقدت الصور الفرعية كثيرا من جمالها.  
غير ان للتكرار، كل تكرار، فائدة ايجابية تذهب الى ابعد من مجرد التحلية.  
وسوف نتناول ذلك في الفصل التالي .

---

(١) قصيدة اهواء لبدر شاكر السياب . ديوان ازهار ذابلة . مطبعة الكرنك  
بالفجالة بمصر - ١٩٤٧ .

## الفصل الثالث

### دلالة التكرار في الشعر

لا شك في أن التكرار ، بالصفة الواسعة التي يملكها اليوم في شعرنا ، موضوع لم تتناوله كتب البلاغة القديمة التي ما زلنا نستند إليها في تقييم اساليب اللغة . فقصارى ما نجد حوله ان أبا هلال العسكري يتحدث عنه حديثا عابرا في كتاب « الصناعتين » وكذلك يصنع ابن رشيق في « العمدة » . اما كتاب البديعيات الذكية فقد اعتبروه فرعا ثانويا من فروع البديع لا يفقون عنده الا لاما . ولم يصدر هذا عن اهمال مقصود واما أملته الظروف الادبية للعصر ، فقد كان اسلوب التكرار ثانويا في اللغة اذ ذلك فلم تقم حاجة السى التوسع في تقييم عناصره وتفصيل دلالاته .

وقد جاءتنا الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية بتطور ملحوظ في اساليب التعبير الشعري ، وكان التكرار احد هذه الاساليب ، فبرز بروزا يلفت النظر ، وراح شعرنا المعاصر يتكئ اليه اتكاء يبلغ أحيانا حدودا متطرفة لا تتم عن اتزان . وهذا النمو المفاجئ ، يقتضي ولا شك نموًا مماثلا في

في بلاغتنا التي لم تعد تسير التطور الجديد في اساليبنا التعبيرية ، حتى كادت تصبح تاريخا فقهيا للغة في بعض العصور الاخرى ، بدلا من أن تبقى علما متطورا يخدم اللغة ويعكس أحوالها ويسجل مراحل نموها . والواقع ان بلاغة أية لغة ينبغي ان تبقى علما مطاطا قابلا لنمو معها والا بعدت الشقة بينها وانحط شأن البلاغة .

والذي نحاوله في هذا الفصل ان نتناول موضوع التكرار بنوع من الدراسة البلاغية نستند فيها الى الشعر المعاصر ، رغبة في الوصول الى القوانين الاولية التي يسكن تيريرها من وجهة نظر النقد الادبي وعلم البلاغة معا ، وذلك دون أن نغفل قواعد اللغة القديسة وما تجنح اليه من تحفظ يرمي الى الاحتفاظ بجوهر اللغة الصافي .

ان ايسر قاعدة نستطيع ان نصوغها بالاستقراء ونستفيد منها هي ان التكرار ، في حقيقته ، الحاح على جهة هامة في العبارة يعنى بها الشاعر أكثر من عنايته بسواها . وهذا هو القانون الاول البسيط الذي نلسه كامنا في كل تكرار يخطر على البال . فالتكرار يسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة ويكشف عن اهتمام المتكلم بها ، وهو ، بهذا المعنى ، ذو دلالة نفسية قيّمة تهيد الناقد الادبي الذي يدرس الاثر ويحلل نفسية كاتبه . وعلى هذا فعندما يقول بشارة الخوري في افتتاحية قصيدة جيلة :

الهوى والشباب والامل المنشو      د توحى فتبعث الشعر حيا  
والهوى والشباب والامل المنشو      د ضاعت جيعها من يديا

عندما يقول هذا ، فانه يعبر بالتكرار عن حسرته على ضياع « الهوى والشباب والامل المنشود » ولذلك يكررها . فالتكرار يضع في ايدينا مفتاحا



للكرة المتسلطة على الشاعر ، وهو بذلك أحد الاضواء اللاشعورية التي يسلطها الشعر على أعماق الشاعر فيضيئها بحيث نطلع عليها . او لنقل انه جزء من الهندسة العاطفية للعبارة يحاول الشاعر فيه ان ينظم كلماته بحيث يقيم اساسا عاطفيا من نوع ما .

ان هذا القانون الاولي النافذ في كل تكرار يستطيع ان يدلنا على وجه الاختلال في بعض التكرارات غير الموقفة التي نجدها في الشعر المعاصر ، ومثالها هذه الايات من قصيدة للشاعر عبدالوهاب البياتي :

وخيلنا الخشبية العرجاء كنا في الجدار  
بالفحم نرسمها ونرسم حولها حقلا ودار  
حقلا ودار<sup>(١)</sup>

ان وجه الاعتراض هنا هو ان ( حقلا ودار ) هذه لا تستدعي اية عناية خاصة من الشاعر بحيث يحتاج الى ان يكررها . فماذا من الغرابة في ان يرسم هؤلاء الاطفال « حقلا ودار » حول « خيول خشبية عرجاء » ؟ ان الخيول تعادل في أهميتها « حقلا ودار » هذه بحيث لا يعود التكرار مقبولا . والحق ان القارئ يحس مرغبا بان هذا الطفل المتكلم بليد قليلا بحيث يدهش مما لا يدهش ، وهو معنى لا شك في ان الشاعر لم يقصد تصويره في شخصية الطفل ، وانما ساق اليه التكرار غير الموفق . وهكذا نجد السياق في الايات لا يستدعي التكرار الا اذا كان الشاعر يقصد ان يشير به نوعا من الصدى اللفظي لا أكثر .

وثاني قاعدة نستخلصها هي ان التكرار يخضع للقوانين الخفية التي تتحكم في العبارة ، وأحدها قانون التوازن . ففي كل عبارة طبيعية نوع من التوازن

(١) ديوان «اباريق مهشمة» ص ٤٨ (بغداد ١٩٥٤) .

الدقيق الخفي الذي ينبغي ان يحافظ عليه الشاعر في الحالات كلها . ان العبارة الموزونة كيانا ومركز ثقل وأطرافا ، وهي تخضع لنوع من الهندسة اللفظية الدقيقة التي لا بدّ للشاعر ان يعيها وهو يدخل التكرار على بعض مناطقها . ان في وسع التكرار غير الفطن ان يهدم التوازن الهندسي ويسيل بالعبارة كما تميل حصة دخيلة بكفة ميزان . ومن ثم فان القاعدة الثانية للتكرار تحتاج الى ان تستند الى وجهة النظر الهندسية هذه ، فتقرر ان التكرار يجب أن يجيء من العبارة في موضع لا يثقلها ولا يميل بوزنها الى جهة ما . يقول بدر شاكر السياب في قصيدة له :

في دروبٍ أطفأ الماضي مداها  
وطواها  
فاتبعيني اتبعيني . (١)

ان التوازن حاصل في هذه العبارة الشعرية ، وقد قام على تكرار كلمة « اتبعيني » . ذلك اتنا هنا بازاء طرفين متوازنين : « الماضي » الذي يذكره الشاعر ويفزع من انطفائه وتلاشييه : « والمستقبل » الذي يحاول تثيته ودعه عندما ينادي حبيته « اتبعيني » . انه يحسّ بانطفاء الدروب الضائعة في الامس فيحاول ان يسلك ثباتا في المستقبل على أساس الحب الانساني ، وبهذا ينم التوازن العاطفي للعبارة . وقد رتب الكلمات بحيث تلائمه هندسيا ، وذلك بأن أعطى الماضي فعلين قويين هما « اطفأ » و « طوى » فكان لا بدّ له ان يعطي المستقبل ايضا فعلين لكي يوحى بقوته ازاء هذا الماضي ولذلك كرر كلمة « اتبعيني » .

ولنتظر الآن في نماذج لعبارات شعرية مال بها التكرار وأخلّ بتوازنها

(١) ديوان (السلم) النجف ١٩٥٧ - ص ٤٠ .

وهدم هندستها :بيت لنزار قباني :

ماذا تصير الارض لو لم تكن

لو لم تكن عينك ماذا تصير؟<sup>(١)</sup>

وبيتان من شعر عبدالوهاب البياتي :

بالامس كنا - آه من كنا ومن امس يكون -

نعدو وراء ظلالنا - ... كنا ومن امس يكون -<sup>(٢)</sup>

وبيت لاحد عبدالمعطي حجازي :

وتضيء في ليل القرى ، ليل القرى كلماتنا<sup>(٣)</sup>

ان هذه التكرارات كلها مخلة ، تثقل العبارة ولا تعطيها شيئا ، فلو حذفناها لاحسننا الى السياق واقتدناه من الاختلال . ذلك ان العبارات هنا لا تستدعي تكرارا ، وانما رأي الشاعر ان يكرر اي لفظ كان واختاره من وسط العبارة وبشره عن سياقه . والواقع ان أبسط مقومات التكرار ان تكون العبارة المكررة مستقلة بمعناها عما حولها بحيث يصح انتزاعها من سياقها وتكرارها . وهذا ما لا نجده في أي من هذه الايات . ان نزار يكرر « لو لم تكن » وبذلك تفصل العبارة المكررة بين « كان » واسمها ، او لنقل انه يكرر عبارة ليس فيها لكان اسم ثم يأتي بالاسم بعد التكرار . والبياتي يذهب أبعد فيكرر نصف عبارة لا معنى لها فلا ندري ما المعنى المقصود بالتكرار . ويصنع عبدالمعطي ما يشبه هذا اذ يعزل المجرور ويكرره ولو كان كرر الجار والمجرور معا « في ليل القرى » لكان الامر أهون ، وان كان ذلك لا ينقذ العبارة من الاختلال . ان تكرار جزء من عبارة لا تحتم تكراره ضرورة نفسية يقتضيها المعنى لا بد

(١) قصائد نزار قباني . بيروت ١٩٥٦ - ص ١٦ .

(٢) أباريق مهشمة لعبد الوهاب البياتي . بغداد ١٩٥٤ . ص ٤٧ .

(٣) مجلة الآداب - تموز ١٩٥٧

ان يسيل بالعبارة ، وهذا يعود بنا الى الهندستين العاطفية واللفظية للعبارة .

هذان القانونان القائمان على الاساس العاطفي والهندسي للعبارة هما  
الشرطان الرئيسيان في كل تكرار مقبول ، فاذا توفرا صح ان نبدأ فنبحث في  
الدلالات المختلفة التي يقدمها التكرار فيغني بها المعنى وينحى امتدادات من  
الظلال والالوان والايحاءات .

■

واما من جهة الدلالة فان شعرنا المعاصر يقدم لنا ثلاثة اصناف من التكرار  
تحض كلها للقانونين السالفين : التكرار البياني و تكرار التقسيم و التكرار  
اللاشعوري . وقد اخترت ان اضح لها هذه الاسماء لتمييز بينها دون ان  
اقصد ان تكون هذه الاسماء نهائية . ان البحث كله ليس الا محاولة لاستقراء  
اساس بلاغي لبعض اساليب الشعر المعاصر نستفيد منها في النقد والتدريس .  
وانا ادرك، قبل اي احد آخر، مدى احتسالي الخطأ في الحكم وفساد الاستدلال،  
غير ان صعوبة المجال لا ينبغي ان توهم عزيمة الناقد ، فرب محاولة غير واثقة  
من نفسها يقوم بها ناقد ما تشق طريقا لنجاح اكبر قد يتاح لنا قد آخر .

### التكرار البياني

هذا الصنف من التكرار ايسر الاصناف جميعا وهو الاصل في كل  
تكرار تقريبا ، واليه قصد القدماء بسط لفظ « التكرار » الذي استعملوه .  
وقد مثل له البديعيون بتكرار « فبأي آلاء ربكما تكذبان » في سورة  
الرحمن . والغرض العام من هذا الصنف هو التأكيد على الكلمة المكررة او  
العبارة . فالشاعر مالك بن الربيع ، وهو يحتضر في مدينة مرو، على مبعده من  
أهله في « الغضى » يحسّ بالحنين الى دياره وذويه فيكرر لفظ « الغضى »  
في شبه حمى حتى يبلغ ما كرهه خمس مرات في بيتين :

فليت الغضى لم يقطع الركبَ عرضه  
وليت الغضى ماشى الركابَ لياليا  
لقد كان في أهل الغضى ، لو دنا الغضى ،  
مزاراً ، ولكن الغضى ليس دانيا

ان الحاح هذا الشاعر على كلمة « الغضى » يدل على حرقه الحنين التي تعصف بقلبه ساعة الموت . ومثله العذوبة التي يلوح أن ابن الفارض يحسها وهو في نجواه الصوفية المختلجة بالمواظف حين ينادي :

يا أهل ودّي أتممّ أملي ، ومن  
ناداكم ، يا أهل ودّي ، قد كفي<sup>(١)</sup>

ان هذين السودجين ، كسواهما من نساخ الشعر القديم ، يعرضان في التكرار اسلوباً « جهورياً » ياشي الحياة العربية القديمة التي كان الشاعر فيها يعتد على الالتقاء أكثر مما يعتد على الحروف المكتوبة ، والتكرار يقرع الاسماع بالكلمة المثيرة ويؤدّي الغرض الشعري . ومن ثم فلا بد لنا من ملاحظة الفرق بين هذه الجهورية وتلك الرهافة والهس في تكراراتنا الحديثة التي يؤدّي بها الشاعر معاني أكثر اتصالاً بخلجات النفس والحواس . لناخذ مثلاً هذه الايات لبدر شاكر السياب :

..... وكان عام بعد عام  
يسفي ، ووجه بعد وجه ، مثلما غاب الشراع  
بعد الشراع<sup>(٢)</sup>.....

(١) هذا البيت يدخل في نطاق ما يسميه البديعيون «رد العجز على الصدر» وأن كان بالنسبة لبحتنا هذا تكراراً محضاً .

(٢) أساطير ، لبدر شاكر السياب . النجف . ١٩٥٠ - ص ١٤ .

فأية حركة ملموسة في هذا التكرار الذي يضع أماننا شريطا يتحرك ببطء  
وتعاقب فيه الأعوام كما تتلاشى اشعة السفن .  
وهذا بيت آخر لبدر شاكر السياب يعبر عن حركة مماثلة تزخر بها  
الكلمات الى درجة اخاذاة :

ودم يغمغم وهو يقطر ثم يقطر « مات مات » (١)

وليس في امكان قارئ هذا البيت الا ان يقف معجبا بهذا التوازن الهندسي  
بين « يقطر ثم يقطر » و « مات مات » فكان كل قطرة من الدم تغمغم « مات  
مات » . والواقع ان الفعل « غمغم » نفسه يحتوي في داخله على تكرار لحرفي  
الغين والميم . وذلك ولا ريب جزء غير واع من البناء الهندسي المحكم للبيت .  
انه مثال جيد لتكرار ناجح ، فلو حذفنا منه التكرار لأسأنا الى البيت وقضينا  
على هذه التعبيرية العالية فيه .

هذا اذن هو التكرار الذي يصور « حركة » . ومن معاني التكرار البياني:  
« التردد » ومن أطرف نساذه بيت لنزار قباني من قصيدة « الغراء الابيض »  
يخاطب به قطة :

يا . . . يا مزاحمة الذئاب . . . أرى

في ناظريك طلائع الغزو (٢)

ان تكرار حرف النداء « يا » هنا يكاد يكون نكتة لطيفة تمسدها الشاعر  
فكأنه يريد ان يكون خطابه للقطعة مهذبا مجاملا ، ولذلك يترفق بها قبل ان  
ينادىها « يا مزاحمة الذئاب » فيبدأ بحرف النداء ثم يتردد لحظة متهيبا ،  
مستجما شجاعته . وهذا نموذج ثان لهذا الصنف :

(١) المصدر السابق ص ١٣ .

(٢) الغراء الابيض ، قصيدة لنزار قباني ، مجلة لاديب فبراير ١٩٥٢ .

صدي هامسا في الدجى أنا .. أنا جبناء (١)  
ونسودج ثالث :

وسدى حاولت ان تؤوب

معنا فهي ... فهي رفات (٢)

وشرط هذا الصنف أن تحتوي الكلمة التي يتردد عندها الشاعر على ما يبرر تخرج من التلفظ بها ، فمن دون الصدمة التي تأتي بها «مزاحمة الذئاب» و «جبناء» و «رفات» يصبح التكرار عقيسا مفتعلا . وقد وقع في هذا الافتعال نزار قباني نفسه في قصيدة حديثة له :

لعلك يا .. يا صديقي القديم  
تركت بأحدى الزوايا ... (٣)

فإن تكرار « يا » هنا خال من الغرض لأنه ليس من داعٍ قط يجعل هذه الفتاة تتخرج من أن تنادي المخاطب بأنه « صديقها القديم » فهي لا تهينه بالنداء ، ولا تبوح بأكثر مما باحت به في القصيدة المكشوفة . فما الداعي إلى تلكؤها ؟ والواقع أن من السهل جدا أن يقع الشاعر في تكرار لا داعي له سدا لشغرة في الوزن ، وهو امر نجد له عشرات الامثلة المحزنة في شعرنا اليوم ، خاصة في الشعر الحر الذي اردنا يوم دعونا له ان نحرر الشاعر من «الرقم» و « العكاكيز » فإذا الحرية الجديدة تزيده التجاء إليها . والشاهد التالي من شعر عبدالوهاب البياتي معروفة للمتتبعين :

ابو اي ماتا في طريقهما الى قبر الحسين  
عليه - ماتا في طريقهما - السلام (٤)

- (١) قرارة الموجة لنازك الملائكة (بيروت ١٩٥٧) ص ٩٣ .
- (٢) شظايا ورماد لنازك الملائكة الطبعة الثانية (بيروت ١٩٥٩) ص ٣١ .
- (٣) مجلة شعر . العدد الثاني من السنة الأولى ربيع ١٩٥٧ .
- (٤) مجلة الاداب . تشرين الثاني ١٩٥٣ .

والحق ان البياتي لا يسامح على هذا . فانه ذو شاعرية غنية لا تبيح له التهاون . ولعلّ مبالغته في استعمال التكرار في بعض قصائده توقعه في مزلق هو في غنى عنها . ومثل هذا يقع لكثير من الشعراء الجدد الذين لا يدركون أن التكرار ، ككل اسلوب شعري ، يجب أن يرد في مكانه من البيت حيث يستدعيه السياق النفسي والجمالي والهندي معا والا أضر بالقصيدة .

### تكرار التقسيم

واما تكرار التقسيم فنعني به تكرار كلمة او عبارة في ختام كل مقطوعة من القصيدة . ومن النماذج المشهورة له قصيدة « الطلاسم » لايلى أبو ماضي وقصيدة « المواكب » لجبران ، و « اغنية الجندول » لعلي محمود طه ، و « النهر الخالد » لمحمود حسن اساعيل . والغرض الاساسي من هذا الصنف من التكرار اجمالا ان يقوم بعمل النقطة في ختام المقطوعة ويوحد القصيدة في اتجاه معين . وانما تنصبّ عناية الشاعر هنا على ما قبل الكلمات المكررة لان التكرار لم يعد هو المهم في القصيدة بطبيعة كونه يتكرر كثيرا ، وكان التكرار يفقده « بيانته » اذا صح التعبير .

ومن هذا الصنف نوع يرد فيه التكرار في اول كل مقطوعة ومنه قصيدة عبد الوهاب البياتي « غيوم الربيع »<sup>(١)</sup> وقصيدتي « انا »<sup>(٢)</sup> والتكرار هنا يؤدّي وظيفة افتتاح المقطوعة ويدق الجرس مؤذنا بتفريع جديد للمعنى الاساسي الذي تقوم عليه القصيدة . واكثر ما تنجح هذه القصائد في الموضوعات التي تقدم فكرة اساسية

(١) ملائكة وشياطين ، لعبد الوهاب البياتي (بيروت ١٩٥٠) ص ٥٠ .  
(٢) شظايا ورماد ، لنازل الملائكة . الطبعة الاولى - بغداد ١٩٤٩ ص ٩٧ .

يسكن تقسيمها الى فقرات يتناول كل منها حلقة صغيرة جديدة من المعنى .  
فالتكرار يساعد الشاعر على اقامة وحدات صغيرة في داخل الاطار الكبير .  
واما القصائد التي تقدم فكرة موحدة متسلسلة تبلغ قمة ثم تنحلّ وتتلاشى  
فهي تخسر كثيرا باستعمال تكرار التقسيم ، وذلك لان طبيعة هذا التكرار  
تتعارض مع الوحدة العامة للقصيدة حتى يكاد كل تكرار يصبح وقعة صارمة  
لا يستطيع الشاعر تجاوزها . وقد سبق لنا ان وقفنا عند قصيدة بدر شاكر  
السياب « سجين » التي فشل فيها التكرار فشلا ذريعا بسبب لجوئه الى تكرار  
التقسيم دونما غرض فني ، ودونما مراعاة للوقفات الصارمة التي أحدثها هذا  
التكرار في المقطوعات في قصيدة كان ينبغي أن تتسلسل وتمتلك ذروة شعورية  
تصلها دونما تقطيع مفتعل .

ومن الوسائل التي تساعد على تكرار التقسيم وتنقذه من الرتابة ان يدخل  
الشاعر تغييرا طفيفا على العبارة المكررة في كل مرة يستعمل فيها وبذلك يعطي  
القارئ هزة ومفاجأة . ونسودج هذا قصيدة محمود حسن اسماعيل « خمر  
الزوال »<sup>(١)</sup> وهي تبدأ هكذا :

لا تتركيني في ضلال بين الحقيقة والخيال  
اني شربت على يدك مع الهوى خمر الزوال

ويرد التكرار في ختام المقطوعة الاولى على النحو التالي :

لا تتركيني زلة في الارض تائهة المتاب  
اني شربت على يدك مع الهوى خمر العذاب

ومما يجدر بالشاعر ملاحظته ان التكرار يجنح بطبيعته الى أن يفقد الانفاظ  
أصالتها وجدتها ويبهت لونها وبضفي عليها رتابة مملة ، ومن ثم فان العبارة

(١) ابن المفر ، محمود حسن اسماعيل (القاهرة ١٩٤٨) ص ١٢٩ .

المكررة ينبغي ان تكون من قوة التعبير وجماله ومن الرسوخ والارتباط بما  
حولها بحيث تصمد امام هذه الرتابة ، والحق ان التكرار عدو البيت الرديء  
فهو يفضح ضعفه ويشير اليه صائحا . وهذه الخاصية المعرقة (بكسر القاف)  
في التكرار تصبح أوضح في تكرار التقسيم الذي يختلف عن سائر الاصناف  
في أنه يتكرر كثيرا وقد يصبح أشبه بدقات ساعة رتبية مملّة اذا لم ينتبه  
الشاعر . وخير مثال لهذا، التكرار الهزيل الذي ارتكزت اليه القصيدة الخلافة  
« النارنجة الذابلة » لمحمد الهشري وقد جرى هكذا :

كانت لنا يا ليتها دامت لنا

او دام يهتف فوقها الزرزور<sup>(١)</sup>

فبالمقارنة مع المقطوعات الجميلة التي غصت بها هذه القصيدة الموهوبة  
نجد البيت المتكرر متنافر الحروف رديء السبك بحيث يسيء الى القصيدة  
كلها . ومن المزالق التي يقع فيها الشعراء في هذا الباب ان ينتقوا العبارة  
المكررة على أساس غنائي . وقد صنع علي محمود طه هذا في عدد من قصائده  
مثل « سيراناذا مصرية »<sup>(٢)</sup> حيث كرر هذا البيت :

ألا فلنحلم الآن فهذي ليلة الحب

ومثل « من ليالي كيلوبترا »<sup>(٣)</sup> حيث كرر هذا البيت :

يا حبيبي هذي ليلة حيي

آه لو شاركتني أفراح قلبي

ومثل « أندلسية »<sup>(٤)</sup> حيث كرر هذا الشطر :

فاسقنيها انت يا أندلسية

- (١) « الروائع لشعراء الجيل » ج ١ - محمد فهمي . (القاهرة) ص ١٢ .
- (٢) ليالي الملاح النائه (القاهرة ١٩٤٠) ص ٧٣ .
- (٣) زهر وخمر (القاهرة ١٩٤٣) ص ٦ .
- (٤) شرق وغرب (القاهرة ١٩٤٧) ص ٥٣ .

وكل هذه التكرارات ذات موسيقى تقليدية تنبع من جو عاطفي مصطنع  
ما يصح وصفه في اللغات الاجنبية بكلمة **Sentimental** والواقع ان قيام  
التكرار على أساس غنائي ليس أمرا مستحبا خاصة في تكرار التقسيم الذي  
يسيل بطبعه الى الفئائية .

### التكرار اللاشعوري

هذا الصنف لم يرد في الشعر القديم الذي وقف نفسه - فيما يلوح -  
على تصوير المحسوس والخارجي من المشاعر الانسانية . وشرط هذا الصنف  
من التكرار ان يجيء في سياق شعوري كثيف يبلغ احيانا درجة المأساة .  
ومن ثم فان العبارة المكررة تؤدي الى رفع مستوى الشعور في القصيدة الى  
درجة غير عادية . وباستناد الشاعر الى هذا التكرار يستغني عن عناء الافصاح  
المباشر واخبار القارئ بالالفاظ عن مدى كثافة الذروة العاطفية . ويغلب أن  
تكون العبارة المكررة مقتطفة من كلام سمعه الشاعر ووجد فيه تعليقا مريرا  
على حالة حاضرة تؤلمه او اشارة الى حادث مثير يصحى حزنا قديما او ندما  
نائما او سخرية موجعة . ونموذج هذا التكرار عبارة « انها ماتت » في قصيدة  
الخيط المشدود في شجرة السرو<sup>(١)</sup> فما كاد بطل القصيدة يسمعها حتى اصابته  
رجة شعورية ادت الى ان يصاب بهديان داخلي واختلاط موقت في تفكيره  
فراحت العبارة تعيد نفسها في ذهنه كدقات ساعة رتيبة . وانما تتبع القيمة  
الفنية للعبارة المكررة ، في هذا الصنف من التكرار ، من كثافة الحالة النفسية  
التي تقترن بها .

لقد ورد هذا التكرار اللاشعوري في قصيدة عنوانها « نهاية »<sup>(٢)</sup> لبدر  
شاكر السياب ، وصحبه ظاهرة قصية يصح ان نقف عندها وقمة صغيرة ،

(١) شظايا ورماد . (بيروت ١٩٥٩) ص ١٦٢ .  
(٢) اساطير . (النجف الاشرف ١٩٥٠) .

نعمند لفت بدر السياب الانظار الى هذه الظاهرة بات بعض الشعراء الجدد ملتفتين اليها ، وان كانوا غالبا لم يفتنوا تماما الى الغرض الفني منها وانما عدوه فيما يلوح تجديدا محضا او نوعا من الترف الفني .

استقى بدر السياب عبارته المكررة من كلمة أثبتتها نثرا قبل القصيدة ما قالته له فتاة : « سأهواك حتى تجف الادمع » ويلوح من القصيدة ان ظروف الشاعر مع قائلة العبارة قد تغيرت وانقلبت حتى باتت العبارة ، حين يتذكرها ، تبدو له كالسخرية من الحاضر وتخزه في مرارة ، ومن ثم فهي تتردد في ذهنه وتلاحقه وتتشكل اشكالا بين « سأهواك حتى سأهواك » و « سأهواك حتى س... » و « سأهواك حتى » و « سأهوا - »

هذه هي الايات :

( سأهواك حتى ) نداء " بعيد  
تلاشت على قهقهات الزمان  
بقاياها .. في ظلمة .. في مكان  
وظل " الصدى في خيالي بعيد  
( سأهواك حتى ... س... ) يا للصدى  
أصبخي الى الساعة النائه  
( سأهواك حتى ... ) بقايا رنين  
تحدين حتى العدا  
( سأهواك - ) ما أكذب العاشقين  
( سأهوا .. ) نعم تصدقين !

ان البتر هنا بليغ . ففي مثل هذه الحالات التي نجابها كلنا احيانا سواء في حالة حسي عالية تششت التفكير المنتظم ، او في حالة صدمة عنيفة كوفاة شخص عزيز نقاباً بها دوننا مقدمات ... في مثل هذه الحالات يصف ان

تردد في أذهاننا عبارة مهمة تنبث من أعماق اللاشعور وتطارداً مهما حاولنا نسيانها والتهرب من صداها في أعماقنا . وكثيراً ما تفقد العبارة المتكررة معناها وتستحيل في ذهن المضطرب الى مجموعة اصوات تتردد اوتوماتيكياً دون ان تفتن بمدلول ، ومن ثم فهي تتعرض لان « تنبتر » في اي جزء منها ، وفجأة حين ينشغل العقل الواعي بفكرة طارئة يفرضها العالم الخارجي فتصحي المصدوم من ذهوله لحظات . . ولكن سرعان ما تعود العبارة الدرامية حين يخف الانشغال بها هو خارجي وترن في السمع . انه تكرار لا شعوري لا يدلنا فيه . وهذا هو الذي يبرر وقوف بدر شاكر السياب عند الالف في كلمة « ساهواك » وكان الصوت قد انبتر فجأة ودفع دفعا الى التلاشي .

على ان السياق الذي وضع فيه بدر تكراره اللاشعوري مفتعل قليلاً والتركيز ينقصه . فالشاعر كما نرى من الايات يمتلك من الوعي ما يجعله يرد على العبارة ويناقشها بقوله « نعم تصديقين » « ما اكذب العاشقين » وتعليقاته هذه تبعد الجو اللاواعي الذي يرتكز اليه منطق ( البتر ) . على ان اصالة الابتكار تبقى مع ذلك تطبع الايات .

وقد حاول شعراء آخرون تقليد هذا البتر في التكرار اذكر منهم الشاعر عبدالرزاق عبدالواحد في قصيدة له عنوانها « لعنة الشيطان »<sup>(١)</sup> يقول فيها :

من يكونان ؟ همسة أرجف الليل صداها وانساب في الظلماء  
من يكونان ؟ من يكو ؟ من يب . . . واصطكت شفاه على بقايا النداء  
ولعله واضح ان البتر هنا غير مبرر تفسياً ، فالمفروض ان هذا التكرار

(١) لعنة الشيطان (بغداد ١٩٥٢ «٤» ص ٦ .

يمثل (أصداء) ومن طبيعة الصدى ان يتردد الجزء الاخير منه وحسب لا  
الاول كما في تردد عبارة الشاعر .

وقد استعمل بلند الحيدري هذا البتر في قصيدة عنوانها «ثلاث علامات»<sup>(1)</sup>  
حيث يقول :

وافترقنا

أنا لا أذ . . .

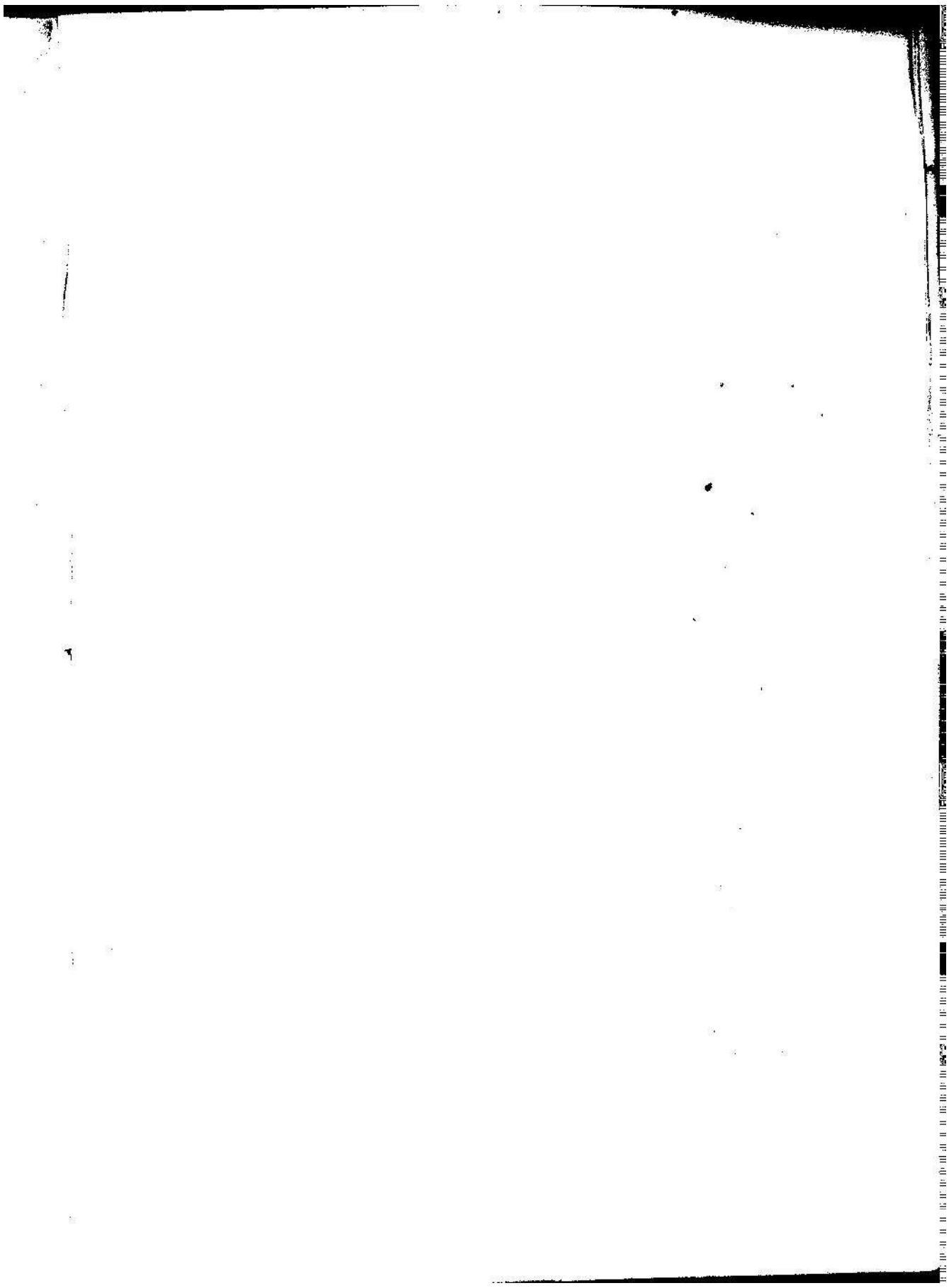
نحن لا نذكر ان كنا التقينا

وهو يلوح لنا بترا ضعيفا لا يمكن تبريره الا بفدلكة ، وقد تكون للشاعر  
وجهة نظر خاصة فيه لم نحزرها . ان هذه المحاولات من شعرائنا طيبة من حيث  
انها محاولات في طريق وعمر لم يسلك ، غير انها ايضا محاولات متسرعة تسمها  
اللفظية احيانا . وقد يكون التكرار الاشعوري من اصعب انواع التكرار اذ  
يقتضي من الشاعر ان ينشئ له سياقا نفسيا غنيا بالمشاعر الكثيفة . فان  
الترجيع الدرامي لا يجيء الا عبر عقدة مركزة تجعل من الممكن ان تفقد عبارة  
معناها فتروح تتكرر في حرية وقد تنبتر وتشكل بمعزل عن ارادة الدهن  
الذي يعانها .

هذه هي الدلالات الثلاث التي صادفتها للتكرار في شعرنا الحديث ،  
وقد تكون هناك دلالات اخرى لم افطن اليها . وقد يتطور اسلوب التكرار  
في شعرنا بحيث يغتني ويمتلك مزيدا من الدلالات والمعاني فيتاح للبلاغة والنقد  
ان يضيفا الى ما جاء في هذا البحث .  
ومهما يكن فقد آن الاوان لان ينتبه بعض شعرائنا الى ان التكرار ، في

(1) اغاني المدينة الميته وقصائد اخرى (بغداد 1957) .

ذاته ، ليس جمالا يضاف الى القصيدة بحيث يحسن الشاعر صنعا بمجرد استعماله ، وانما هو كسائر الاساليب في كونه يحتاج الى ان يجيء في مكانه من القصيدة وان تلمسه يد الشاعر تلك اللمسة السحرية التي تبعث الحياة في الكلمات ، لا بل ان في وسعنا ان نذهب أبعد فنشير الى الطبيعة الخادعة التي يملكها هذا الاسلوب ، فهو بسهولة وقدوته على ملء البيت واحداث موسيقى ظاهرة فيه ، يستطيع ان يضل الشاعر ويوقعه في مزلق تعبيرى . ولعل كثيرا من متبعمي الحركات التجديدية في الشعر المعاصر يلاحظون ان اسلوب التكرار قد بات يستعمل في السنوات الاخيرة عكازة ، تارة لملء ثغرات الوزن ، وتارة لبدء فقرة جديدة ، وتارة لاختتام قصيدة متحدرة تأبى الوقوف ، وسوى ذلك من الاغراض التي لم يوجد لها في الاصل ، وهو أمر نأمل ان يتجه نقادنا المتزنون الى الوقوف في وجهه في حزم وصرامة تكفيان لردعه .

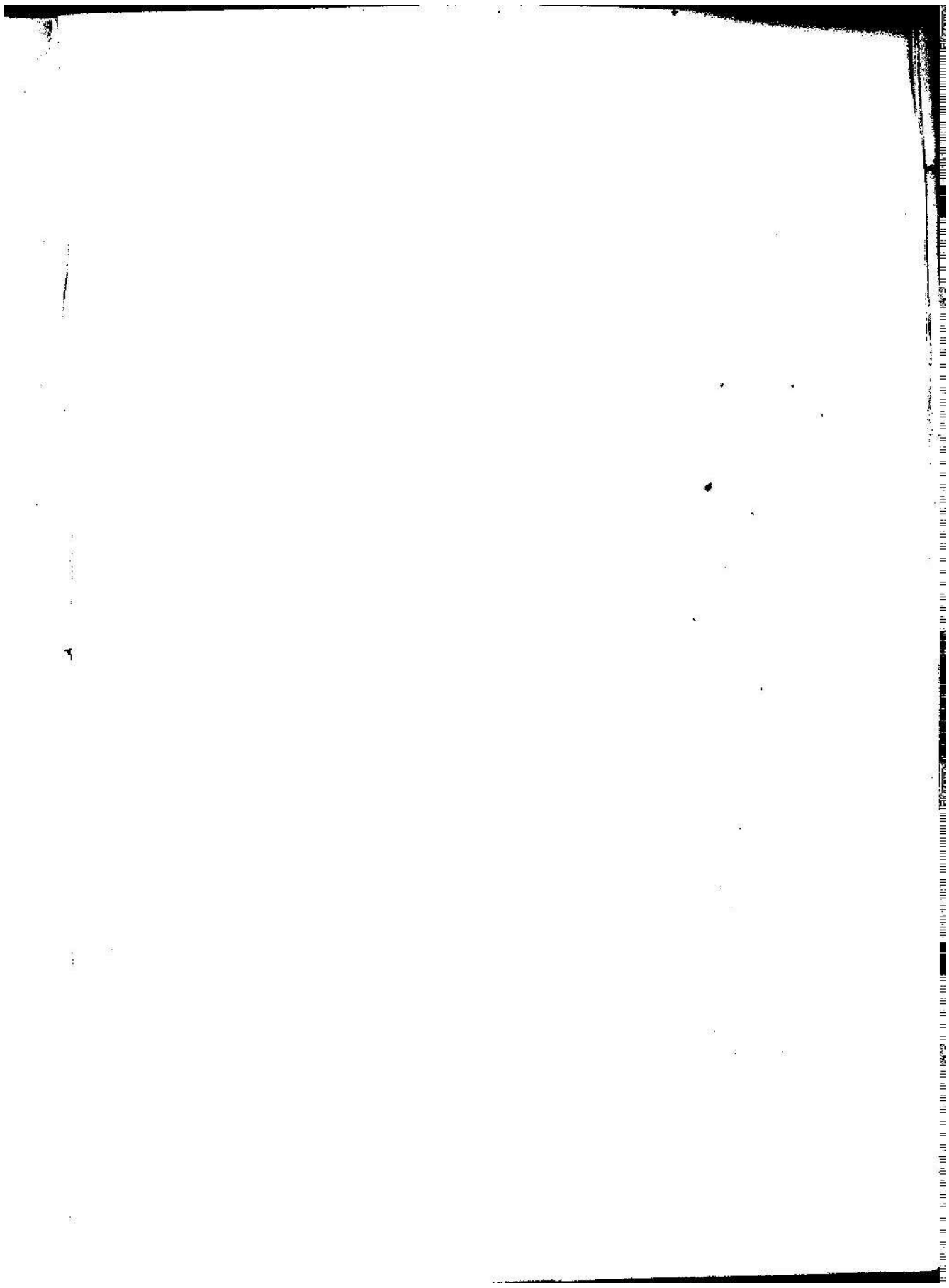


## الباب الثاني

### في الصلة بين السمر والحياة

- الشعر والمجتمع

- الشعر والموت



## الفصل الأول

# السر والمجتمع

باتت الدعوة الى اجتماعية الشعر نبذة عصبية تطنى على الصحافة العربية طغيانا غاصفا . فالقارىء يعثر على أصدائها في كل صحيفة يقرأها ، ويسمعا تتكرر في محطات الاذاعة ، وتتسلل الى احاديث الاندية والمجتمعات حتى باتت في عنفها تشبه تيارا جارفا يريد ان يكتسح القيم كلها . ونحن لا نشك في سلامة نية هذه الدعوة ، وصدق ايمانها بغايتها ، ومن المؤكد انها لا تريد ضرا بالشمراء ، فهي على العكس تؤمن بالشعر ايمانا متحمسا يجعلها تنتظر منه ان يحقق المعجزات في سبيل انقاذ هذه الامة التي تعبر اليوم مرحلة متأزمة من حياتها . على ان سلامة النية لا تملك ان تعصم من الاندفاع العاطفي الذي نلنس آثاره في هذه الدعوة ، ولذلك بات على الشعر المعاصر ان يواجه الموقف ويتخذ ازاءه قرارا .

واول ما يؤخذ على هذه الدعوة التي تذهب الى ان الشعر يجب ان يكون

« اجتماعيا » ، انها تتسلح بمجموعة من التعابير المهمة التي لاتحاول تحديدها من نحو قولهم «الابراج العاجية» و«المتهربون من الواقع» و«الادب الشعبي» و «الشعراء الذاتيون» . وقد أدّى تداول جماهير الكتاب لهذه الالفاظ الى اضطراب شديد في مدلولاتها واكسبها من السطحية ما يجعل الناقد المثقف يتخرج من استعمالها محاولا صياغة تعابير جديدة تؤدي معانيها الفنية والنظرية . اما العاطفية التي يتصف بها كثير من المقالات التي تؤيد الدعوة ، فهي تجعلها غالبا خلوا من الرصانة الفكرية التي تتسم بها الدعوات الفنية والمذاهب الفلسفية . ويبدو لنا ان الدعوة قد نسيت حتى الان انها دعوة في مجال فني ، فهي تتحدث عن كل شيء آخر غير الشعر ، مع انها موجهة الى الشعراء . ومن المؤكد انها لم تقف بعد لتفكر في أسس نظرية تخطها وتضمن بها لاتباعها من ناشئي الشعراء ما يقيهم التخطي وهم ينظمون قصائدهم وفقها ، ولم تتساءل بعد عن المدلول الشعري لهذه « الاجتماعية » التي تنادي بها : اهي منهج يتقي به الشاعر الناشئ العثرات الضخمة التي تنتظره في مسالك القصيدة الوعرة ؟ اهي تخطيط يدل على هيكل القصيدة ويعينه على بنائه ؟ اهي تحديد للموضوع ؟ كل هذه أسئلة تستهين بها الدعوة ، فالجهة الشعرية من الشعر المعاصر هي آخر ما تهتم له وكأنتها دعوة في مجال اجتماعي منفصل انفصالا تاما عن الشعر الذي تطبق عليه .

والدعوة بصورتها الحالية تحتمل نقدا شديدا من جهاتها كلها : فنيا وانسانيا ووطنيا وجماليا . وابرز مواطن الضعف فيها انها - كما قلنا - لا تركز الى أسس فنية ، شعرية ، ولم يحاول كاتب واحد بعد أن يحددها من وجهتها النظرية . على ان في صيحاتها المتتابعة ما يمكن ان نعدّه أسسا مبهمه تريد تشييدها ، وفي حدود هذه الاسس نريد ان ندرسها ونناقش موقعها من الشعر اجمالا .

اما من الوجهة الفنية ، فيبدو لنا أن الدعوة حين تلح على ان الشعر يجب ان يكون اجتماعيا ، انما تتناول «الموضوع» وتجعله الغاية الوحيدة المقصودة في كل شعر . فهي لا تهتم بسائر مقومات القصيدة كالبناء والهيكل والصور والافعال والموسيقى والفكرة والمعاني الظاهرة والخفية ، وانما تقصر عنايتها على موضوع القصيدة وكأنه العنصر الوحيد الذي يكونها . وهذا مخالف لفاهيم الشعر البديهي ، فلعل الموضوع في نظر النقد الادبي اتفه مقومات الشعر وأقلها استحقاقا للدراسة المنفصلة ، وذلك لان كل موضوع يصلح للشعر سواء أدار حول مشاكلنا القومية او حول شجرة توت او معركة سباب في شارع ضيق ، فالمهم على كل حال هو اسلوب الشاعر في معالجة الموضوع ، ولذلك نجد الموضوع عينه ميتا او مغنى عليه عند شاعر ، حيا ينبض بالجمال المنفعل عند شاعر ثان . ومن هذا يبدو أن الدعوة تلح على العنصر الوحيد الذي ليس شعريا في القصيدة .

ولا تقتصر الدعوة على عزل الموضوع عن سائر عناصر القصيدة ، وتضخيم قيمته الفنية هذا التضخيم الذي لا يشفع له شيء ، وانما تنضي في طغيانها الحسن النية ، فتأبى الا ان تحدد مجال هذا الموضوع تحديدا صارما . فكل شعور لا يتعلق بالوطنية بأضيق معانيها يفوز لديها بنعوت عاطفية جارفة لا يصد اندفاعها شيء . وهكذا نجدها لا تكتفي بهدم سائر معالم القصيدة ، وانما تهدف ايضا الى أن تتحكم حتى في العنصر الوحيد الذي ابقته وهو الموضوع . فهي تحمل سيفا بتارا وتقف مترصدة ، فما تكاد تعثر على افعال خصب يستجيب لجمال وردة ، او حب ساذج او شعور بازمة نفسية يعانيتها فرد انسان ، حتى تضرب ضربتها في عنف وقسوة وتحكم على القصيدة بالتفاهة . وقد قرأنا في الصحف العربية مقالات عجيبة في النقد تصفق لكل قصيدة اجتماعية حتى اذا كانت من وجهة نظر الفن والنقد لا تستأهل ان تسمى شعرا ، ولو أراد النقد ان يتصدى لها لانهارت انهيارا فاجعا . وهذا كله جناية الموضوع على الناقد .

وإذا فحصنا الدعوة من الوجهة الاجتماعية وجدناها في صميمها تنزع  
الى أن تجرد الشعر من العواطف الانسانية . ذلك ان أشد سخطها واستنكارها  
ينال على ما تسميه - دون ان توضح مقصدها - « المشاعر الذاتية » و  
« الهرب من الواقع » و « الانعزالية » . ولو فحصنا هذه التعابير لوجدناها  
تنتهي كلها الى ان تنكر ان يكون شعور الفرد العادي من الناس موضوعا  
للشعر ، فهو - لكي يستحق ان تدور حوله قصيدة - ينبغي أن يكون عملاقا  
بلا مشاعر : فلا يحب الازهار ، ولا يضيع وقته في مراقبة مغرب الشمس على  
حقول الحنطة ، ثم انه لا يتألم لهومه الخاصة ، وهو يؤمن بان الاستماع  
الى الموسيقى في هذه الظروف العصيبة انما هو خيانة وطنية ، ونحو هذا . .  
ونيس أشد تناقضا من هذا . فكان الدعوة عندما أرادت أن تدعو الى  
الواقعية ابتعدت عن الواقع ابتعادا عجيبا ، واسلمت نفسها الى اعتقادات نظرية  
لا علاقة لها بالحياة .

وما هذا الواقع الذي تدعو اليه ؟ اليس هو حياة الناس ؟ الناس الذين لا  
يسر عليهم يوم دون أن يتألموا ويضحكوا لاسباب تخصهم فرديا ، ويعيشون  
مفكرين في عواطفهم وآمالهم وهمومهم ، وتشغولهم قضايا حياتهم الخاصة  
بكل ما فيها من ذكريات وحساسات ومشاكل نفسية وصدقات وأفكار . وأي  
لون من الشعر يستطيع ان يعبر عن هذه الحياة الواقعية الانسانية ؟ اهو الشعر  
الساذج المنفعل بالعبرات والبسمات ام هو الشعر الاجتماعي الذي يقف موقف  
الوعظ والخطابة ؟

ثم اننا حين نسلط الضوء على قولهم « انعزالي » نجدنا ازاء لفظ من  
تلك الالفاظ التي وسع الاستعمال معناها او لعله ضيقه حتى فقد دقته .  
فالدعوة حين تستعمل هذا اللفظ في مجال النقد الادبي تنسى ان المجتمع انما  
يترك طابعه على الفرد اجبارا لا اختيارا بحيث تصبح السمة الاجتماعية وسما  
طاغيا لا يملك الفرد ان ينجو منه حتى اذا لاذ بأشد أنواع « الانعزال » .  
فحسب الانسان ان تكون انطباعاته البصرية والسعية والذهنية قد تكونت

كلها في مجتمع بعينه ، لكي يكون واحدا من أفراد هذا المجتمع لا يستطيع التهرب من طابعه العام . ومثل هذا الفرد لا بد أن يمثل المجتمع سواء أراد أم لم يرد . وعلى هذا تصبح الاجتماعية سمة طبيعية لا تشبه الثوب الذي يستطيع المرء أن يخلعه متى شاء . انها شيء ينطبع في الدم والفكر والاعصاب . وهذا شيء يلوح ان الدعوة تفعل عنه عندما تتحدث في احتقار عن أولئك « الانزاليين الذاتيين الذين لا يشلون مجتمعهم » .

ألا يدل هذا على ان الدعوة لا تستند الى الواقع وانما تشيد انفسها دعائم من هواء في فراغ خيالي ؟ ذلك انها تغرم بالمجتمع فتحمل مصابحا لتبحث عنه في ضوء النهار . وبدلا من أن تتذكر انه كيان معنوي لا وجود له الا على صورة أفراد من الناس ، نجدها تجلس على كرسي مريح وتتخيل له صورا مثالية منمقة ، ثم تطلب الى الافراد أن « ينضفوا » في اطارات هذه الصور . وهذا منطق معكوس . فما هذا المجتمع ؟ انه نحن . . . انا وانت ايها القارى وجيراننا واصدقاؤنا وبنو عمنا . وكلنا نمثله : الشاذ منا والذكي والغبي والموهوب . ولكن دعاة الاجتماعية لا يصدقون هذا فهم لا يدرسون يبتنا مستدئين عليها باتتاج شعرائها وادباؤها وانما يريدون ان يملوا على الشعراء والادباء أدبا يمثل البيئة ، وهذا أطف المتناقضات .

هذا الموقف الذي تقفه الدعوة يؤدي بنا الى خسارة اجتماعية وادبية كبيرة ، فانصار الدعوة ينشغلون بابتداع الصور الخيالية لما يجب ان يكون عليه الكائن الاجتماعي النموذجي ، تاركين الواقع يرقد خلال ذلك منسيا . وهكذا نجدهم يملأون الصحف خطبا دون أن يحاولوا استخلاص المعنى الاجتماعي الذي يدل عليه اتجاه هؤلاء الشعراء . وهل من المقبول ان يتجه جيل كامل من الشعراء الى اتجاه بعينه دون أن تكون هنالك اسباب بيئية وتاريخية موجبة ؟ ان الادب ليس قفاحة مسحورة تنبت في الهواء وانما هو ثمرة على شجرة تتصل بتربة ويحيط بها مناخ ، وهذا هو المعنى الذي ينسأ دعابة الواقعية المزعومة . ( Pseudo - realism )

X

ولندرس الدعوة من وجهتها الوطنية . فماذا سنجد ؟ هنا أيضا ستجيبنا  
أسس منهارة لا تستطيع ان تثبت للفحص طويلا . والحق ان العنصر الوطني  
قائم ، لو فكرنا ، على فهم للوطنية يضيّق معناها تضييقا شديدا . فالدعوة  
عندما تؤكد ان انصراف الشاعر المعاصر الى تصوير عواطفه الخاصة يدل على  
نقص في حسّه الوطني - والدعوة تستعمل الفاظا اغنف غالبا - انما تفترض  
ضنا ثلاثة مضمونات غربية تستوقف النظر . وسنحاول ان نناقشها هنا :

اول هذه المضمونات ان الدعوة تفصل فصلا قاطعا بين دائرة « المواطن »  
الصالح ودائرة « الانسان » . فلكي يكون المرء مواطنا صالحا في نظرها ينبغي  
له أولا ان يتخلص من انسانيته ، فلا يحب قوس قزح ، ولا يفعل لمنظر  
الحصاد ، ولا تطربه أغاني الحمامة بين النخيل في ظهيرة بغدادية ، ولا تمتعه  
مسرّات الصداقة الساذجة ، وذكريات نزهة عائلية مرحة على رمال جزيرة .  
فكل هذا اذا تفنى به الشاعر ، انما يثبت « سلبته » في نظر الدعوة .

وما يمكن ان يقال في نقد هذا الرأي ان نسأل انصار الدعوة انفسهم  
ان كانوا في حياتهم اليومية لا يصرفون أكثر وقتهم في العواطف العائلية  
والحديث عن قضايا حياتهم الواقعية والتسكيت والجدل والغناء والغضب  
والمزاح والافعال ؟ وما دمتنا لا نستطيع ان نحكم على انسان يفعل هذا بنقص  
الحس الوطني ، فلماذا نعامل الشاعر معاملة اخرى ، وما دامت الحياة الانسانية  
لا تناقض الحياة الوطنية ، فان من غير المعقول ان نحكم على شاعر بنقص  
الحس الوطني لمجرد انصرافه الى تصوير الجانب الانساني من حياته التي  
يشاركه فيها الناس جميعا .

واما ثاني المضمونات الغربية التي تختفي خلف هذا الحكم الذي تسوقه  
الدعوة ، فهو ينتهي بنا الى الحكم بأن « الوطنية » معنى مرادف للكفاح  
السياسي ، وهذا مخالف للمعنى الحقيقي للوطنية ، معنى حب الوطن العربي

وحسب . اما الكفاح السياسي فهو وظيفة النخبة المثقفة من القادة والزعماء والاختصاصيين في كل أمة . ويبدو أن الدعوة تتفاعل عن حقيقة أخرى هامة هي أن الوظيفة العظمى للملايين من المواطنين في كل بلد هي اعالة اسرهم وتحسين أحوالهم الاجتماعية وتهذيب أبنائهم وانصرافهم انصرافا مخلصا الى اعمالهم التي تؤهلهم لها امكانياتهم العقلية والجسدية ، فليس عملهم هذا بأقل قداسة ومكانة من عمل السياسي المناضل والزعيم الموجه . وقد تكون الدعوة الى ان يترك الفرد العربي حياته الانسانية ويشتغل بالكفاح السياسي دعوة خطيرة تسيء الى أمتنا القوية التي تحتاج احتياجا شديدا الى ابناء مثقفين مدربين ينصرفون الى اعمالهم التي يحسنونها : الفلاح الى حقله ، والعامل الى آله ، والمعلم الى تلاميذه ، والميكانيكي الى اجهزته ، والنحات الى تماثيله ، والشاعر الى قصائده . أما الكفاح السياسي فهو عمل اناس مختصين لهم من ثقافتهم ودراساتهم وظروفهم ما يهيؤهم لهذا العمل المعقد .

اما ثالث المضمونات ، فهو الحكم بأن الشعر لا يملك قيمة ذاتية في المجتمع ، وانما هو واسطة لغايات أخرى . وهذا حكم يتجاهل القيم الحيوية التي يملكها الفن في حياتنا الانسانية بعزل عن موضوعه . واول هذه القيم ان الفن " شحذ للمكات معينة في الانسانية لا يعقل ان الطبيعة كانت عابثة عندما أوجدتها . وثانيها ما يراه الفيلسوف الفرنسي «جان ماري غويو» J. M. Guyau من ان في الفنون كلها وسيلة لاتفاق الفائض من الطاقة الانسانية الذي لا بد له ان ينفق ، فاذا قضى المجتمع على الفن أدى ذلك الى ان تختزن طاقة متفجرة في الذهن الانساني دون أن تجد منفذا ، وهذا لا بد ان يؤدي الى نوع من فقدان التوازن بين الحياتين الحركية والنفسية ، وهو أمر مضر بالحياة الانسانية .

وحتى اذا أردنا أن نعتبر الفن لمبا مجردا كما يرى « كانت » و « سبنسر » فسرعان ما ينصرنا المذهب التجريبي الذي يقول بأن اللعب ضرورة بايولوجية ، فما يلوح لهما خالصا انما هو في الحقيقة حاجة انسانية متأصلة لا بد من اشباعها .

وهذه هي الفائدة الانسانية للشعر، وهي فائدة تجعل اهتمام الدعوة بالموضوع امرا لا داعي اليه ، فالشاعر يؤدي الى المجتمع الانساني خدمة جسيمة حتى وهو « يلهو » بالتعبير عن سروره بتراقبة القمر وهو يبرّ عبر الساء .

وإذا استشرنا أنصار مذهب التطور وجدنا فائدة الشعر تمتد حتى تشمل جهة جديدة بما تقدمه من متعة جمالية كالمتعة التي يجدها المرء في شقشقة العصافير وسكينة الفجر وهدير الشلالات وألوان الصخور . فهذه اشياء لا تستغني عنها الانسانية ، لأنها بما تقدم من لذة عاطفية تعين على تطور الحواس الجمالية عند الانسان وتساعد على النمو العاطفي . والواجب الاعظم للشاعر الوطني ان يرهف مشاعر مواطنيه ويصقل أحاسيسهم الجمالية ويدفع بهم نحو مستقبل انساني أرفع وأعمق .

وفي ختام هذا النقد العاجل للدعوة الاجتماعية نستطيع أن نقول ان الدعوة تناسى تناسيا تاما ان آداب الامم لا تستجيب للدعوات الخارجية ، وانما تتبع من تأثرها غير الواعي بالتيارات المتداخلة التي تكمن وراء الحياة اليومية وتنحدر من ظروفها التاريخية وملابسات حياتها النفسية عبر العصور . ولم يرو التاريخ أن أدب أمة من الامم قد غير اتجاهاته وفق دعوة عامدة نادت بها الصحافة . ومن أعجب العجب أن يقف الذين يزاولون النقد هذا الموقف الواعظ بدلا من ان يستخلصوا القيم التي يتركز اليها شعرنا المعاصر الذي هو دائما شعر اجتماعي اتجته تربتنا . وقد لا يخفى على الدعاة ان الموقف الوعظي ينطوي على تجاهل تام لقيمة العناصر اللاشعورية في كل ادب ، وهي عناصر ضرورية مصاحبة للابداع والاصالة والاكتسال ومن دونها لا يكون الادب ادبا . فماذا سينتهي اليه الشعر العربي ان قدر لدعوة الاجتماعية أن تنجح ؟ لا شك في أنه سيصبح نمطا واحدا مصطنعا لا يملك الشاعر ان يجيد عنه ، وفي هذا سيلقى الشعر مصيره .

وإذا مات الشعر فكيف سيتاح له أن يكون عامل خير في حياتنا العربية؟  
هذا هو المحذور الذي يساء دعاة الاجتماعية في اندفاعهم العاطفي . وان  
اعظم ما نخشاه ان تؤدي بنا دعوتهم الى ان نخسر أصالة شعرنا دون أن نتجح  
في أن تفيد الامة العربية .

الا تصبح الدعوة الى اجتماعية الشعر بهذا دعوة هدم ساذجة ينبغي ان  
نجد قوانا الذهنية كلها في كبح اندفاعها وردّ سذاجتها المستبدة عن الشعر  
العربي ؟

## الفصل الثاني

### السَّمُ وَالْمَوْتُ

لعل كل متتبع للشعر المعاصر يتذكر تلك الهنافة المتحشجة الخصبة التي  
ارسلها ابو القاسم الشابي وهو ينازع في ايام احتضاره الاخيرة :  
جف سحر الحياة يا قلبي الباكي  
فهيما نجرب الموت هيما<sup>(١)</sup>

فهذا بيت يلتفت النظر بما يتخذه من موقف تجاه الموت يخالف الموقف  
المتعاد للسحتضرين ، فهو بدلا من ان يعرض استسلام الشاعر لهذا الفناء الذي  
لا بد منه ، يصوره لنا وكأنه يقبل عليه باختياره في لهفة وشوق . ولقطة  
« نجرب » عيقة الدلالة هنا لما تتضمنه من ايجابية وقوة ، وذلك لان التجربة  
فعالية ارادية يقوم بها الانسان واعيا ، وهي بهذا تختلف اختلافا جوهريا عن

(١) قصائد تراجع في كتاب (الشابي حياته - شعره) لابي القاسم محمد  
كرو (بيروت ١٩٥٤)

الموت الذي هو استسلام سالب لا مفر منه لعوامل الانحلال والسكون . فإذا كان أبو القاسم قد سمى رحلته الى هذا العالم « تجربة » فهو إنما يضع ايدينا بهذه اللفظة على موقفه من الموت ، وبالتالي على موقفه من الحياة .

وقد كانت تجربة الموت تملك بالنسبة للشبابي كل ما تملكه التجارب الحيوية من متعة مبهمة وغموض مفر ، وفي وسعنا أن تثبت من هذا بمراجعة قصائده حيث نجده يذكر الموت عندما يتحدث عن الجمال والحياة والشباب والامل والربيع . ونموذج هذا قوله في قصيدة « تحت الفصون »

فلن كنت تشدين ؟ فقالت :

للضياء البنفسجي الحزين  
للشباب السكران ، للامل المعبود ،  
لليأس ، للأسى للمنون<sup>(١)</sup>

فقد جمع في البيت الثاني الشباب والامل واليأس والاسى و ( الموت ) في سياق واحد هو سياق الغناء والسكر بالحياة الكاملة التي لا يتم جمالها في نظر الشبابي الا باجتماع الفرح والالم والحركة والسكون فيها . وهذا هو التفسير لما يلوح غريباً من ان الشاعر يجعل حبيته تذكر الموت في اللحظة التي اكتملت فيها سعادتهما ، ذلك انه كان يؤمن بأن الحياة العميقة الكاملة لا تصل قمتها من الادراك والوعي حتى تندغم بالموت ، وتفهمه فهما جمالياً خالصاً . وقد كان جزء من جمال حبيته انها تشاركه هذا الايمان ، كما كان الاعتقاد عينه هو الذي قوّمى ( بروميشيوس )<sup>(٢)</sup> على احتمال آلامه الجسمية الرهيبة ، ولذلك جعله الشاعر يرى في الموت « ذوبانا في فجر الجمال . »

(٢١) المصدر السابق .

ان مظاهر عشق الشابى للموت تنتشر عبر شعره ، هناك مثلا هذه اللوحة  
 الباذخة التي يرسمها لموته في قصيدة « النبى المجهول » :  
 ثم ، تحت الصنوبر الناضر الحلو ،  
 تخط السيول حفرة رمسي  
 وتظلّ الطيور تلغو على قبري  
 ويشدو النسيم فوقني بهمس  
 وتظلّ الفصول تمشي حوالي  
 كما كنّ في غضارة أمس<sup>(١)</sup>

في هذه الايات تخلو تجربة الموت من المرارة الرهيبة ، فالشابى يذكرها  
 في هدوء حالم ، وكأنها ستقوده الى عوالم خفية مسحورة يشناق الى ان  
 يحوبها . وهذا عين ما نستطيع استخلاصه من القصيدة المشهورة « المصباح  
 الجديد »<sup>(٢)</sup> فالايات الاخيرة فيها تذكرنا بحرارة الفرحة التي تنبثق في قلب  
 غلام حالم يعبد البحر ، وقد أتيج له اخيرا ان يبحر في سفينة شراعية بيضاء  
 ذات صباح دافئ ربيعي الشمس .

هذا الموقف الذي يقفه شاعرنا من الموت يعيد الى الذاكرة موقف الشاعر  
 الانكليزي المبدع جون كيتس ( John Keats ) الذي يسكن ان نسيه شاعر  
 الموت المقتون الاكبر ، فهو يقول في احدى قصائده : « الشعر والمجد والجمال  
 اشياء عميقة حقا . ولكن الموت أعمق . الموت مكافأة الحياة الكبرى . »<sup>(٣)</sup>  
 ويهتف في قصيدة مشهورة « كنت نصف عاشق للموت المريح ، وناديتنه  
 بأسماء عذبة في اناشيد عديدة . » ثم يضيف بيتين : « الان يبدو لي اكثر من  
 أي وقت آخر ان من الخصوبة أن أموت . »<sup>(٤)</sup> ويدلّ كيتس على جنونه

(٢١) المصدر السابق  
 (٣) قصيدة كيتس  
 (٤) قصيدة كيتس

بالموت حتى دون أن يتحدث عنه حديثا مباشرا ، ويكفي أن نشير مثلا الى قوله في احدى مطولاته « كان هناك موت حي في كل انجاسة من النعم »<sup>(١)</sup> ذلك انه يصف هنا الموت بالحياة دون أن يلوح له هذا متناقضا على الاطلاق .  
والحق اننا نشعر ان الالفاظ « أموت . موت . ميت » كانت تسكر حس كينس وتبدو له متفجرة بالجمال كما يلوح من هذه العبارات التي تقتطفها من قصائده :

« مولد أزهار غير منظورة وحياتها وموتها في سكيه عميمه »<sup>(٢)</sup>

« قال هذا وخطا بخفة ، في لون من المرح المملوء بالموت »<sup>(٣)</sup>

« انها تعيش مع الجمال ، الجمال الذي يجب ان يموت »<sup>(٤)</sup>

« الى بعض الارواح المنفردة التي استطاعت ان تبعث شبابها في الغناء وتموت »<sup>(٥)</sup>

وشمة شاعر نال وقف الموقف عينه من الموت ، هو محمد الهمشري ( ذلك الشاعر الموهوب الذي كان موته خسارة شعرية كبيرة للادب العربي الحديث ) ان احساس هذا الشاعر بالموت اكثر تميزا منه عند الشابي مثلا ، حتى يكاد يقرب من كينس ، وكان اي حادث يرتبط باحساسه لا بد أن يذكره بالموت ، وهكذا نجد ان سعادته بالرجوع الى قرينته في قصيدة « العودة »<sup>(٦)</sup> تعيد الى ذهنه ذكرى القمة العليا للحياة ، تلك القمة التي يبلغها الانسان بالموت :

(١٦)

- (١) قصيدة كينس المطولة Hyperion الكتاب الثاني .
- (٢) القصيدة المطولة Endymion الكتاب الاول - الاغنية الموجهة الى Pon
- (٣) Endymion - الكتاب الرابع .
- (٤) قصيدة كينس Ode to Melancholy
- (٥) قصيدة كينس Sleep and Poetry
- (٦) « الروائع لشعراء الجيل » محمد فهمي (القاهرة) ص ٢٨ .

اموت قرير العين فيك منعما  
يخدّرنى قفح من المرج عاطر  
ويلحفني هذا البنفسج ولتكن  
مسارح عيني الرّبي والمخاضر  
وآخر ما اصغي اليه من الصدى  
خريرك يفنى وهو في الموت سائر

ولعلّ هذه الايات مذكّرا باللوحة الجميلة التي رسمها ابو القاسم لقبره ، فهنا نجد العطر والبنفسج وخرير الماء وشاعرا يموت سكران بالجمال مخدرا بالعبير . هذه العذوبة التي يجدها الشاعر في تذكر ساعة الموت تعيد الى الذاكرة قول كيتس في احدى رسائله الى خطيبته « فاني » : « هناك أمران خصبا الجمال أحلم بهما : حبك وساعة موتي . » وأنهمشري لا يقل عن كيتس تولها بالفناء ، حتى انه كتب ملحمة كاملة سماها « شاطيء الاعراف »<sup>(1)</sup> وتحدث فيها عن رحلته الاولى بعد الموت نحو الحياة الاخرى . والتصيدة تكاد تكون أغنية حب موجهة الى الموت لا اثر فيها للحسرة ولا للذكرى ، وكان الشاعر يلتذ بكل لحظة من لحظات موته ان صحّ التعبير . اما الشاعر الانكليزي روبرت بروك Rupert Brooke الذي مات قتيلًا في الحرب العظمى ، فان حبه للموت لم يكن حب عشق كحب الشابي وكيتس وأنما كان حب صداقة ، كان خاليا من تلك الحدة الحسية التي لمسناها في شعر زملائه . وسبب هذا ، في رأينا ، أن بروك لا يرى في الموت غرابة تجعله يبالغ في حبه ، وانما هو شيء اعتيادي له ما للحياة من جمال وفيه ما فيها من ازعاج لا اكثر .

وقد ترك هذا الموقف أثره في شعره بروك الذي يتجه اتجاها يختلف عن

(1) المصدر السابق . ص ٣٦ .

اتجاهات الثلاثة الآخرين . فهو مثلا يتحدث في احدي قصائده عن « شاعر »  
 ميت لقي حبيبته في جهنم ، فراحا يركضان عبر شوارع الجحيم سرورا  
 باللقاء .. ثم اكتشف فجأة ان عينها فارغتان ، واحس ، مكان شفيتها  
 القديمتين ، برودة ثلجية . وأدرك اخيرا انها ميّتان كلاهما .<sup>(١)</sup> وفي هدوء  
 تام يتخيل بروك في قصيدة أخرى ، موت حبيبته والطقوس الرومانية التي  
 ستقيمها اسرتها عند دفنها<sup>(٢)</sup> ولا بد لنا ان ننبه هنا الى ان هذا الموقف يخلو  
 كليا من رغبة الايذاء التي تدفع أحيانا بانسان مهجور السى ان يتخيل موت  
 هاجره تشفيا او اغاظة . فبروك يصف موت الفتاة لمجرد اللذة التي يجدها في  
 وصف الحادث بصفته الانسانية . والموت عنده حدث اعتيادي لا يستدعي  
 الجنون . وهذا أمر يجعل استعماله للانتقام وانتشفي ضربا من العبث المستحيل  
 وفي قصيدة ثالثة يتخيل بروك نفسه وقد مات ، ولا يصحب تخيله هذا أي  
 حزن ، وانما مقصد القصيدة ان تصف رعشة مفاجئة تسري بين الزملاء الموتى  
 ويدرك الشاعر منها ان حبيبته قد ماتت ووافت عالم العدم .<sup>(٣)</sup>

ألا يبدو من هذا كله ان الموت عند بروك يتجرد من فكرته المحفة  
 المحزنة تجردا كاملا فلا تبقى منه الا الحقيقة العارية ؟ وهذا يجعل موقفه منه  
 مختلفا عن الموقف المألوف بين الناس . فهو لاء يجعلونه خاتمة بينما يراه بروك  
 في اكثر الاحيان بداية فنية لامكانيات متعددة . وهذا يعيد الى ذاكرتنا قصيدة  
 كيتس هايريون Hyperion وفيها نجد (أبولو) الاله الجديد لا يبلغ  
 مرتبة الالهة الا بعد ان يموت (die into life) وبهذا يكون الموت

(١) قصيدة Dead Men's Love لروبرت بروك .

(٢) قصيدة بروك Ambarvalia ومطلعها :

Swings The Way still by hollow and hill ,

(٣) قصيدة (Sonnet) ومطلعها :

oh !. death will find me, long before I tire.

## خطوة نحو الحياة الكبرى .

بعد هذا الاستعراض السريع لمظاهر الولوج بالموت في شعر الهمشري والشابي وكيتس وبروك .. سنحاول أن نتساءل عن العلاقة المسكنة بين هذا الولوج الغريب بالموت ، والوفاة المبكرة التي أردت الشعراء المذكورين وهم في غضارة الشباب قبل الثلاثين . ولعل بعض السر يكمن - في حالة كيتس والشابي - في مرض السل الذي ماتا به في سن السادسة والعشرين ، فالمعروف ان هذا داء عاطفي تصحبه اعراض من الحساسية والعذوبة وحدة الافعال<sup>(1)</sup> غير أن الهمشري وبروك قد ماتا فجأة لاسباب عارضة ، فتوفي الاول في عملية جراحية بسيطة احسبها الزائدة الدودية ، ومات الثاني قتيلاً خلال الحرب ، وهذا يبعد ان يكون المرض هو السبب في حب الموت . فيماذا ، اذن ، نعلل هذه الظاهرة الغريبة ؟ ولم كان هذا الحب الخصب للموت عند شعراء ماتوا في ريعان شبابهم ؟ اكان الغرام بالموت يتصل بالوفاة المبكرة عن طريق الايحاء على وجه ما ؟ ام كان نتيجة لادراك غامض للموت المبكر الذي ينتظر في زاوية من زوايا المستقبل القريب ؟

لكي نصل الى اجوبة هذه الاسئلة نلاحظ أن بين الشعراء الاربعة صفة مشتركة يملكونها جميعا على شيء من التفاوت ، هي حدّة الاحساس او القدرة على الافعال العنيف . وهذه صفة لا يملكها المتوسطون من الناس ، ولعلّ هذا من حسن حظّ الانسانية . ذلك ان الافعال اسراف في الطاقة لا

(1) حين كتبت هذا الفصل سنة ١٩٥٤ كان الشائع في الوسط الادبي ان الشابي قد مات بمرض السل الرئوي . والظاهر الان ، من الدراسات الاحداث في تونس ، بلد الشاعر ، ان مرضه كان ضعف القلب ، وانه لازمه منذ بفاعه سنه . وقد اثرت ان اترك هذا البحث كما نشر دون تعديل ، مع الاحتراز بهذه الحاشية .  
المؤلفة

ترضاه الطبيعة . والحق ان الطسعة تسقت الاسراف في الجهات كلها وتعمل  
جاهدة على رد الحياة البشرية الى الاعتدال الذي يضمن لها البقاء .

ومن السهل ان نمثل لهذا الاسراف في الافعال بالاشارة الى قصيدة  
« العاشق الاكبر » ( The Great Lover ) لبروك . وقد عدّ فيها الاشياء  
التي أحبها حبا شديدا ، على كثرتها . وسنعجب حين نجدها تشمل الصحون  
البيضاء والاكواب ، والغبار ، والسطوح المبللة تحت ضوء الطريق ، واقواس  
قروح ، ودخان الخشب المحترق ، وقطرات المطر المختبئة في الازهار الدافئة ،  
ونعومة الاغطية ، وخشونة الشفوف ، والغيوم ، والجمال اللاعاطفي الذي  
ملكه آلة ضخمة ورائحة الثياب التديمة ، والألم الجسمي وهو يتحول الى  
الهدوء ، والنوم والاماكن العالية ، وأشجار البلوط ، واشياء أخرى كثيرة غير  
هذه . وهي اشياء منحها الشاعر كثيرا من الافعال الذي يخزنه سواء من  
الناس للاحداث الكبيرة في الحياة . فالانسان المتوسط يدرك في أعماقه ان  
هذا التبذير في الاحساس مضر بحياته ، ومن ثم يتعد عنه ويحرص على  
الاقتصاد في العاطفة .

وفي حالة الهمشري تجهينا تلك الحدّة العاطفية التي نلمسها في الصلاة  
الملتهبة التي ارسلها الى حبيبته « جتا » في عالمها اللامنظور (١) وتلوح لنا في  
وضوح ونحن نقرأ قصيدته البديعة في « النارنجة الذابلة » (٢) وكلا « جتا »  
و « النارنجة » رمال منهارا لا يقيم عليها الانسان المتوسط الحكيم سعادته ،  
فالاولى وهم مطلق والثانية مجرد شجرة فانية .

وقد كانت افعالية الشابي اكثر اتساعا من افعالية الهمشري حتى كانت  
المواطف عنده مرضا ناهشا ، فعاش الشاعر يلهث واتعبه الشعر حتى قتله .

(١) الروائع لشعراء الجيل . قصيدة « الى حتا الفاتنة » ص ١٧ .  
(٢) نفس المصدر - ص ١٢

ان الشعر قد كان هو السل الاكبر في حياة هذا الشاعر المشتعل ، ومن أجله عاش يتعذب بكل جمال يمرّ به ، وان كان عذابه لذيذا .  
اما كيتس فنحن نحتاج الى ان نقف عنده وقفة أطول ، فقد كان الانفعال ، بالنسبة اليه ، هو الموضوع وهو غاية الحياة كلها . وهذا يخالف الموقف الشائع الذي لا يرى في العواطف الا عرضا يصاحب الاحداث ، ويستحسن الانسان المتوسط أن يتجنبه جهد الامكان . ويكفي ، لكي نشير الى المكانة العميقة التي يحتلها الانفعال من حياة كيتس ، ان تقتطف بيتين رائعين وردا في احدي قصائده . قال :

« أوّاه ، هل وجد قط ذلك الانسان

المنفرد الذي أحبّ ولم تقتله الموسيقى ؟ »<sup>(١)</sup>

ان المفسون الفكري الذي تنطوي عليه هذه الصرخة العاطفية الغنية بالمعاني هو ان اجتماع الانفراد والحب والموسيقى في حياة اي انسان كهيل بأن يشير انفعاله الى درجة قاتلة . غير أن كيتس كان يتحدث عن نفسه ، وقد كان يدرك في مرارة ان الموسيقى لم تقتل من الناس كثيرين غيره .  
والحق ان كيتس قد كان يملك قدرة خارقة على الانفعال يندر مثلها حتى بين الشعراء والفنانين الكبار وكأنه كان متوجها بكيانه كله الى ان يحترق ليكون شاعرا عظيما . ان الفاظه تنبجس بالعواطف الغزيرة والاحساسات الحادة حتى يكاد القارئ المرهف المتذوق لا يقوى على أن يقرأ كثيرا من شعره في جلسة واحدة . وقد عالج كيتس قضية الانفعال في اساليب مختلفة في شعره ، على نطاق عام حيناً ، تفصيلي حيناً آخر . وأول ما يلفت نظرنا ان شخصياته في القصائد القصصية كانت كلها شخصيات مرهفة شديدة الحساسية تذهب في القدرة على الانفعال المركز الى حدود بميدة تكاد تصبح شاذة . وهكذا نجد ان ( بورفيرو ومادلين )<sup>(٢)</sup> و ( لاميا وليسيوس )<sup>(٣)</sup> و ( انديميون

(١) قصيدة كيتس Endymion الكتاب الثاني .  
(٢) بطلا قصيدة كيتس The Eve of St. Agnes (٣) بطلا قصيدة كيتس Lamia

وسينثيا<sup>(١)</sup> و (ساترن) (٢) وغيرهم كانوا كلهم متوحشين في جبههم وكرههم  
وسخطهم ورضاهم ، وقلما كانوا يعرفون الوسط . انهم اناس يعيشون  
بمواظمتهم ويأكلون قلوبهم .

وهكذا نجد انديسيون - في القصيدة الوحشية الجمال التي تحمل اسمه -  
يفرم بسينثيا غراما عاصفا لا مثيل له ويترك قلبه نهبا لكل جمال يحيط به  
مهما صغر ، حتى يكاد يتعذب بجبه لاشياء مثل الفراشات وزنابق الماء  
وضربات قاطع الاخشاب في غابات ( لانسوس ) .

اما قصيدة ( لاميا ) فهي تنتهي بمعانيها اللاشعورية المكتنزة الى ان التفكير  
يقضي على الحياة عندما يحاول ان يقتل العاطفة : لقد كانت ( لاميا ) أفعى  
تحولت الى فتاة جميلة بقدرة سحرية ، غير أنها كانت مخلصة ، في حبها للطلاب  
( ليسيوس ) عاشق الشعر والفلسفة ، فبنت له قصرا مسحورا جدرانها من  
الموسيقى . وفي يوم الزواج ، خلال دعوة صاحبة بالعطر والموسيقى والالوان ،  
يتدخل ( ابولونيوس ) استاذ الفلسفة فيحدث في ( لاميا ) تحديقة ثابتة طويلة  
تكشف عن حقيقتها الخيالية وتهدم الجدران الموسيقية للمنزل ، واذ ذلك  
تصرخ ( لاميا ) وتتلشى . والى هنا يكون الموقف غير غريب بالنسبة للقارىء ،  
فماذا في ان يهدم الواقع الملموس خيالات من هذا النوع ؟ غير أن النتيجة التي  
انتهى اليها ( ليسيوس ) هي الموضوع الهام بالنسبة لكيتس . ذلك ان  
( ليسيوس ) قدمات حالا عندما فقد حبيته المسحورة ، وسدىء حاول  
( ابولونيوس ) اتقاذه . وقد كان هذا سر كيتس أيضا .

هذه المبالغة في بذل القوى النفسية لا بد أن تؤدي بالشاعر الى ان «يستنفذ»  
قواه الروحية والشعورية في بضع سنين ، ثم يقف لاهثا فجأة ويضطر الى  
ان يموت . فالأفعالية تشبه الاحتراق ، لأنها تجعل الشاعر ضعيفا ازاء مظاهر

(١) بطلا قصيدة Endymion

(٢) شخصية بارزة في قصيدة كيتس Hyperion

الحياة المحيطة به ، فكل جمال يعصف بقلبه ، وكل اتساق يملأ مشاعره  
بالحماسة الطافحة ، وهذه حالة تصبح فيها قيمة الاشياء المحيطة بالشاعر أعلى  
من حياته نفسها .

وهكذا كان الانفعال اول طريق الى الموت في حياة هؤلاء الشعراء ، لان  
رصيد الانسان من الطاقة العاطفية محدود بحيث اذا بالغ في صرفه انتهى الى  
« افلاس » انفعالي مبكر . وهذا الافلاس هو الباب المؤدي الى الموت .  
ولتخيل كيتس او الشابي من دون انفعال . انهما ولا شك يموتان ...  
ولعل هذه الحقيقة تبيح لنا ان نعتقد ان هذا الولوج الذي صبه شعراؤنا  
على الموت كان يتضمن ادراكا باطنا سابقا للخاتمة المبكرة ، تسوقهم اليه  
ملاحظتهم الخفية لانعدام التوازن بين المبدول من طاقتهم العاطفية والرصيد  
الكامل منها في كل حياة انسانية . وكأن الواحد منهم كان يشعر بأنه يقتل  
نفسه شيئا فشيئا حينما يسرف في طاقة الانفعال .

ولا شك في ان هذا يلوح حياقة للمتوسطين من الناس وهم أغلبية البشر .  
غير ان منطق العبقرية اجبالا ينسجم مع ما سناه ( نيتشه ) بالرغبة في الفناء  
للتفوق على الذات . وهي رغبة غير واعية لا يد للشاعر الانفعالي فيها ، فهو  
بطبعه مسرف ، وان أدى الاسراف الى موته ، لا بل انه يسرف لكي يموت .  
وهو يمنح الاشياء كلها قيسا جمالية أعلى من القيم التي ينحها ايها الفرد  
العادي ، ويؤدي هذا « المنح » الى الموت .

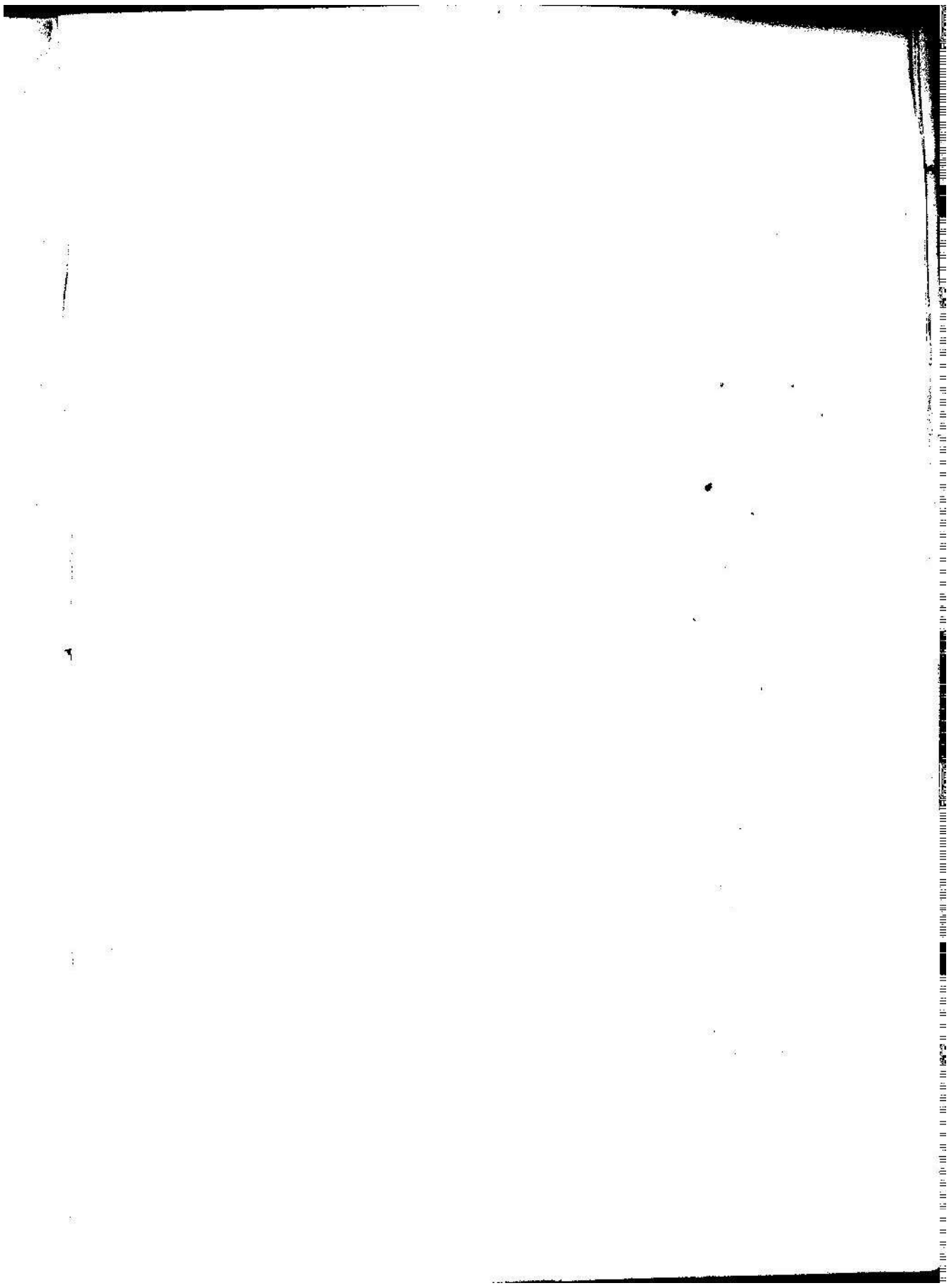
ومن ثم يتكون في حياة الشاعر الانفعالي مثلث من القيم زواياه الثلاث  
هي الانفعال والشعر والموت . فالشاعر يجب الانفعال لانه يؤدي الى الشعر .  
على انه يلاحظ ان الانفعال هو الموت لان الاول طريق محتم الى الثاني ...  
ومن ثم تبدأ مرحلة من الغرام بالموت نفسه تقابل الغرام بالشعر ، حتى تصبح  
الالفاظ الثلاثة في معنى واحد . انها مرحلة يندغم فيها الطريق بالغاية التي  
ينتهي اليها في وحدة متينة لا انفصام لها .

وربما كان رأينا هذا محض « جولة » جينا فيها جهة وحثية من جهات  
التعليل الادبي . ولعل الموضوع يحتاج الى ان نواجهه مرة اخرى ..

# الباب الثالث

## في نقد السمر

- مزلق النقد المعاصر  
- الناقد العربي والمسؤولية النقدية



## الفصل الأول

### مزايي النقد المعاصر

ما زال النقد الادبي بمعناه الحديث فنا ناشئا في آدابنا المعاصرة تنقصه الاسس التي يرتكز اليها في أحكامه ويموزه التركيز والرصانة . فنحن ما زلنا نعبر من حياتنا تلك الفترة التي تنصف بالعقوية والاستغراق ، وهي فترة ثمر بها الاداب في اوائل يقظتها حين يكون اتاجها غير شاعر بذاته ، فينفجر على صورة ادب يعالج الانطباعات النفسية والذهنية والاجتماعية معالجة تلقائية دون ان يقف ليراجع هذا الاتاج ويحكم عليه .

والنقد الادبي مرحلة يبدأ فيها الادب العقوي احساسه بذاته على اثر نضجه واكتسالى نسوه وشعوره بفيض من الحيوية الناقدة التي لا بد لها ان تنطلق . وهو في حياة أية جماعة يمثل مرحلة اكتسالى ثقافي يسكن ان نسميه وعيا بالذات ولهذا نجد المؤلف في آداب الامم ان يوجد الفنانون اولاً ثم النقاد .

وما دامت الحاجة الى النقد الادبي قد بدأت تبرز وتتضخم في آدابنا فليس من شك في انه على وشك نمو سريع ، فستى اقتضت الظروف ان يوجد لون معين من الادب كان لا بد له ان يوجد ، وامامنا شواهد تاريخية كثيرة على هذا القانون . على ان هذا الفرع من فروع التأليف وهو يسير على غير هدى سيضيع جهودا كثيرة حتى يهتدي الى الاسس التي ستوجهه وتحكمه ، وحتى تنشأ فيه النظريات والمذاهب والمدارس التي تستند الى ادبنا المحلي دون ارتكاز الى نظريات النقد الاوربية .

والمزلق التي يجابهها النقد العربي اليوم اكثر مما يسكن معه الاطمئنان، فالناقد يدخل هذا الميدان المضل دون نظريات تقوده ولا مذاهب توجهه ولا اسس يعتمد عليها في احكامه ، وانما يجد مكان ذلك احساسا داخليا مبهما يهتف به انه ، وهو يسلك مسلك الناقد ، انما يضع بنفسه خططا وقوانين وأساسا ، ذلك لانه لا يسلك حتى نماذج رديئة يقيس عليها . ومن هنا ينشأ في نفسه التهيّب ويحس بضرورة الحذر الشديد والاقتصاد في الاحكام والاّ جرفه تيار الابتذال . وهذا فينا نظن موقف كل ناقد مثقف يعرف هدفه معرفة جيدة، ويهمله الا يضل الطريق . فالنقد في هذه المرحلة من مراحل نموّنا الثقافي موضوع دقيق خطير ، وسيكشف المستقبل القريب الغطاء عن كثير مما يسر بنا اليوم باسم النقد فيلوح لنا اذ ذاك مظهرا من مظاهر صباانا الثقافي لا اكثر .

واحد المزلق الشائعة التي يكثر سقوط الناقد العربي المعاصر فيها ، مزلق يغلب على ظننا انه صدى للإبحاث السايكولوجية الحديثة التي تصب اهتماما ضخما على الفنان نفسه حين تطاول تقديم اتاجه الفني . وقد بات شائعا ان يكتب الكاتب مقالا في نقد قصيدة او ديوان شعر فينتقل دون وعي الى الحديث عن حياة الشاعر وظروفه الاجتماعية والبيئية . وليس من الضروري، لكي يتم السقوط في هذا المزلق ، ان يتحدث الناقد عن مولد الشاعر وطفولته، وانما يكفي ان يقول ان هذه القصيدة تدلّ على ان الشاعر جبلي مثلا ،

وانه يعيش حياة هادئة ونحو هذا لكي يخرج كليا عن حدود مملكة النقد  
الادبي ويدخل في نطاق سيرة الحياة .

ذلك ان المهمة الادبية للناقد تبقى مقيدة بالقصيدة من وجهتها الجمالية  
والتعبيرية ، في دراسة موضوعية خالصة ، يلاحظ خلالها هيكل القصيدة  
العام ، ويقف عند أداة التعبير فيدرس مدى اتساقها مع جو القصيدة والعاطفة  
التي تسيطر عليها ، ويدرس الوزن واللمسات الموسيقية وأثر القافية ، ويتحدث  
عن الموضوع واسلوب الشاعر في تناوله ، ويعين الاساس الذي تركز اليه  
الفكرة العامة ، وقد يخرج الى المقارنة بين قصيدة وقصيدة وشاعر وشاعر ،  
ولا بأس في أية اتجاهات أخرى لا تخرج عن هذه الحدود ولا تدخل في نطاق  
حياة الشاعر وآرائه الاجتماعية ، فهذا يدخل في باب السيرة وهي دائرة  
منفصلة عن دائرة النقد الادبي .

وأقرب المزالق الى مزلق السيرة هذا ، اتجاه الناقد الى العناية بما نسي  
القصيدة من أفكار وجعلها الاساس في نقده . وهذا خطأ شائع سهل  
الوقوع فيه خاصة في هذا القرن الذي تشعبت فيه الآراء وزادت سطوتها في  
الاذهان فبات لكل منا معتقده الخاص الذي يؤمن به ايمانا عيقا ويتحس  
له . ومهمة الناقد الادبي شاقة لان عليه ان يتجرد من طغيان آرائه وهو يتناول  
التقصيدة التي يدرسها ، فالمهم بالنسبة له هو القصيدة لا نوعية الآراء التي  
يحصلها . والحقيقة ان استهواء الافكار والآراء استهواء خطر لا سبيل الى  
الاستهانة به خاصة حين تكون هذه الآراء مما يسر القضايا الحساسة في  
انفسنا ، انسانية كانت أو قومية أو فردية . وكثيرون من الناس يجنحون دون  
وعي الى الاعجاب بكل قصيدة تعبر عن آرائهم متعافلين عن ضعف القوى  
الشعرية فيها تغافلا تاما . وتلك حالة تشفع فيها للقصيدة عوامل لا علاقة لها  
بالشعر ، وهي حالة يقع فيها كثير من يكتبون في النقد ، فالقصيدة عندهم  
ردية لانها تحتوي على رأي في الحياة يخالف رأيهم وكأن لآراء الشاعر قيمة  
فنية تؤثر في حكمنا على شعره .

والمشكلة الأساسية في هذا المزلق ، ان الكاتب يخلط بين القصيدة وموضوعها وهما شيئا منفصلان . ويمكن أن نقول اجالا ان الموضوع ينبغي ان يؤثر في القصيدة لا في الناقد ، فكل ما يهم الناقد ان يلاحظ هو كفاءة القصيدة للتعبير عن الموضوع دون ان يناقش صلاحية الموضوع من الوجهة التاريخية والاجتماعية ، فهذه تدخل في حدود مهمة الذين يدرسون تاريخ الحركات الوطنية والادبية ، وهي ان استأهلت من الناقد التفاتا فهو التفات الاشارة . الذي لا يعنيه من نقد القصيدة تقدا موضوعيا . والسقوط في هذا المزلق يستطيع ان يتم كما تم سابقه دون تطرف كبير ، فيكفي ان يهتم الكاتب بالاشارة الى آراء الشاعر حتى دون ان يناقشها لكي يخرج من حدود مهمته . ومن نماذج هذا الخروج ان يقول الناقد للقارئ ان الشاعر يحب الطبيعة او انه شديد الحساسية بدليل قوله ... وانه يدعو الانطلاق بدليل قوله ... ونحو ذلك . فهذا كله لون من الدراسة الاجتماعية والنفسية ولا علاقة له بالنقد .

ومن ابرز المزالق التي يحذرهما الناقد المتقف ما يمكن ان نسميه بالنقد التجزئي ، وهو ذلك النقد الذي يتناول القصيدة تناولا تفصيليا يقف عند المظاهر الخارجية ويعطي نفسه من معالجة القصيدة باعتبارها هيكلا فنيا مكتسلا . وأظهر اعراض هذا النقد اعتبار القصيدة مجموعة من المعاني وحدتها البيت على الاسلوب القديم . وفي هذه الحالة يقف الناقد عند البيت الواحد مناقشا في اسلوب كلامي ويتناول التعابير مفصولة عن السياق فيحكم عليها بالجمال او القبح . ويصبح ناقد هذا النوع خطرا حين يكون ذكيا بارعا بالاسلوب ، فهو اذ ذلك يفلح في تضليل طالب الادب الناشئ وتوجيهه وجهة مغلوطة في التذوق والحكم ، فبدلا من أن يقدم له اسلوبا منهجيا في تقييم القصيدة يشغله بملاحظات ذكية لاذعة هنا وهناك . مثل هذا الناقد ينسى ان النقد الحقيقي يبدأ بعد هذه المرحلة التي تقف عند الثوب الخارجي وتترك جوهر القصيدة مطورا بعيدا عن تذوق القراء .

واحد المزالق ان يعتاد الناقد ان يكون سليبا في احكامه فبدلا من ان

يدل على مواطن الجمال في الشعر المنقود ، يكتفي بتبرئته من المعايب الشائعة .  
ونموذج هذا تلك العبارة التي يكررها الكتاب حين يطولون الحكم على  
شاعر مقبول ، وهي قولهم « انه شاعر حقيقي يشمر ولا ينظم .. » أفلا  
تتضمن كلمة « شاعر » معنى « الحقيقي الذي يشمر » ؟ ومتى كان الشاعر  
يمتدح بانه ليس « نظاما » ؟ ومن امثلة هذه الاحكام السليبه ما قرأناه لاديب  
كبير في نقد ديوان لشاعر معروف . قال : « لا تكلف ولا تبذل ولا لف ولا  
دوران ولا بهرجة بيانية وعروضية ولا تفتيش مضمّن عن أوابد الكلم  
والمعاني . » ولسنا نفهم كيف يكون هذا مديحا الا اذا اصبح مجرد خلو الشعر  
من بعض العيوب الفادحة يسكن ان يعد فضيلة تمتدح ، والا اذا كان المعنى  
ان شعرنا اليوم يقوم على اللف والدوران والبهرجة والتفتيش المضني عن  
الالفاظ .

وأحد المزالق الخطرة يكمن وراء استهواء الافكار والسكتر بالنظريات ،  
وهو مزلق يتردّي فيه اولئك الموهوبون الذين قال عنهم ( ت . س . ايليوت )  
في بعض مقالاته انهم يسلكون عبقریات خلاقه ، الا انهم ، لتعطل في قواهم  
المنتجة ، راحوا يتسلّون بالنقد الادبي . مثل هؤلاء عادة يحوكون حول  
القضايا نظريات متحمسة او تفسيرات من لون بعيد عن الاصل بعدا كبيرا  
فلما يلاحظونه ، فهم منتشون ببريق الفكرة التي ابتدعوها وليس على التصيدة  
الا ان تنضغط وفق القالب الذي يريدونه .

وقريب من هؤلاء أولئك الذين يحملون عن القضايد آراء سابقة قبل ان  
يقرأوها فليس أخطر من هذا الاستعداد العاطفي ، لانه احيانا ينوم حاسة  
التذوق ويعطل قابلية الحكم ليفرض رأيا غير مقبول .  
اما اغراء الاسلوب والانشاء بالالفاظ والتعابير فهو شرك للناشئين من  
النقاد الذين يسكرهم احساسهم بالقدرة على التعبير فينشون مقالا منمقاعالي  
الاسلوب مكتسل الانشاء ، الا انه لا يسسّ التصيدة التي يتناولها الا مسّا  
خفيفا ، ومن هؤلاء فئة تغرم بكتابة المقدمات التاريخية المتعلقة بوضوع

الشعر ، واعرف أديبا يكتب في نقد قصيدة تصف سنابل القمح في حقل فيبدأ  
من تاريخ صنع اول طاحونة هوائية .  
هذه المزالق كلها قائمة امام الناقد العربي المعاصر تفرضها عليه الظروف  
التاريخية التي واكبت نهضتنا الحديثة ، وهي بما فيها من استهواء توشك ان  
تلقف كثرة بارزة من كتاب النقد المعاصرين بحيث بات المجال محفوظا بالخطر .  
وما لم يتسلح الناقد المعاصر بثقافة متغلغلة نقادة اصبح لا بد له أن يذهب في  
الضحايا ويساعد في اسلام ادبنا المعاصر الى الفوضى والاضطراب .



## الفصل الثاني

### الناقد العربي والمسؤولية اللغوية

تتجلى ، لمن يراقب النقد العربي المعاصر ، ظاهرة خطيرة شائعة فيه ،  
ملخصها ان النقاد يتفاضون تفاضيا تاما عن الاعطاء اللغوية والنحوية والإملائية  
فلا يشيرون اليها ولا يحتجون عليها . وكأنهم ، بذلك ، يفترضون ان من حق  
اي انسان أن يخرق القواعد الراسخة وان يصوغ الكلمات على غير القياس  
الوارد وان ينتدع انماطا من التعابير الركيكة التي تخدش السمع المرهف ،  
وكان من واجب الناقد ان يوافق على ذلك كله موافقة تامة فلا يشير الى  
الاعطال ولا يحاول حتى ان يعطي تلك الاعطال تخريجا او مسامحة . ولقد  
اصبح هذا التعافل هو القانون الناقد في كل نقد تنشره الصحف الادبية ،  
حتى لقد يتصدى الناقد الى نقد ديوان شعر مشحون بالاعطال المخجلة فلا  
يزيد على ان يكيل كلمات الاعجاب للشاعر على تجديده وابداعه ، مهمل  
التعليق ولو بكلمة زجر عابرة ، على فوضى التعابير والاعطاء . افلا ينطوي

هذا الموقف من النقد على تشجيع واضح للجيل كله على الاستهانة باللغة العربية والاستخفاف بقواعدها الرصينة؟ وإلى أي مدى ينبغي أن يعد الناقد نفسه مسؤولاً عن لغة الشعر المعاصر؟

والواقع أن ازدراء الناقد للجانب اللغوي من النقد ليس الصورة من ازدراء الشاعر نفسه للغة وقواعدها، فإن مصدر هذا الازدراء منهما واحد، وفي وسعنا أن نعود بالظاهرة إلى منابعها الحقة في حياتنا المعاصرة نفسها. وليست اللغة بسختلف مظاهرها، إلا مرآة تنعكس فيها حياة الأمة التي تتكلمها. إن الجذور الرئيسة لهذه الظاهرة تختبئ في شبه عقيدة موهومة وقع فيها الجيل العربي المعاصر مؤداها أن الاهتمام باللغة والحرص على قواعدها المختلفة، يدلان على جمود فكري في الأدب وقد يشيران إلى نقص صريح في ثقافته الحديثة. وقد تبلورت هذه العقيدة الزائفة في نفس الشعراء والكتاب حتى أصبحت تعني لديهم أن التجديد يتجلى فعلاً في ازدراء القواعد النحوية وإهمال القاموس والمقاييس اللغوية التي تعترف بها الأمة كلها. ولعل الناقد العربي ملزم بأن يعترف اليوم بأنه بات يشعر بكثير من الحرج والاستحياء إذا ما هم بتبني شاعر إلى كلية مغلوبة أو قاعدة مخروقة في شعره. ليس ذلك لأن الناقد يقرّ الخطأ، وإنما لأنه يخشى أن يقال عنه أنه ناقد رجعي لم يتصل بالتيارات الحديثة في النقد، ولم يسع بعد من المضمون أهم من الشكل أو أنه العنصر الأوحده في القصيدة التي يقدها.

إن القول بأهمية المضمون وسبقه لكل قيمة غيره في القصيدة قول شائع اليوم. وهناك زمرة من النقاد تشهره سلاحاً بناراً في وجه كل ناقد يحرس على سلامة اللغة. حتى لقد قامت مدارس بعينها تدعو إلى هدم القواعد باسم هذا وذلك من الأسباب الواهنة. ولم ترتفع، في ردع هذه المدارس، إلا أصوات خافتة خجلة ما لبث الصياح حتى أسكتها. وليس لهذا الصياح - في نظر العلم - اسم غير الإرهاب الفكري. وإن واجب الناقد المخلص يقتضي أن يعلن رأيه ولا ترهبه التسميات. ذلك أن الأسماء إنما تكتسب قسماً من

الحقائق التي تسندها . ثم ان قضية اللغة العربية يجب ان تكون أعزّ علينا من سمعتنا الشخصية باعتبارنا كتابا مجددين ذوي ثقافة حديثة . وبعد فهل حقا تستطيع الدعوة الى سلامة اللغة أن تسلب الناقد صفة التجديد ؟ وهل حقا ان سلامة اللغة ليست شرطا في جمالية القصيدة ، كما يزعم بعضهم ، وكما يريدوننا ان نصدق ؟ وهل يسوغ لاي ناقد ، مهما كان حديثا في ثقافته، ان يتحدث بلغة النظريات والتحليلات عن اية قصيدة حافلة بالاغلاط المشوهة والتعابير الركيكة ؟

ان الامة العربية تمرّ اليوم بمرق هام من مفارق حياتها ، ونحن ملزمون بأن نعمل ، كل في الجهة التي تؤهله لها فطرته ، في سبيل ان نرفع مستوانا ونبرز مواهبنا ونتج في الحقول كلها . وعلى الناقد العربي يقع قسط كبير من حماية اللغة العربية الجميلة من كل دعوة مريضة للعبث بها . ان هنالك اليوم مدارس بعينها هدفها الرسمي ان تهدم قواعد اللغة العربية وتقضى عليها قضاء مبرما . وسواء آكانت هذه المدارس تصدر في دعوتها عن نزوة فكرية برئة ، ام كانت تتعمد - لغرض مبيت - ان توهن اللغة العربية وتهدم أصالتها ، فان علينا ان نتصدى لها وتناقش دعوتها مناقشة الحريص الذي يفار على لغة الضاد من ان يعبث بها عابث غير مسؤول . وانه ليحزننا ان نرى اكثر قنادنا غير عابئين . والافنا الذي جعلهم يسكتون سكوتا متصلا على الظاهرة اللغوية الخطيرة التي بدأت منذ سنين تشيع في شعر المدرسة اللبنانية الحديثة ، ظاهرة العبث بالقواعد النحوية الراسخة واخضاع اللغة للسمع الشاذ الذي لا يعتد به ؟ لماذا لم يحتج اي من قنادنا على « أل » التعريف وقد راح جيل كامل من شباب لبنان يدخلها على الافعال فيقولون في مثل الاشياء التالية :

أقصاه الترنّ في الهاكل

الاروقة المعاول

الترن في الشوارع العوائل  
والاكهف المنازل  
التود ان تحبس بي الحياة والتجددا<sup>(١)</sup>

ولماذا سكت الناقد العربي على دخول (أل) هذه على المنادى بـ ( يا ) في  
مثل الايات التالية :

يا الفلك الدائر ، يا اليوزع في فصولها  
ألم يك التراب من أصولها  
ألم اكن انا من التراب ، يا البيخج المطر<sup>(٢)</sup>

ان دفاع بعض هؤلاء الشعراء بان هذه الاساليب السقيمة قد وردت في  
شواهد النحو<sup>(٣)</sup> دفاع ضعيف . ذلك اننا قد خرجنا اليوم من بداوة القرون  
الاولى التي كانت تعزل بطننا من قبيلة ما فتجعل لغته تشذ وتنحرف . ولقد  
ثبت القرآن ، بلغته السهلة الجميلة ، صورة للغة العرب سارت عليها القرون  
وأغنتنا عن الشذوذ والعبث . ثم ان قواعد النحو ليست الا صورة من القوانين  
التي تخضع لها الجماعات ، والجماعة التي تضع قواعد لغتها لا بد ان تضع

- (١) قصيدة عنوانها ( اللحم والسنابل ) لنذير عظمة نشرتها مجلة ( شعر ) في  
عددتها الثالث صيف سنة ١٩٥٧ .
- (٢) القصيدة السابقة نفسها لنذير عظمة .
- (٣) وردت شواهد شاذة من الشعر القديم تسند هذه الاغلاط فدخلت ( أل )  
على الفعل في اكثر من شاهد واحد المشهور منها :  
ما أنت بالحكم الترضى حكومته  
ولا الاصيل ولا ذو الراي والجدل  
ودخلت ( ال ) على المنادى في قول الشاعر :  
فيا الغلامان اللدان فرا اياكما ان تعقبانا شرا

قواعد تفكيرها وحياتها بالتالي • ان لزوم القاعدة النحوية صورة من احساس  
الامة بالنظام ودليل على احترامها لتاريخها وتقتها بأنها أمة أصيلة • وما  
القواعد النحوية ، بعد ، الا عصاراة الالبسة العربية الفصيحة عبر مئات سن  
السنين ، فلن يكون في وسع شاعر اليوم ان يلعب بها اطاعة لنزوة لغوية عابرة •  
ولتساءل ، على كل حال ، عن المكسب التعبيري الذي يحققه الشاعر من  
ادخاله ( آل ) على الفعل مثلا • ولا بد ان يسوقنا هذا الى ان تساءل اولاً  
لماذا كانت الافعال غير قابلة لدخول ( آل ) عليها ؟ في الواقع ان قواعد النحو  
تخضع لمنطق العاطفة الانسانية خضوعاً تاماً ، وما من قاعدة معقولة قط الا  
وفي وسعنا ان نلتمس لها سبباً اسانياً يدعمها • وانما تدخل ( آل ) على الاسماء  
لانها أسماء ولها صفة الاسمية ، او صفة التجريد بكلمة اخرى • فالاسماء  
كلها مجردة من الزمن ومن الحركة ومن العاطفة • ومثلها في هذا الصفات •  
ان وجودها جامد لا ينسو ولا يتغير ولا تأثير لمشاعرنا فيه • وليست كذلك  
الافعال • هنا ، في الافعال ، يمتد مجال الانسانية وتميش أحاسيسنا وحركاتنا  
وتقلباتنا وحياتنا كلها • ان قولنا « جاء » يمتلك من الحياة الزاخرة ما لا يملكه  
الف اسم والف صفة • هذه الحركة التي ينطوي عليها فعل المجيء ، وهذه  
الانسانية الكاملة التي يتضمنها وهذا الزمن الذي يختبئ في ثنايا الحروف ،  
كل ذلك يميز الفعل ويجعله اوثق ارتباطاً بالحياة نفسها • ولذلك كان الفعل  
اشرف ما في اللغة ، واليه تستند الجبل والعبارات • الفعل هو حقاً انسانية  
الملفة ، اذا صحّ هذا التعبير • ومن ثم فاية خسارة جسيمة ان تدعو مدرسة  
كاملة اليوم الى ان نضيع هذا الفعل ونكتب بلغة خالية منه ؟ ذلك ان ادخال  
( آل ) على الفعل يعني حتماً ان يكف الفعل عن أن يكون فعلاً ، ويكتسب  
جمود الاسمية • والواقع انه ، اذا تأملناه ، يتحول الى نوع من « الصفة »  
وينفقد طابع الامتداد الزمني<sup>(١)</sup> وذلك هو السبب في الجفاف الماحل واليبوسة

(١) يعرب النحاة ( آل ) التي تدخل على الفعل على انها

القاسية التي نجدها في الايات التي اقتبسناها سابقا :

أقفاصه الترنّ في الهياكل

الاروقة المماول

الترن في الشوارع الفوائل

والاكهف المنازل

التودّ ان تجبس بي الحياة والتجددا

هذا ، في الحق ، كلام صلد لا ليونة فيه ولا عذوبة ، تترادف فيه  
المجردات التي توحش القلب الانساني وتشعره بجفاف الدنيا التي يصوّرها  
الشاعر . وكم كانت الايات تكتسب من الحرارة والحركة والطراوة لو ان  
المشاعر اعطانا افعالا طبيعية تنفس بين الاسماء وتخفف من وحشة التجريد  
فيها . ولكن هذا الشاعر الحديث يحسب القواعد ، فيما يلوح ، قيودا مرتجلة  
قيدنا بها اسلافنا النحاة دونما سبب موجب . ولذلك رضي أن يغيب قصيدته  
فيحرمها من أجل ما فيها ، من الافعال التي هي مصدر الضوء والدفء في  
اللغة ، ثم ان ( آل ) هذه حين تكثر تزعج السمع وتصبح رتيبة ولا أدري لماذا  
يولع شعراء هذه المدرسة بها . هذا نموذج :

الوحدة الفراغ

والدم الصقيع

والركود السأم الجامد<sup>(١)</sup>

ان هذه =

= مجرد تسمية كان الغرض منها التمييز . ذلك ان ( آل ) الموصولة - اذا  
درسنا امثلتها وتأملنا - ليست الا ( آل ) التعريف نفسها . وانما اراد  
النحاة بها ان يفرقوا بينها وبين التي تدخل على الاسماء . ونحن نرى ان  
( الذي ) وسائر الموصولات ليست الا وسائل تحاشي بها اللسان العربي  
ادخال ( آل ) على الفعل وبذلك حفظ له قليلته واصالته . وهذه هي  
القيمة الوحيدة للموصولات ، وهي قيمة عظيمة لا ندري لماذا لم يمد هذا  
الشاعر الحديث يقدرها ؟

(١) نذير عظمه - القصيدة المذكورة سابقا .

هذه ثلاثة أشطر من قصيدة ( وسأحتفظ باعتراضاتي الكثيرة على تشكيلات الوزن فيها ) ستة أسماء وصفة ، وكلها معرف بأل . ما أشد ما تبدو الدنيا موحشة ميتة لنا ونحن نعيش بين كل هذه المجردات ! وأي بمد بين هذه الدنيا وحياتنا العربية الملتهبة اليوم بحرارة النضال وحماسة الاندفاع والحياة !

وبعد فهما كانت هذه الدعوة وامثالها بريئة من القصد السيء فهي ، على كل حال ، دعوة مجحفة تنطوي على بذور مميتة لن تنتهي باللغة العربية الى الخير . وقيام مثل هذه الدعوات يلقي على الناقد مسؤولية خطيرة . فمن سواء يستطيع ان يتصدى لاقتاذ اللغة والشعر من ان يتقادا لدعوات الموت والقتل هذه ؟ انا لندرك ان هناك اليوم في صفوف هذه الامة قوى متربصة تنطوي على الشرّ وسوء النية ويهتما ان تهدم العروبة على أي وجه يتاح . ولعلّ الحرب العنيفة ليست أقطع وسائل هذا العدو في محاربتنا . فان له أساليب اخرى اخفى واشدّ مضاءً . وهل أخطر من ان يضعف ايمان الجيل الطالع باللغة العربية وحصانة قواعدها السليمة ؟ واذا اضعفنا ذلك الايمان أفلن نكون قد ساعدنا في خلق جيل ضعيف الثقة بالعروبة نفسها ؟ انه ليحزننا ان نقول اننا ، حتى الان ، قد مضينا في هذا طويلا ، وان بين ايدينا الان جيلا يتشكك في منطقية القواعد البيديهية ويستخف باللغة معتقدا ان الاستهانة بالمقاييس اللغوية أمر ينم عن التجديد الحق والتحرر الفكري . واني لاجزم ان بين الادباء انفسهم فئة تؤمن بأن التنبه الى اغلاط النحو واللغة مظهر ضحالة ورجعية في ثقافة الناقد . وقد تكون أول تهمة توجه الى هذا الناقد انه غير مثقف في النقد الادبي الحديث .

على اننا لا ندعو الى التمسك بقواعد اللغة لذاتها . ولسنا نحب ان ننصب مشايق أدبية لكل من يستعمل لفظة استعمالا يهبها حياة جديدة ، او يدعو الى الاستغناء عن بعض تشكيلات النحو البالية التي لم نعد نستعملها . لا بل أننا تؤمن أعمق ايمان بالتجديد المبدع ونعتقد ان هذا التجديد لا يتم الا على أيدي الشعراء والادباء والنقاد المثقفين الموهوبين . غير ان هذا كله شيء ،

والعبث بالمقاييس شيء آخر . نحن نرفض بقوة وصرامة ان يبيح شاعر لنفسه ان يلعب بقواعد النحو واللغة لمجرد ان قافية تضايقه او تفعيلته تضغط عليه . وانه لسخف عظيم ان يمنح الشاعر نفسه اية حرية لغوية لا يملكها الناثر .<sup>(١)</sup> فمن قال ان الشاعر الموهوب يستطيع ان يبدع أي شيء في غير الاطار اللغوي لعصره ؟

ان كل خروج على القواعد المعتبرة ينقص من تعبيرية الشعر ويبعده عن روحية العصر . ولسنا ، على كل ، نفهم لماذا يريد الناقد ان يكون الشاعر الحديث تقل اللغة المدلل فيخطيء ويرتكب المحذورات ما شاء دون ان يحاسب ؟

بعد ان شخّصنا جوهر الظاهرة التي لفتت نظرنا في فقدان المعاصر ، وفسرناها بانها ، في حقيقتها ، موجة من العناية بالمضمون جرفت النقاد العرب اليوم حتى أهملوا الاداة التي يعبر بها عن ذلك المضمون ، بعد ذلك نود ان ندرس صلة هذه الظاهرة بتاريخنا الادبي وحياتنا القاسية . فما من ظاهرة أدبية الا ولها جذور اجتماعية تتصل بالحياة النفسية للامة ، فهل هذه الظاهرة اصيلة ؟ هل تنبع من موقف امة تتحدر من مثل تاريخنا الادبي العربي " ام انها بجملها ظاهرة دخيلة وافدة على حياتنا وفودا متعسفا على نحو ما وفدت عشرات الاشياء الاخرى من الغرب ؟

ان الظواهر الادبية تخضع للقانون العام الذي يتحكم في الظواهر كلها . فكل ظاهرة مندفعة في الامة تعبر عن وجود نقص ما في الاتجاه الذي تندفع نحوه الظاهرة . واذا بالفنا اليوم في العناية بالمضمون ، فان معنى ذلك ان في

(١) هذا رأي ، رغم علمي بوجود باب سماه الالوسي (الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر) .

اعماقتنا احساسا باننا كنا سابقا نبالغ في العناية باللغة حتى اختلّ التوازن .  
وذلك حق ومن واجبنا ان نعترف به . ان ادبنا الحديث قد خضع لحركة  
التموج التطوري الطبيعي فانتقل من تطرف ادباء الفترة المظلمة في التمسك  
بشكليات الشعر ومظاهره السطحية الخارجية ، الى تطرف عصرنا في اهمال  
المظاهر الخارجية . على ان العشرين سنة الماضية من حياة الشعر العربي لا بد  
ان تكون قد استوفت حركة ردّ الفعل هذه استيفاء تاما . هذا فضلا عن أن  
ردود الفعل يجب ألا تقودنا من خطأ في أقصى اليمين الى خطأ في أقصى  
اليسار . فكلا اليمين المتطرف واليسار المتطرف خطأ في هذه الحالة ، ولا بد  
لنا أن نقف في الوسط ، مسيطرين تمام السيطرة ، على المضمون والاداة في  
وحي واتزان . والا فلا بد لنا ان نبقي اطفالا مخطئين الى الابد نضيع مرة  
الشكل لفرط حرصنا على المضمون ، ونضيع في المرة التالية المضمون بسبب  
ايتارنا للشكل .

والواقع ان السبب المباشر في استمرار حركة ردّ الفعل هذه أطول مما  
يصحّ هو أن الناقد العربي يقف اليوم وقفة خشوع وتقديس أمام النقد  
الاوروبي ونظرياته الوافدة ، وكأن ذلك النقد نموذج في الابداع والعبقرية  
لا يسكن ان يصله الفكر العربي الا بالقليد والاقْتباس والنقل . وفي غمرة  
هذه العقيدة الواهية ، أغلق الناقد العربي الباب على منابع الفكر والخصوبة  
والموهبة في ذهنه وراح يعترف من معين الاساتذة النقاد الاوربيين ، دون ان  
يفطن الى ان النقد الاوربي يتحدر من تاريخ منزول اعزالا تاما عن تاريخنا .  
وكيف يتاح لنا ان نطبق أسس ذلك النقد الاجنبي على شعرنا الذي يتدفق من  
قلوب غير تلك القلوب ، وعصور غير تلك العصور ؟ كيف يتاح لنا ان نحقق  
ذلك التطبيق الا بطرفة متمسفة ظالمة يقع القسر فيها والضغط على الشعر  
العربي اكثر ما يقع ؟ ومن يجرؤ ان يزعم ان الذهن العربي ليس مفعمسا  
بالخصب والحياة ، واننا لا قتلته قتلا عندما نضعفه في قوالب من التفكير  
الاوربي جاءونا بها مؤخرا وشهروها في وجوهنا ؟ اتنا لا نصدر في عقيدتنا

هذه عن تعصب ولا عن ضعف ايمان بغنى الاداب الاوربية وجمالها . ولكننا نقول ، ونصرّ على القول ، ان لآدابنا العربية شخصيتها المستقلة وان النقد الذي يصلح لشعرنا يختلف ، بالضرورة ، عن النقد الاوربي ، ولا بد لنا ان نستقرئ نحن القواعد ، من شعرنا ، ومن أدبنا ، في هذا الوطن العربي ، وباللغة العربية .

ولست الظاهرة التي ندرسها في هذا المقال الا نموذجاً واحداً من نماذج كثيرة للضلال المحزن الذي يقع فيه الناقد العربي اذا هو اسلم قياده مغمض العينين للنقد الاجنبي الوافد . ذلك ان الناقد الفرنسي مثلاً ، قلما يحتاج الى ان يفرد باباً لنقد الاخطاء اللغوية والنحوية على نحو ما يحتاج الناقد العربي وذلك لمجرد أن المادة التي ينقدها ذاك خالية من الاخطاء فعلاً ، واذن فعلى اي وجه يستطيع الناقد العربي ان يقلده وهو يواجه قصائد مثقلة بالاغلاط ؟ ان المحاكاة ، في هذه الحالة ، لا تتم الا بأن يتخلى الناقد العربي عن مسؤوليته فيقف متفرجاً على هموم القصيدة العربية تاركاً شعرنا يعاني من مشاكله دوننا يد تمد لانشاله او صوت في الدفاع عنه .

على ان النقد الاوربي لا يقف في ضرره عند هذا ، وإنما ينصب لناقدنا شركاً أخطر وأشد . هذه النظريات الادبية المتعة ، وتلك المذاهب الفلسفية والمدارس التحليلية في النقد الاوربي . . هذه الدراسات الباهرة التي يكتبها الناقد الاجنبي هناك . . انها تعمل في تقادنا عمل السحر فتبهتهم وتسكروهم وتفقدهم اصالة أذهانهم وتصيب حواسهم المبدعة بشيء يشبه التنويم . فما يكاد الناقد العربي اليافع يقرأ ما كتبه ايليوت ورتشردز وبرادلي ومالارميه وفاليري وغيرهم حتى يشتهي أن يطبق ما يقولون على الشعر العربي مهما كلفه ذلك من تصنع وتعسف وجور على شعرنا ولغتنا . ويكون اول ما يضحي به هذا الناقد هو الجانب اللغوي من القصيدة العربية فبدلاً من أن يتناول القلم ويرفع صوت احتجاج على الشذوذ والاغلاط نجده يهمل ذلك ويعتبر القصيدة منزهة لكي يتاح له ان يحللها ويفرقنا خلال ذلك بسيل من الاصطلاحات الاجنبية التي لا تنطبق على شعرنا اطلاقاً ولم توضع له .

ان هذا الناقد العربي الذي يتحرق شوقا الى ان يجارى الناقد الاوربي في حديثه عن المدارس والنظريات الكبيرة ذات الطابع النفسي والفلسفي ، لا يجد أمامه الا قصائد عربية مزرية ، ضعيفة الانشاء ، يتعثر السمع بخلطة عروضية في كل ثلاثة اشطر منها . ومن ثم فانه مضطر اضطرارا الى ان يغمض عينيه عن عيوبها ، لكي يتاح له ان يعيش في جنة النظريات المسحورة التي استقاها من النقد الاجنبي . وبهذا يتغاضى عن مشكلة قائمة تحت بصره لكي يتحدث عن مشكلة مستحبة يود لو وجدت بالرغم من كل شي .

ان اللوم في هذا كله لا يقع على نقاد اوربا الذين لم يتوقفوا ليشيروا في مقالاتهم الى اخطاء لغوية ونحوية كالتى يجب أن يشير اليها الناقد العربي . وانما نحن الملمومون . فلماذا ينبغي أن يعيننا النقاد الاوربيون اذا كانت القصائد التي نتناولها نحن بالنقد مثقلة بمشاكل من نوع لا يحملون هم به؟ ولماذا نحكم اولئك النقاد الاجانب في الشعر العربي الذي يتحدر من تاريخ لا صلة له بتاريخهم الادبي ؟ وما هذه « المنجية » التي تجعل الناقد العربي يتعالى عن مواجهة مشاكل شعرنا الواقعية لمجرد أن الاساتذة المترفين من نقاد الغرب لا يتناولون مشاكل مماثلة في شعرهم ؟

هذا الموقف العجيب ينم عن ان الناقد العربي لا يرى في عملية النقد الا ترفا فكريا ووسيلة يستعين بها على اللعب بنظريات النقد الاوربي . فليس المهم ان يدرس مشاكل الشعر العربي لكي يضع الاسس الموضوعية لنقد عربي حديث ، وانما المقصد ان يشغل نفسه بتطبيق النظريات الاجنبية على هذا الشعر بأي ثمن . ان واقع شعرنا ليس هو الذي يسلي على نقادنا مايكتبون وانما ينقدون ليسلوا أنفسهم ويسلوننا بالكلمات الكبيرة المنتعة التي ابتدعها الاوربيون في أوقات فراغهم . والحق أن مسؤولية الناقد العربي تقضي عليه اليوم بالأى يكون له فراغ قط . ذلك ان شعرنا - كسائر جهات حياتنا العربية - مثقل بالمشاكل ، وفي وسع هومو ان تشغلنا اعواما طويلة قبل أن نفرع

ل تطبيق النظريات الممتعة عليه . ولعلنا نعترف كلنا بأن الشعر العربي - بعد الحرب العالمية الثانية - قد واجه صدمة غير هينة بسبب الدعوة المتطرفة الى الحرية حتى بدت علامات الاحتضار تلوح على أكثر من واحدة من المدارس الحديثة ، واذا لم تتدارك هذا الشعر فرعان ما سيموت . فهل نريد حقا ان نضي في اللعب بالنظريات الاوربية والكلمات الاجنبية ذات البريق والسحر ؟ ام ان الشعر العربي سيمز على تقادنا فيقفون صفا واحدا ليسندوه ؟

ومهما سيكون موقفنا فلعلنا لا نبالغ اذا قلنا ان موقف تقادنا من الفكر الاوربي يكاد يكون موقف استخذاء . ان بعضهم يعتقد اعتقادا جازما اننا اقل موهبة من شعراء الغرب وان علينا ان نعترف نظرياتهم ونأكلها أكلا اذا نحن أردنا ان نشيء شعرا عربيا وقدنا . لا بل انا اقول ان مادة شعرنا وحياتنا العربية اغنى واخصب بكثير من مادة الشعر الاوربي المعاصر - لاسباب منطقية لا محل الان لبسطها - وان موجة تجديد جارفة سوف تنبعث من عالمنا العربي هذا ، وسوف تتلمذ الغرب على شعراء هذه الارض الموهوبة وتقادها وأدبائها في يوم قريب . ولكن هذا لن يحدث الا بعد أن نؤمن بأنفسنا . ان الامم المبدعة هي دائما امم تثق بانها موهوبة . واما الامم التي تزدرى ذاتها وتقف وقفة الهوان امام سواها فلن تبدع شيئا على الإطلاق . فلنكف عن الانحناء للغرب . اتنا قد سئنا سماع الكلمات الفرنسية والانكليزية في النقد العربي واصبحنا تتعطش الى نقد محلي ، التجديد فيه منبعه العروبة ، والمصطلحات فيه ترتكز الى مظاهر في الشعر العربي نفسه . واني لاهيب بالجيل الناشئ من النقاد ان يتجهوا الى انفسهم حين يكتبون لينبت الذهن العربي الخصيب أشاره ، وسرعان ما سوف تكتشف الامة المنابع الحققة في كيانها الفكري ، المنابع العربية التي لن يغتني الاديب العربي بسواها ولا مصلحة له في سواها .

فہرست الکتاب

- ١ -  
ثبت الاعلام

ابو الغتاهية ١١  
ابو العلاء المعري ١٣ ، ٤٥  
ابو فراس الحمداني ١٣٦  
ابو القاسم الشابي ٢٣٦ ، ٢٣٩ ، ٢٧٠  
٢٧١ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٦  
• ٢٧٧  
ابو القاسم محمد كرو ٢٣٧ ، ٢٨٠  
ابو نواس ١٠  
إحسان الملائكة ٧ ، ١٣  
احمد شوقي ١٠ ، ١٦٤  
احمد خاكي ١٣٩  
احمد عبدالمعطي حجازي ٢٤٥  
احمد الهاشمي ١٧٠  
ادونيس ١٠  
الأصفهاني ١١

(٢)

الأخفش ١٠٩  
ابراهيم انيس ١١  
الأنباري ٧٩  
ابن خلكان ٧٩  
ابن الخلفه ١٦٩ ، ١٧٣ ، ١٧٤  
ابن رشيقي ١١  
ابن زيدون ٦٩  
ابن الفارض ١٢١  
ابن مالك ٨٤ ، ٨٧  
ابن المعتز ١٠  
ابن هرمة ١٠  
ابو تمام ١٠  
ابو الطيب المتنبى ١٣ ، ٤٥ ، ٧٠ ،  
٩٤ ، ٩١

(ج)

جبرا ابراهيم جبرا ١٢٨ ١٢٩ ١٨٨ ١٨٥

جبران خليل جبران ١١ ١٨٧ ٢٢٥  
الجرجاني ١١

جميل صدقي الزهاوي ١٠ ١٦٢ ١٦٤ ١٦٣

جميل الملائكة ١١١ ١١٣

جورج غانم ٧٣ ٩٦ ٩٧ ٩٨

(ح)

الحارث بن حلزة الشكري ٧١

حسين العناري ١٧٨ ١٧٩

الحصري القيرواني ١١٠

(خ)

خزاعي سبيري ١٨٣ ١٨٥ ١٨٨

الخليل بن أحمد الفراهيدي ٤٩

٧٣ ٧٩ ٨٠ ٨١ ١٠٩

١٧٣ ١٨٦

خليل حاوي ٧٧ ٧٨

خليل الخوري ١٠٣ ١٥٧ ١٥٨

١٦٠

خير الدين الزركلي ١٦٣

(د)

داتني ١٠

(ر)

رؤبة بن المعجاج ١٠٥

امجد الطرابلسي ٩١ ٢٢٦ ٢٣٢ ٢٣٧

٢٢٨ ٢٣٧

ام نزار ( الملائكة ) ١٢

الأمدي ١١

امرؤ القيس ٤٥ ٦٠ ١٨٨

انور العطار ٢١٣

ايليا ابو ماضي ١١ ٢٢٥ ٢٣٥

ايلوت (ت.س.٠) ٢٨٧

(ب)

الباقلاني ١١

البحثري ١٩

بدر شاكر السياب ٢٤ ٢٥ ٣٠

٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠

٢٣٥ ٢٣٩ ٢٤٠ ٢٤٤

٢٤٧ ٢٤٨ ٢٥٣ ٢٥٤ ٢٥٥

بدير متولي حميد ١٣١

برادلي (أ) ٢٩٨

بروك (روبرت) ٢٧٤ ٢٧٥ ٢٧٦

٢٧٧

بريفير (جاك) ١٣٠ ١٣١

بشار بن برد ١٠

بشارة الخوري ١٦٤ ٢٤٢

بلند الحيدري ٣٢ ٣٤ ٣٥٦

الجهاء زهير ٩٤

(ت)

توفيق صايغ ١٨٥

١٤٧ ( ٢١٥ - ٢٢٤ ) ٢٣٥

عمر أبو ريشة ٥٩ ، ٩٢ ، ٩٣

عمير بن شبيب القطامي ١٢٧

( ف )

فاليري ( بول ) ٢٩٨

فدوى طوقان ٤٠ ، ٨٥ ، ١٠٢ ، ١٠٣

١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٥٣ ، ١٥٤

١٥٦ ، ١٥٥

فؤاد رفقہ ١٤٢

فواز الطرابلسي ١٣١

فوزي المفلوف ١٢

( ق )

قدامة بن جعفر ١٧

( ك ، ك )

كانت ( امانويل ) ٢٦٧

كينس ( جون ) ٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٥

٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩

كويو ( جان ماري ) ٢٦٧

( م )

ملارميه ( ستيفن ) ٢٩٨

مالك حداد ١٣٣

مالك بن الرب ٢٤٦

محمد فريد أبو حديد ١٣٩

محمد فهمي ٩٣ ، ٢٥٢ ، ٢٧٣

محمد الماغوط ١٣٣ ، ١٣٥ ، ١٨٣

( ز )

زكي نجيب محمود ١٣٩

( س )

سبنسر ٢٦٧

سيتول ( ايدث ) ١٢٨

سعدى يوسف ٦٥

سليمان العيسى ٩٣ ، ١٥٣

سهام الملائكة ١٢

( ش )

شاذل طاقه ٢٥ ، ٣٢

شيكسير ( وليم ) ١٣٨

( ص )

صادق الملائكة ١٢

صلاح محمد عبدالصبور ١٠٨ ، ١٨٩ ، ١٥٨

١٦٤

( ع )

عبدالله بن منذر ١٣٨

عبدالرزاق عبدالواحد ٢٥٥

عبدالعزيز دسوقي ١٥

عبدالوهاب البياتي ٢٥ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٣

٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠

عصام ( الملائكة ) ١٢

علي الجارم ٩٤

علي محمود طه ٥٩ ، ٦٠ ، ٩٢ ، ١٤٦

المهمل ٢٣٣

ميخائيل نعيمة ٩٠ ، ٢٣٥ ، ٢٣٤

(٥)

نارك الملايكة ٧ ، ١٢ ، ١٣٣ ، ٢٤٩

٢٥٠

نذير العظمة ١٧٨ ، ١٧٩ ، ٢٩٢

٢٩٤

نزار قباني ٣٨ ، ٩٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥

١٠٦ ، ١١٥ ، ١٤٥ ، ١٥١

١٦٣ ، ٢٠٨ ، ٢١١ ، ٢٤٥

٢٤٨

نزار (الملايكة) ١٢

نسيب عريضة ١٢

تقولا فياض ١٢

(٥)

هوميروس ١٠

١٩٥ ، ١٨٤

محمد الهشري ٩٣ ، ٢٣١ ، ٢٥٢

٢٧٣ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧

محمود حسن اسماعيل ١٤٧ ، ٢٠٥

٢٠٧ ، ٢٣٢ ، ٢٣٨ ، ٢٥١

محمود شكري الآلوسي ٢٩٦

محمود مصطفى ١٧١

مجاهد عبد المنعم مجاهد ١٥٦

المرزوقي ١٧ ، ١٨٤

مسلم بن الوليد ١٠

مصطفى صادق الرافعي ١٨٧

معروف الرصافي ١٦٤ ، ١٧١

ملك أبيض ١٣٥

مسدوح حقي ١٧١

المنخل الشكري ١٢١

## ثبت الموضوعات

مقدمة للدكتور عبدالهادي محبوبه

### القسم الاول من الكتاب

صفحة

٢١

الباب الأول - الشعر الحر باعتباره حركة

٢٣

الفصل الأول - بداية الشعر الحر وظروفه

بدايته ، ظروفه ، المزايا المضللة في الشعر الحر ، الخواتم  
الضعيفة ، عيوب الوزن الحر ، امكانياته ومستقبله .

٢٧

الفصل الثاني - الجنور الاجتماعية لحركة الشعر الحر

الشعر الحر اندفاع اجتماعية ، النزوع الى الواقع ، الحنين  
الى الاستقلال ، النفور من النموذج ، ايشار المضمون .

- ٥١ الباب الثاني - الشعر الحر باعتباره العروضي
- ٥٢ الفصل الأول - العروض العام للشعر الحر
- توطئة ١ - الشعر الحر أسلوب : أسلوب البيت ، أسلوب الشطر الواحد ، أسلوب الشعر الحر ، أسلوب البند .
- ٢ - تفعيلات الشعر الحر ، وحدة التفعيلة في الشعر المعاصر . ٣ - بحور الشعر الحر وتشكيلاته ، أوزان البحور ، البحور الصافية ، البحور المزدوجة ، أوزان التشكيلات ، شعراؤنا المعاصرون والتشكيلات ٤ - الشعر الحر شعر ذو شطر واحد .
- ٧٩ الفصل الثاني - المشاكل الفرعية في الشعر الحر
- توطئة ١ - الوند المجموع ، الوند في شعر المعاصرين .
- ٢ - الزحاف . ٣ - التدوير ، التدوير في الشعر الحر ، أسباب امتناعه . ٤ - التشكيلات الخماسية والتساعية . ٥ - مستفعلان في بحر الرجز . ٦ - فاعل في حشو الخبب .
- ١١٥ الباب الثالث - الشعر الحر باعتبار أثره
- ١١٧ الفصل الأول - الشعر الحر والجمهور
- توطئة . مقايمة الجمهور للشعر الحر وعواملها .
- ١ - طبيعة الشعر الحر . ٢ - الظروف الأدبية للعصر ، الترجمات النثرية للشعر الاجنبي ، قصيدة النثر . ٣ - اهمال الشعراء : اساءة الكتابة ، الغلط العروضي .
- ١٥١ الفصل الثاني - اصناف الأخطاء العروضية
- ١ - الخلط بين التشكيلات ٢ - الخلط بين الوحدات المتساوية شكلا . ٣ - اخطاء التدوير . ٤ - اللبس

بالقافية واحمالها .

١٥٨ الباب الرابع - ملحق بقضايا الشعر الحر

١٦٩ الفصل الأول - البند ومكانه من العروض العربي  
المقياس العروضي للبند ، البند والشعر الحر .

١٨٢ الفصل الثاني - قصيدة النثر  
مناقشتها على أساس اللغة والنقد الادبي .

### القسم الثاني من الكتاب

١٩٩ الباب الأول - في فن الشعر

٢٠١ الفصل الأول - هيكل القصيدة  
الموضوع ، الهيكل الجيد وصفاته ، التماسك ، الصلابه ،  
الكفاءة ، التعادل ، ثلاثة اصناف من الهياكل ١ - الهيكل  
المسطح ٢ - الهيكل الهرمي ٣ - الهيكل الذهني . نماذج .

٢٣٠ الفصل الثاني - اساليب التكرار في الشعر  
تكرار الكلمة ، تكرار العبارة والمقطع ، تكرار الحرف .

٢٤١ الفصل الثالث - دلالة التكرار في الشعر  
ثلاثة انواع من التكرار ١ - التكرار البياني ٢ - تكرار  
التقسيم ٣ - التكرار اللا شعوري .

٢٥٩ الباب الثاني - في الصلة بين الشعر والحياة

٢٦١ الفصل الأول - الشعر والمجتمع  
الدعوة الى اجتماعية الشعر ، مناقشتها من الوجهة الفنية  
والانسانية والوطنية والجمالية .

٢٧٠ الفصل الثاني - الشعر والموت

مظاهر الوله بالموت في شعر الشابي وكيثس والهمشري وبروك .  
تعليل الموت المبكر الذي داهم هؤلاء الشعراء .

٢٨٠ الباب الثالث - في نقد الشعر

٢٨٢ الفصل الأول - مزالق النقد المعاصر

الخلط بين النقد وأدب السيرة ، النقد الذاتي ، الخلط بين القصيدة وموضوعها ، النقد التجزئي ، الأحكام السلبية ، استهواء النظريات ، اغراء الاسلوب .

٢٨٩ الفصل الثاني - الناقد العربي والمسؤولية اللغوية

ظاهرة اهمال الناقد للجانب اللغوي من القصيدة . اساس هذه الظاهرة لدى الناقد والشاعر . القول باهمية المضمون . النقد وقضية الأمة العربية . ادخال ( ال ) على الفعل . مصادر هذه الظاهرة . تقايد ادبائنا للادب العربي . اصالة الفكر العربي وضرورة استقلاله عن آداب الغرب .

٣٠١ فهارس الكتاب

تبت الاعلام الواردة في الكتاب  
تبت الموضوعات

الرياض جامعة الرياض محمد شؤوه الطلحة

الضمانه X  
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة  
كلية اللغة العربية والدراسات  
عبد الرحيم حبيب

كلية الهندسة

جامعة الملك عبد العزيز جدة محمد شؤوه الطلاب

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض X

جامعة الملك فيصل بالرياض جريدة محمد شؤوه الطلاب

تواريخ النشر الأول لفصول الكتاب

1- اطلعت طلب الدراسة

2- إخراج جريدة أورانج صبيحة  
3- صدرت صحيفة ستة - 6 -  
4- السادة السادة الأهلين

5- شهادة حسن السلوك

عنوان الفصل	المجلة التي نشر فيها	التاريخ
بداية الشعر الحر وظروفه	الأديب	يناير ١٩٥٤
الجذور الاجتماعية لحركة الشعر الحر الآداب	الأديب	آب ١٩٥٧
الشاكل الفرعية في الشعر الحر الآداب	الأديب	شباط ١٩٥٨
قصيدة النشر الآداب	الأديب	نيسان ١٩٦٢
هيكل القصيدة الآداب	الأديب	١٩٦٠
أساليب التكرار في الشعر الأديب	الأديب	مايو ١٩٥٢
دلالة التكرار في الشعر الآداب	الأديب	تشرين الأول ١٩٥٧
الشعر والمجتمع الأديب	الأديب	يوليو ١٩٥٣
الشعر والموت الآداب	الأديب	تنوز ١٩٥٤
مزالق النقد المعاصر الأديب	الأديب	مايو ١٩٥٣
الناقد العربي والمسؤولية اللغوية الآداب	الأديب	تشرين الثاني ١٩٥٩

## آثار المؤلفه

- ١ - عاشقة الليل ( شعر ) الطبعة الاولى : بغداد ١٩٤٧  
الطبعة الثانية : بيروت ١٩٦٠
- ٢ - شظايا ورماد ( شعر ) الطبعة الأولى : بغداد ١٩٤٩  
الطبعة الثانية : بيروت ١٩٦٠
- ٣ - قرارة الموجه ( شعر ) الطبعة الأولى : بيروت ١٩٥٧  
الطبعة الثانية : بيروت ١٩٦٠ نعدت
- ٤ - قضايا الشعر المعاصر (تقد) الطبعة الاولى : بيروت ١٩٦٢  
الطبعة الثانية : بغداد ١٩٦٥

مطبعة دار التضامن